قصصٌ ذات أنياب

قصصٌ

ذاتُ أنياب

الخطيب

السيد محمد حسن الرضوي الكشميري

مقدمة ورجاء

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على خير بريته محمد وآله الطاهرين.

وبعد:

أشكر الله على عظيم نعمه التي لا تُعد. ومن أروع نعمه عليَّ أن أمّد بعمري لتدوين ما أستطيع روايته ونشره. وأني لمسرور بأن أعكس ما في صدري من أحداث وشواهد ونوادر ليكون ذلك تراثاً ينفع الطائفة على كل الأصعدة: سياسةً وخبرةً واقتصاداً وعبرة، وبالتالي فهو مأثرةٌ خالدة.

أن منطوق ما أرسله لأمتي وطائفتي هو جزءٌ من معضلاتها التي تعيشها بكل تضاريسها وتعرجاتها. ولقد شجّعني وشوّقني على مواصلة ذلك هو الإقبال المكثف على قراءة كتبي. حيث تلقيتُ (خصوصاً في سفرتي الأخيرة للوطن) اتصالات ولقاءات من رجالات العلم المخلصين والقُضاة والسياسيين ورجال الفكر وفي الواقع أنها أوسمةٌ لا أستحقها.

وطبعاً لا أُنكر أيضاً أن كتبي هذه أحدثت إرباكاً لبعض الكيانات ومن يستفيد منها كما واجهت حاسداً بصورة ناقد وحاقداً بشكل غاضب.

أنه لأمرٌ طبيعي أن كل فكرة أو أطروحة لها موافق كما لها

مخالف وقد حاولتُ أن أصنع احصائيةً لما واجهت فكانت حصيلتي هي ٨٠٪ موافق و ٢٠٪ مخالف.

وأنني منذ دخولي هذا المجال وأمسكتُ بالقلم لأول مرة كنت أعلم أن هذا الخيار صعب وسيوفر لي أعداءً وربما يُسخط صديقاً ويستعدي قريباً أو رحِماً ولكن ما الحيلة والإمام علي عليه السلام يقول: ما تركَ الحقُ لي من صديق. وكما يقول الأديب:

حديث القلب من جمرٍ أحرُّ كل المصائب مرّةٌ وسكوتنا عنها أمرُّ

أن السكوت جريمة عظمى على حالات الانحراف في مسار الوجود المرجعي والمؤسسة الدينية والذي أخذ يزداد يوماً بعد يوم بهدوء وبغفلة عن الطائفة. وباستغلال محنتها واستغفالها. وأصبح المرجع والمرجعية تُدار بسلوكية غريبة ورويداً رويداً لتصبح تجارةً للمنتسبين والأقربين والحواشي ومن حولهم من الشباب المراهقين فيلعبون كما تشاء أهوائهم دونما محاسب أو رقيب.

إنني في منهجي هذا وضعتُ أسوأ الاحتمالات أمام عيني ولست بواجدٍ ولا نادم. وما يهوّنُ الخطب أنني لم أفكر بطموح لمرجعية حتى أخشى التسقيط كما حدث للآخرين؟؟؟

نعم، حدثت لي مضايقات في تخريب بعض مجالسي هنا وهناك ولكنني على عقيدةٍ راسخة بأن الله يرزقني من حيث أحتسب ومن حيث لا أحتسب وحسبي كلام الإمام علي عليه السلام للصحابي أبي ذر حينما أبعده الحاكم وهجّره فقال له الإمام: ولو أن السموات والأرض كانتا رتقاً لما منعتا وصول رزق الخالق إلى عبده.

وملاحظة أخرى أذكرها وهي:

أن جميع الاتصالات المختلفة من أصقاع العالم وما أواجهه في المنتديات والمحافل يكشف لي أن كتبي أخذت طريقها بانسيابية عالية وكسرت الطوق المتين الذي يحجب عن الأمة ما يجري في بطون وأحشاء المرجعيات كما مزّقت الحصانة والقدسيّة المصطنعة. وأعطت متنفساً للمحبوسة صدورهم.

إنني أرجو وبكل تواضع وانحناء، من زملائي وأعمامي وإخواني وأبنائي وبالخصوص من هم في أجواء الحوزة. وكذلك الوسط المثقف أن يطلعوا على كتبي ويقرءوها بكل هدوء ودِقّة وتأمُّل.

كما أرجو أيضاً من المتضررين والساخطين أن يطلعوا عليها ويتفهمّوا ما فيها وأن لا تأخذهم العزّة بالإثم وحسبنا الحكمة الشهيرة: (لا تنظر إلى من قال ولكن أنظر إلى ما قال). وأنا أقول: أنظر إلى ما كَتَبَ ولا تنظر إلى من كتب.

إن هذه المعلومات والمطالب لا تخلوا من لقطات هادفة تهمُّ رجال الحوزة العلمية بكل أصنافهم وطبقاتهم.

ورجاء آخر؟؟؟

وهو من مراجعنا العظام بالذات (أطال الله أعمارهم) بأن يتصفحوا هذه الكتب وأن يتصبروا قليلاً بتواضع. وكم وكم قد عثر الفحام بدرّةٍ فاخرة وسط الفحم، وكما قيل قديماً: (يوجد في الإسقاط ما لا يوجد في الأسفاط). واستشهد بهذا البيت الجميل فأقول:

ولستُ أوهى خُطاً من نملةٍ نطقت   فظَّل معتبــراً منهــا ســليمانُ

إنني وبكل تواضعٍ أحترم آيات الله العظام وأدعو الله لهم بالعاقبة الحسنة وأأمل أن أكون أمامهم كالنملة التي أضحكت نبيّ الله سليمان، ثم أبكته بعدها وليس هذا أمراً مستحيلاً وكما يقول الشاعر التُهامي:

ولربّما اعتضد الحليم بجاهــلٍ لا خير في يمنىً بدون يسارِ

وانعطف إلى معنى آخر في رجائي هذا منهم أنّه إن كان ولابد فليجعلوا مطالعة كتبي سبيلاً على نحوّ التنوع والاستراحة من عناء مطالعة الكتب الفقهية والأصولية.

أما ما يبلغني عن بعضهم وعن بعض ذويهم فذلك أمرٌ إلى الله مرجعه وإلى رسوله منقلبه. وأنا لهم على قارعة الطريق حتى نقف في ساحة واحدة ويومُ المظلوم على الظالم أشدُّ من يوم الظالم على المظلوم.

إن كتابي الجديد هذا وقد اسميته (قصص ذات أنياب؟؟؟) وقررت نشره بعد شعورٍ انتابني أخيراً ودفعني إلى النيئ بنفسي على مواصلة هذا المشروع الثقافي، لكنني استخرت الله بالقرآن الكريم وإذا بالآية الكريمة تتحدث معي وجهاً لوجه وهي الآية ٤٨ من سورة التوبة: ﴿لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون﴾. فتحركت من جديد لأقدمه هدياً لأبناء طائفتي المغدورة والمستباحة حقوقها، وأ أمل بقبول ذلك وشكراً.

السيد محمد حسن الرضوي الكشميري

إيران ــ قم المقدسة

الهاتف النقال إيران: ٠٩١٢٢٥٢٣٩٦٩

العراق: ٠٧٨٠٩٤٦٩٣٧٣

صوت العدالة والحق

يكتب الإمام علي عليه السلام إلى أحد عماله ويعاتبه على بعض تخلفاته وسوء تصرفاته في المال العام فيقول عليه السلام:

أما بعد فقد أشركتك في أمانتي وجعلتك شعاري وبطانتي فسبحان الله. أما تؤمن بالمعاد. كيف تُسيغ شراباً وتأكل طعاماً وأنت تعلم أنك تأكل حراماً وتشرب حراماً وتنكح النساء من أموال اليتامى والمساكين.

أما والله لو أن الحسن والحسين!!! فعلا مثل الذي فعلت ما كانت لهما عندي هوادة حتى أ أخذ الحق منهما (المصدر: شرح النهج لابن أبي الحديد، ج١٦، طبع دار التراث الإسلامي: ص١٦٧، الرسالة رقم: ٤١).

أقول:

أن سؤالي موجه لمن يدّعون أنهم نواب الإمام عليه السلام؟؟؟ وأقول لهم بكل تواضع واحترام: هل قرئتم هذا الكلام للإمام عليه السلام أم أنتم أهم وأكبر من الإمام علي عليه السلام أم أن أبنائكم أهم من الحسن والحسين عليهما السلام؟ فلم أسمع في عمري الذي قارب السبعين أن أحداً منكم حاسب ولده أو صهره ليسأله من أيّ مالٍ اشتريتم هذه القصور المنيفة في الخارج وفي الداخل؟ ومن أين تكاليف سفراتكم الفارهة وأثاثكم الفخم وأرصدتكم التي تعج بها بنوك أوروبا والخليج.

لقد أسمعتَ لو ناديت حيّاً ولكن لا حياة لمن تنادي

ولو ناراً نفختَ بهـــا أضـــاءت ولكن أنت تنفخ في رمـــادي

وما عتبي على الـــدنيا ولكـــن على إبلٍ حداها غير حـــادي

وأقول:

مهما تهاونتم وتسامحتم وسكتُّم على ما يجري في داخل مؤسساتكم ومهما تسترتم على الأمور بأعذار وتحايلات فإن التـــاريخ ومفاصـــل الزمن على قارعة الطريق، ودوام الحال من المحـــال، وحـــسبنا قـــول الإمام علي عليه السلام: لو دامت لغيرك لما وصلت إليك.

سرّي للغاية جدّاً!!!

أعود وأؤكد للقراء الكرام أنّ ما كتبته من خواطر فهي من الدرجة الثالثة أو الثانية بشكر نادر. أما المعلومات من الدرجة الأولى والتي هي خطيرة جداً فستبقى سجينة صدري حتى يقضيّ الله أمراً كان مفعــولا، وربما ستبلى معي في القبر.

وهنا سؤال يفرض نفسه بقوّة وهو:

لماذا هذا التمنّع؟

فالجواب هو:

أن هناك ثلاثة أسباب تقف عائقاً:

١ــ الخشية من ردّة فعل انتقامية من أجهزة المخابرات الإقليميــة أو القوى الضاغطة لأن هناك لقاءات وتشاورات كانت تتم مع عناصر مهمة للغاية مع أولاد بعض المراجع أو مندوبيهم أو من كان يمــثلهم. وتتخللها قبوضات لمبالغ طائلة وبطريقة خاصة وفي عواصم مجاورة.

٢ــ أن بعض ذوي العلاقة بهذه الحالات هم أمّا زملاء أو أصدقاء بل فيهم أقارب بالسبب والنسب وربما هم من الدرجــة الأولــى وهــذا يحشرني أمام مشاكل لا تُحمد عقباها.

٣ــ وهو أن مجتمعنا الشيعي وللأسف لم ينضج بالمستوى الــذي يتقبل معلومات خطيرة كهذه وهذا سبب بات مطروحاً عندي بشكل دقيق خلال انتشار كتبي الأخيرة. لذا ستبقى هذه الخواطر تحت الرماد فعلاً.

وأنا على موعدٍ وليس ببعيد مع القراء الكرام لكشف كل الوحدات والتداعيات التي رافقت غزو العراق وكيف اشتري هذا السكوت المطبق أمام هذا الانتهاك لسيادة العراق وكرامة شعبه وكيف تم التساوم والمزايدة وأين تم، ومتى تم، وما هي الصفقات والامتيازات لذلك.

لماذا أنا؟؟؟

ما إن صدرت كتبي الأخيرة وبالخصوص الأربع منهـــا، وهـــي: رسائل وو... إلا وقامت عليّ قيامة الحواشي والمنتسبين والمـــستفيدين وهم يشنجون الأغبياء والسذّج بأني أُشّهر بالوجود الحوزوي والمرجعي بالذات وأوفر فرصة لأعداء الشيعة بإعطائهم الفرصـــة لفـــضح هـــذا الوجود (المقدّس).

يا أحرار القراء

يا أصحاب الضمائر والوجدان

يا رجال الفكر والمعرفة

من هو البادئ في هذا المشروع؟ ولماذا لهم حلال وعليَّ حـــرام؟ وإن كان هذا جُرماً فالبادئ أظلم!!!

ولتوضيح الأمر وبشفافية إليكم هذه القائمة ببعض المنشورات التي أصدروها وأسقط فيها بعضهم بعضاً وحاربت عصابةٌ عصابةً أخـــرى وهذا ما أعهده في ذهني ولا أعلم إن كان غير هذا وأؤكد إن هذا كـــان في دائرة النجف الاشرف حصرياً ولا أعني بذلك قم المقدسة أو غيرها وهي كالآتي:

١ــ منشور حمل عنوان صوت الحق وبالفارسية (صداى حـــق)، ووُزّع المنشور غداة سافر السيد الأصفهاني إلى لبنـــان للعـــلاج عـــام ١٣٦٣هـــ وحمل المنشور تُهماً وتعريضاً وهتكـــاً، ويركـــز المنـــشور

بالذات بإهدار الحقوق والأخماس وما إلى ذلك. وكان المنشور يحمل تواقيع ثلاثة من كبار أساتيذ الحوزة العلمية في النجف الاشرف آنذاك وهم المرحوم أبو القاسم الخوئي، المرحوم السيد محمد هادي الميلاني، والمرحوم الشيخ كاظم الشيرازي.

٢ــ منشور صدر من حاشية الأصفهاني ردّاً على المنشور رقم (١) وفيه شهادتان من الميرزا أحمد الاشتياني بطهران والسيد الأصفهاني في النجف الاشرف على أن أبو القاسم الخوئي ليس بسيّد وأنه انتحل انتسابه للرسول زوراً وبهتاناً.

٣ــ منشور وُزّع بعد ما عُقدت المرجعية للسيد الحكيم وللتوضيح في هذا الأمر: فإن طاقم الشاه في الحوزة انقسم إلى قسمين في الظاهر فقسم انحاز إلى مرجعية الحكيم وكان يرأس هذا الفريق إبراهيم اليزدي. والقسم الثاني وقف ضدّ مرجعية الحكيم وراح ينظر ويسّوق مرجعية المرحوم السيد عبد الهادي الشيرازي والتي كانت مرجعيته متقاطعة مع مرجعية الحكيم وكان يرأس هذا الفريق النخجواني.

وقام هذا الفريق (الثاني) بتوزيع منشور يهاجم فيه الحكيم ومرجعيته. وكان قد سبق أن صدرت ثلاثة أجزاء من المستمسك للسيد الحكيم. فكتب هؤلاء في المنشور هذا بأن السيد الحكيم يوافق الوّهابية في ٢٦ مورداً وذكروا الموارد كلها في المنشور.

٤ــ منشور وزّعه الفريق الأول الذي يقوده إبراهيم اليزدي وهو ضدّ مرجعية السيد عبد الهادي الشيرازي وقد حمل المنشور هذا العنوان (بطلان تقليد الأعمى) وباعتبار أن السيد عبد الهادي الشيرازي كان

ضريراً فاستخدم هؤلاء هذه الآية دعماً لادعائاتهم وهي ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾.

٥ــ منشور وزّعه الحكيميون ضد من أسموهم بعلماء المال، وهو يحمل تسقيطاً للشيخ علي كاشف الغطاء ووصفوه فيه بــ(الشيخ علــي كيلو) والشيخ فاضل القائيني (من تلاميذ النائيني) وضدّ الــسيد حــسين الحمامي والسيد يوسف الحلو والشيخ عبد المهــدي مطــر ووصــفوهم بالشيوعية وغير ذلك من التهم.

٦ــ منشور وزعته حاشية الإمام الخوئي ويتضمن تسيقطاً للــسيد محمد الشيرازي وإن أمره مريب!!! وأنه لم يثبت اجتهاده.

٧ــ منشور وزع انتقاماً وردّاً على المنشور رقم (٦) وفيه إثباتات بعدم صحة سيادة المرحوم الخوئي.

وكانت هذه المنشورات توزع بطريقة خبيثة حيــث تنــشر فــي العتبات بسامراء والكاظمية والنجف الاشرف وكربلاء وفــي المراقــد المهمة وتوضع داخل كتب الأدعية والمصاحف المقدسة وكذلك توزع في المساجد.

هذا ما هو في ذهني وما استحضره والله أدرى إن كانــت هنــاك منشورات أخرى. وسيقف الجميع بالحساب غداً وهنــاك ﴿...يَعَــضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ...﴾.

ثمّ إنني عايشتُ منشورات صدرت في الكويت في السبعينيات مثلاً وكان بعضها ضدّ بعض. ويقف وراء ذلك المتنافسون علــى اصــطياد

المال وكسب الأخماس والتسلط على عقليات المساكين وفيها اتهامـــات قاسية بعضهم لبعض وتصل إلى حدّ العمالة والتجسس لإسرائيل وبكـــل وقاحة وصلف وكانت قواعد هذه المنشورات ثلاثة مساجد وهي: مسجد بُنيدالگار ومسجد النقي ومسجد منطقـــة الميـــدان، وشـــاهدتُ مـــشادة وتطورت إلى اتهامات قاسية وسبّ بين علماء كبار في الكويـــت فـــي منزل المرحوم محمد قبازرد حينما دعانا إلى مأدبة أقامها تكريماً للكاتب المصري (عبد الفتاح عبد المقصود).

وأقول مرة أخرى: هناك حالات مماثلة في اصقاع البلاد الأخرى لستُ بصدد ذكرها الآن.

بعد هذا الشرح المقتضب يأتي السؤال بقوّة. نعم، بقوّة؟؟؟ من فتح هذا الباب ولماذا أنا الضحية ورحم الله أبا العلاء المعري حينما مرض وصنعوا له حساءً من لحم (فروج) وهو فرخ الدجاج فرفض أكله وهو يخاطبه استضعفوك فذبحوك فلماذا لم يذبحوا ويطبخوا شبل الأسد. حقاً أنه البيت المناسب الذي استشهد به وهو:

أسدٌ عليّ وفي الحروب نعامة   شنعاء تصعق من صفير الصافر

أيها القراء الكرام:

إنني لا أعتب على المنتـــسبين والحواشـــي والمـــستفيدين مـــنهم واللاحسين قصاعهم. إنما أعتب على الوسط المثقف والذي أطمـــح أن يشغّل عقله، ويتعامل بعقلانية وتحليل للأمور.

وملاحظة أخرى أثيرها وهو أني لم أكتب في كتبي المـــذكورة أو هذا الكتاب إلا الهوامش، وأأمل من الله عز وجل أن يمنّ عليّ بالهـــدوء

والتحمل وأن لا أكون مضطراً وأدخل في الصميم وأذكر وقائعاً وأحداثاً لا أرويها فقط وإنما كنت في داخلها وجزءاً منها.

لقد قمت بهذا المشروع لارتباط الحاضر بالماضي وإن ما تعانيه الحوزة والوجود العلمائي من تشتت وانعدام التأثير وغير ذلك من تداعيات سلبية دمرّت وضع الشيعة في العراق وغير العراق وكل هذا من إفرازات ما ذكرتُ قسماً منه.

إنني ألح على حقيقة مهمة وهي أن يُطِّل الجيل الحوزوي الجديد على هذه التراكمات وهذه الأوضاع التي عانت منها الحوزة في النجف الاشرف أو في قم المقدسة منذ أكثر من قرن.

ثمّ أخطر ما في الأمر هو الفساد المالي في تصريف الأخماس وحالة الإهدار الخطير التي تتفاقم يوماً بعد يوم لمصلحت المدللين من الأولاد والأصهار والأحفاد والأسباط ومن يلف لفهم ولا نعلم إلى أين تنتهي هذه الكارثة ورحم الله الشاعر الذي قال:

إلا أن ديناً قد أردت صلاحه أحاذر أن تقضي عليه العمائم

وأخيراً استغفر الله من كل ذنب وأتوب إليه.

نموذج من شجاعة الصبر

اصـــبر لكـــل مـــصيبةٍ وتجلّـــدِ   واعلم بأن المرء غيـــرُ مخلـــدِ

أن من المقاييس التي تكشف عظمة الشخص هو اســـتقامته عنـــد الرزايا والمحن ويعتبر هذا من دلائل عظمته ورباطة جأشه. وهذا مـــا كان من ألمع صفات أهل البيت عليهم السلام خصوصاً الإمـــام علـــي والحسين عليهم السلام.

على ضوء هذه الحالة شاهدتُ وشاهد كل من حضر المراسم كيف انتاب الجميع الذهول والدهشة يوم كنا عند دفن المرحوم السيد مصطفى الخميني رضوان الله عليه في النجف الاشرف.

فلقد توفي في وضع غامض وربما نتيجة تنسيق بين المخـــابرات العراقية والسافاك وكان هذا جزءاً من اتفاقية المصالحة في الجزائر بين الشاه وصدام حسين.

فقد شكلت لجنة مشتركة بقيادة ضابط أمني كبير اســـمه (ليـــث) ويكنى بـــ(أبو حبيب) وذلك لتبادل المعلومات المخابراتية.

لما جيء بجثمان السيد مصطفى لدفنه في المقبرة فـــي الإيـــوان الذهبي وفي الحجرة تحت المنارة اليمنى، وكان الحاج عبد أبو اصـــيبع ينزل في الحفرة لينزل الجثمان وكانت العيـــون شاخـــصة والأعنـــاق مشرأبّة تراقب السيد الخميني رحمه الله وكيف سيتعامل مع الأمر. وهنا ألقى الخطيب الشيخ عبد الحسين الخراساني مصيبة علي الأكبر عليـــه

السلام ووقوف الحسين عليه السلام عند مصرعه لكن الإمام الخميني شعر بأن المنطقة مزروعة برجال الاستخبارات والإعلام فتظاهر بجلد وشجاعة حيّرت العقول ووقف على الجسد عند باب القبر وهنا أجهش بعض أصدقاء الفقيد بالبكاء فانتهرهم بكلمته التي سمعتها ومعناه ما هذا البكاء أذهبوا وأبنوا أنفسكم، ثم رفع رأسه ونظر إلى صورة المرحوم الشيخ محمد حسين الكمباني فصاح إلى روح المرحوم الأصفهاني الفاتحة، وانتهت مواراة الجسد ولم تندّ عينه بدمعة وكان ذلك مصداقاً لما يُنسب للإمام علي عليه السلام:

لا تشكوّن لصاحبٍ أو حاسدٍ حاليك بالسراء والضراء
فلرحمة المتوجعين حرارةٌ في القلب مثل شماتة الأعداء

وللإمام رضوان الله عليه موقف أشد من هذا وهو عند فقده (٧٢) شخصية من رجاله. فلما خطب والجماهير تعزيه وتبكي قهر أعدائه بصلابته ورباطة جأشه وقال: إن الهدف قائم والمشروع ماضٍ ولن يتصدع أي شيء، وكانت وسائل الإعلام في العالم تراقبه حيث وجه إليهم ضربة قاضية بصبره.

تلميذ يُحرجُ أستاذه

أحد كبار المدرسين في مشهد المقدّسة وهو الشيخ آية الله... كان يلقي دروساً في مواضيع متعددة. وتلاميذه من مختلف المدن الإيرانيــة وكان أحد تلاميذه يسكن حجرةً في مدرسة علمية دينية إلا أن مــسؤول المدرسة والمشرف عليها أبلغ هذا الشيخ المدرّس بأن تلميــذك فــلان يشرب الخمر سرّاً في المدرسة وإني رصدته بطريقة خاصــة. فتحيــر الشيخ الأستاذ وسأل في أي وقت غالباً يفعل ذلك فأخبره بأن ذلك فــي أواخر الليل. فسكت المدرّس لكنه في الليل قصد المدرسة ليشرف على الوضع ويلاحظ الأمر بنفسه وفجأة طَرقَ باب الحجــرة ولمــا عــرف التلميذ صوت أستاذه فتح باب الحجرة وأخفى قنينة الخمر خلف الكتب. فجلس الشيخ قليلاً ثم قال له: ناولني هذا الكتاب وكانت القنينــة خلفــه فأعطاه إياه فتبين أن القنينة خلف الكتاب الذي بجنبه فقال له: من فضلك أسحب لي هذا الكتاب فتأمل الطالب قليلاً ثم قال: مولاي هذا الكتاب أنا أعلمك بمضمونه أنه في تفسير هذه الآية (إن الله ستار العيوب)، وآيــة (إن الله يحب الساترين) فأُحرج الأستاذ من جوابه. وودّعه. وعلم بعدها أن الطالب أقلع عن سلوكه هذا.

وكان هذا الأستاذ يردد بعدها أنه لم يُحرج في عمره كما أحرجــه هذا الطالب.

مشهدٌ غريب

دأبنا أن نزور كربلاء ليالي الجمعة من كل أسبوع وكنت أصحب الوالد غالباً أكثر من بقية أولاده. وكان ملتزماً بقراءة الفاتحة للمرحـــوم والده وهو جدّي المقدس السيد مرتضى الكشميري والذي يقع قبره فـــي الحجرة الثانية عن يسار باب الصحن الحسيني المعروفة بباب الـــسدرة (عند الدخول إلى الصحن).

في مرة من المرات في عام ١٩٦٢م شاهدنا جمعاً غفيــراً مـــن الناس يتفرجون ومتعجبين حيث كانت تجري أعمال الصيانة لجـــدران الصحن الشريف. فتبين أن عمال الصيانة عثروا بلحدٍ، وما أن اقتربوا منه حتى انهدم وإذا بجسد فيه لامرأة عجوز وعلى حالتها وحتى كفنُهـــا لم يبلى وحتى لون الخضاب باقٍ في شعرها وقد شاهدتُ هذا بعيني مع الوالد الذي سُمح له بالدخول إلى الحجرة باعتبار أن هناك قبـــر الجـــدّ رحمه الله. وطبعاً جاء المسؤولون ورجال الأوقاف وسجلوا للحادثة هذه محضراً وأغلق اللحد.

لقد كشفت التحقيقات أن هذه المرأة كانت تسكن في الهند عند أحد المهراجات الشيعية الكبار باسم (نوافت عليخان) والذي هو قد اشـــترى هذه الحجرة قبل خمسة وتسعين عاماً وكان هـــو مـــن مريـــدي جـــدنا المرحوم وأنه أسس عدة مدارس للطلبة في كربلاء والنجف الاشـــرف وله خدمات جليلة للعتبات والحوزات العلمية وكذا بنـــى مدرســـة فـــي

خراسان.

وبعدما علم بأن المرحوم الجد أوصى بدفنه في كربلاء تطوع بأن يدفن في هذه المقبرة. وإن هذه المرأة كانت من العابدات وذكروا أنها ما تركت صلاة الليل ولا ليلة واحدة في عمرها وأيضاً كانت أوصت أن تدفن عند الحسين عليه السلام فأمر هذا الراجا بنقلها إلى العراق لدفنها في مقبرته بالصحن الحسيني. ومن السنة التي كشف قبرها عام ١٩٦٢م كان قد مضى على دفنها أكثر من ٥٥ عاماً. وفُسّر ذلك بأن هذا من آثار إخلاصها وعبادتها وتهجّدها بالأسحار. ويذكر أن هذا الرجل المحسن عندما توفي بالهند عام ١٩١١م نقلوا جثمانه حسب وصيته ودفن في هذه المقبرة.

كرامة للشيخ الأميني

قال لنا المرحوم الشيخ الأميني مؤلف موسوعة الغدير بأنه كـــان في محنة تهيئة المصادر لهذه الموسوعة يلاقي آلامـــاً ويبـــذل جهـــوداً ويطوف في العالم حيث لم تكن المصادر مهيئة كما هي اليوم في هـــذا الإطار.

يقول رحمه الله: كنت أبحث عن كتاب نادر واستغرق بحثي عنه سنوات لكني وحسب عادتي أنني أزور الحسين عليـــه الـــسلام ليـــالي الجمعة فوصلت كربلاء المقدّسة ليلاً وزرت الحـــسين عليـــه الـــسلام وقررتُ المبيت بكربلاء على أن أعود صباحاً مبكراً للنجف الاشـــرف بعدما أزور العباس عليه السلام.

يقول رحمه الله: زرتُ العباس عليه السلام ثم توسلت به إلـــى الله وهو باب من أبواب أهل الحوائج وإن هذه ليست حاجتي الشخصية إنما هي خدمة للحق نعم، توسلت به إلى الله أن أعثر بهذا الكتاب وأنهيـــتُ زيارتي وخرجت بقصد الكراج لأركب السيارة وأعود لأهلي ويقول:

ما أن خرجت من الكيشوانية وإذا بالعالم الجليل والخطيب الـــشيخ عبد المحسن أبو الحب صادفني وعانقني وألحّ علي بأن أتناول الإفطار عنده وأواصل سفري فاستجبت ووصلنا بيته فأجلسني بمكتبته العـــامرة وذهب ليأتي بالشاي والطعام وكنت أنظر إلى كتبه وفجأة وجدتُ أمامي ذلك الكتاب فأخرجته فلما دخل وجدني فرحاً مسروراً فذكرت له أننـــي

توسلت بأبي الفضل العباس عليه السلام للعثور على هذا الكتاب الــذي أمضيت سنتين في البحث عنه فابتسم وقال: إذن هو هدية أقدمها لكم يا مولاي الجليل. وهكذا عدت إلى النجف الاشرف مسروراً.

محضرٌ طيب

ندعو الله تعالى دائماً أن يكون محضرنا طيب ونعــوذ بـــالله أن يكون محضرنا سوءاً إنشاء الله وفي هذا الإطار حدث لي هذا الموقف.

عام ١٩٦٧م وبعد انتكاسة العرب في حرب الأيام الـــست ومـــا حدث لهم من هزائم. تبعثر الوضع وانسحب على العراق ومُنـــع ســـفر العراقيين إلى إشعار آخر. هنا جاء موسم شهر محرم الحرام لتلك السنة وكان أكثر من عشرين خطيباً يتوجهون إلى البحرين.

وهكذا عدد آخر صوب الكويت والإمارات وقطر وغيرها.

لقد تحدّث المرحوم الشهيد السيد محمد مهدي الحكيم مـــع بعــض المسؤولين بمن فيهم وزير الداخلية وعبد السميع عارف شقيق الـــرئيس عبد الرحمن عارف. وكان السيد محمد مهدي الحكيم مُطاعـــاً بكلمتـــه وتستجيب له السلطات فقرر وزير الداخلية استثناء الخطباء من قـــرار المنع وعلى كل خطيب أن يتقدمَ بطلبٍ إلى الوزير فيأمر لـــه بتأشـــيرة السفر.

على هذه القاعدة جئت إلى بغداد إلـــى وزارة الداخليـــة وقـــدمت الطلب لمدير مكتب الوزير عبد الستار ناجي وجلـــست أنتظـــر وبعـــد لحظات قال لي شيخنا إذا تُحب تفضل فالسيد الوزير عنده مشايخ مثلك. فدخلت على الوزير وهو (شامل السامرائي) وكـــان وزيـــراً للداخليـــة بالوكالة وما أن دخلتُ حتى وجدتُ عنده السيد محمـــد مهـــدي الحكـــيم

والحاج أحمد الشمرتي والحاج حسون العالم وكانا من أصدقاء ومستشاري السيد الحكيم ورحب بي السيد ومرافقوه واعتنى بي الوزير وجلست وفجأة دخل مدير مكتب الوزير وقدم له طلباً يدعي صاحبه أنه خطيب ويريد تأشيرة. فطلب الوزير صاحب الطلب وشاء القدر لهذا الرجل أن يفاجئ بمفاجئة سيئة لكنّ أريحية السيد الحكيم وحسن محضره وطيب فطرته أنقذت الرجل من ورطةٍ مؤلمة.

دخل هذا الرجل وإذا به أحد الكسبة في النجف الاشرف وهو يلبس العقال ولكنه من عباقرة التحايل فلما دخل كان يرتدي جبة وعمامة عجيبة فتفاجئنا به وكاد أن ينهار من شدة خجله حيث كلنا نعرفه معرفة كاملة.

وكان هذا الوزير متفرسّاً وأدرك من خلال حركات الرجل ووضع لباسه وعمامته أنه مزيف وليس بخطيب وهنا سأله (شيخنا أنت خطيب) فأجاب باستحياء: نعم. فقال له الوزير!!!: أقرأ لنا تعزية مختصرة من فضلك؟ وهنا كانت الفزعة الغيورة والأريحية الماهرة للسيد الحكيم أن أشار إلى الوزير بيده أن يعفيه من ذلك وأن يسهل أمره. وفعلاً أخذ موافقة الوزير وخرج.

للعلم أن هذا الرجل كان من الذين يتخذون موقفاً معادياً من السيد محسن الحكيم وربما كان ذا ميول شيوعي أو غيرها وكان يشنّع على ذات السيّد محسن الحكيم لكن السيد الشهيد محمد مهدي الحكيم أبدى تسامياً وتعالياً في صنع الفضائل والمكرمات وطيب المحضر. فطيب الله ثراه.

إن الله يحب الساترين

كم وكم ندعو الله بهذه الجملة: يا ستار العيوب. والعيــوب التــي أُمرنا بسترها هي ما يرتبط بالأمور الخاصة والشخصية والخفية. حيث هناك عيوب ترتكب على نطاق عام وتنتشر معطياتها البلاء والوباء على الأمة وهنا يختلف الموقف ولابد من اطلاع الأمة على أصــحاب هــذه الأفعال ويصبح التستر عليها خيانة للدين وللوطن وللأمة وللمبادئ.

لقد حدثني الخطيب والمحقق السيد عبد الزهرة الحسيني. صاحب كتاب (مصادر نهج البلاغة) وغيرها من التأليفات أنه قرأ في ترجمــة حياة السيد بحر العلوم الكبير. أنه دخل مرة إلى حرم أميــر المــؤمنين عليه السلام وكان الحرم شبه خالٍ فلاحظ شاباً دخل الحرم ووقف أمــام الضريح وسلم على الإمام وسمع السيد بحر العلوم الجواب من داخــل الضريح وعليك السلام يا بني. فبُهت السيد بحر العلوم وعلم أن لهــذا الفتى موقعاً عند الإمام علي عليه السلام فما لبث أن تبعه وغيّر أثوابــه ولم يكن الشاب يعرف السيد حق المعرفة. حتى وصل الــشاب منزلــه فطرق عليه الباب وسلم عليه وقال له: يا بني أريد منك أن تُصدقني ما الذي فعلته في حياتك حيث أنا بنفسي سمعت الإمام يجيب سلامك فتأمل ورحب ثم قال له: نعم، لقد حصلت معي قضيّة مؤلمة. وبعدها واجهت هذا الجزاء من سيدي ومولاي أمير المؤمنين عليه السلام والقضية هي:

أنني فتىً عادي من سائر الناس وكاسب بسيط. وقد جاءتني ذات

يوم امرأة كبيرة بالسن وسألتني: ولدي أنت متزوج؟ قلـت: لا. قالـت: ولم؟ قلت: لم تحدث القسمة أولاً ولا مال عندي حتى أتـزوج. فقالـت: إذن أنا أريد أن أتقرب بك إلى الله وأن عندي بنتٌ جميلة ولائقة لتكون لك زوجة. ولكن يا ولدي إن التقاليد تقتضي بأن تخطبها من أبيها وتقدم المهر. وأنا أأتيك بالمهر وأكثر ولكن دون أن يعرف أحد وتقـدم أنـت لخطبتها. يقول الفتى للسيد: فاستجبت ورحبتُ بالفكرة، وعلـى شـكل البراءة والفطرة وأخذت الأمر على ظاهره. لقد تقدمنا لأبيها بخطبتهـا ووافق وأعطيت الصداق وتزوجتها على الطريقة المألوفة وزُفّت إلـيّ. وانبهرت بجمالها ومظهرها ودخلتُ عليها في غرفـة الـزواج لكننـي فوجئت بعد قليل أن هذه العروس بحالة غير طبيعية فصبرتُ ظناً بأنها تعاني خجلاً وما أن دنوتُ منها لأقوم بما هو مطلوب فأجهشت بالبكاء. ثم قالت لي: دعني أحدثك بالمشكلة:

أنني فتاة محجوبة وعائلتي محافظة ومعروفة وأنا وأمي أأتمنـاك لتديُّنك فقمنا بهذه الحركة. والقضية هي أن فتىً غـرّر بـي وخـدعني وأفتضّ بكارتي ولو علم أهلي فإنّ قتلي أمرٌ محتّم وأنا وأمي منذ سنتين في حيرة وأردتُ أن انتحر مرتين لكن نجوت بمعجزة. وأمي الوحيـدة من أهلي التي تعلم بمحنتي ومأساتي فاتخذت هذه الطريقة وبذلت لـك المال لتتزوجني. قلت: فما المطلوب الآن؟ فقالت ودموعهـا منهمـرة: أرجوك أن تتستر عليّ لشهر أو شهرين وتصبر على هذا وبعـد ذلـك تطلّقني. حتى يرتفع عنيّ هذا البلاء وتنقذ حياتي وشرفي.

ويقول هذا الفتى للسيد بحر العلوم:

انتابتني حالة خاصّة وسألتها بجديّة وحزم وإخلاص هل إنك نادمة وتائبة؟ فأجهشت بالبكاء وأقرّت بأنها خُدعت وأنها تائبة لربّهـــا. وهنـــا قلت لها: انتهت المشكلة ستبقين لي زوجة وكأن الأمر هذا لـــم يكـــن. فانفتح صدرها لفرحها وصاحت سترتني سترك الله.

يقول هذا الفتى للسيد:

منذ ذلك اليوم ما أن دخلت للحرم وسلمت على مولاي إلا وأسمع الجواب منه وعليك السلام يا بني. وأن زوجتي عاشت معـــي ورزقنـــا البنين وبارك الله لي في الرزق وفي العافية وفي الإقبال.

لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها

حدثنا الوالد رحمه الله أن المرحوم السيد أبو الحسن الأصفهاني كان يذهب أيام الخميس إلى الكوفة وفي بساتينها وعلى ضفة شط الفرات ويبقى حتى الغروب ويعود وكان ذلك للترفيه عن نفسه ونفض أتعابه. وكان يصحبه عدد من الطلبة ومن منتسبيه وفي يوم من هذه الأيام شاهد الطلبة والسيد بنفسه رجلاً في الشط يماطل أن ينجوا من الغرق وكان في آخر أنفاسه فصاح السيد بالطلبة قائلاً من يقدر على إنقاذ هذا فقد أوجبتُ عليه أن ينقذه فوراً. وتحرك اثنان من الطلبة وكانا من أمهر السباحين وبعد جهدٍ مضنٍ أنقذاه وتم إسعافه وعاد إلى وضعه الطبيعي وشرح لهم كيف سقط في الشط.

هذا وكانت مأدبة الإفطار موجودة وفيها الخبز والجبن وتبين أن الرجل لم يتناول إفطاره فأكل مما كان موجوداً وقدموا له الشاي. ثم بعد فترة جاء إلى بئر لناعور الماء ليغسل يديه فسقط في البئر على رأسه وكانت البئر عميقة. وتجمهر عدة رجال ونزل أحدهم وقد شد نفسه بحبل وأخرجوه وإذا به جثة هامدة. وهنا كان المرحوم السيد أبو الحسن رحمه الله يقول: إن هذا لم ينقذه الطلبة أول مرة وإنما أنقذته وجبة طعام هنا كانت من رزقه وبعد أن أكلها مات وقد استوفى رزقه في هذه الدنيا.

وفي هذا الإطار أذكر قصة أخرى وقد كنت أنا (كاتب هذه

السطور) أذهب إلى الدرس صباحاً في الحسينية الشوشترية في عگـد السلام (محلة العمارة) وكان هناك بقّال في رأس هذه السّكة الصغيرة قد عرض رطباً من النوع العمراني وانبهرتُ برطبة خشنة على الرطـب فتحت شهيتي فعدتُ إدراجي واشتريت نصف كيلو من الرطب طمعـاً بهذه الرطبة وفعلاً كانت ضمن الرطب الذي اشتريته وكنـت أتحـيّن الفرص وأتجنب أعين المارة لأأكل هذه الرطبة فقطعت المسافة لآخـر السكة ورجعت طلباً للفرصة وهكذا وبينا أنا أهمّ بأكلها إذ التقاني صديق لي وهو السيد الشهيد علاء المرعبي فسلم عليّ ثم قال اشتريتَ رطبـاً وأخذ هذه الرطبة فأكلها. فبقيت مبهوتاً لأنه كان متجهاً للحسينية أيـضاً من الطرف الآخر ولم يكن ذلك البقال في طريقه. وسبحان الله علمـتُ أنها من رزقه وأن السماء أمرتني بأن اشتريها وأحملها إليه وأوصـلها إليه ليأكلها.

والله يقول: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ صدق الله العلي العظيم.

برّ الوالدين

كان في كربلاء المقدسة وقبل ٩١ عاماً بالضبط عالمٌ تقي زاهد اسمه السيد حسن جناب ويسكن منطقة باب الطاق ويُعرف بأنه من أولياء الله.

يكتب هذا السيد في مذكراته أنه ذات ليلة كان عند ضريح الحسين عليه السلام فشاهد شاباً سلم على الحسين عليه السلام وسمع الجواب وعليك السلام لكن السيد كان في تردد هل أنها حقيقة أو ربما تخيّل. لكنه شاهده مرة أخرى فلاحقه وما أن وقف الشاب وسلم حتى سمع السيد بنفسه الجواب وعليك السلام. يقول السيد تبعت هذا الشاب حتى وصل بيته فسلمت عليه عند الباب وقلتُ له: بني أبارك لك موقعك عند مولاي الحسين عليه السلام وإني سمعته مرتين يجيبك بوضوح فما الذي فعلته حتى حصل لك هذا المقام؟ فتبسم وسألني: وهل أنك حينما تزور لا يرد عليك؟ قلت: لا والله. ثم أصريت عليه ماذا تفعله يا بني؟ فقال: تمهّل وفتح الباب وأدخلني إلى البيت فشاهدت عجوزاً مسجاة ورجلاً مسناً قد تكورت عظامه. فقال: إن هذا أبي وهذه أمي. وأنهما عاجزان عن الحركة، وأنا ولدهما الوحيد وقد قسّمت حملهما لزيارة الحسين عليه السلام فليلة جمعة أذهب بأبي على ظهري ليزور الحسين عليه السلام ويلثم الضريح، وفي الجمعة التي بعدها أحمل أمي على ظهري، وأفعل ذلك. لكن حصلت لي صدفة وهي أن ليلة الجمعة صادفت ليلة النصف

من شعبان وكانت تلك الليلة حصة الوالد فحملته على ظهري وطفت به الضريح وزار الحسين عليه السلام وعدتُ به إلى البيت لكني شـــاهدتُ أمّي تتحسّر ولا تقول شيئاً وكانت تعلم أنها ليلة النصف من شعبان. إلا أنها كانت محرجة لما تراه من آثار التعب علي فسألتها: أمـــاه عنـــدك مطلب؟ فقالت: لا. واشتد بكائها وعلمت أنها راغبة جدّاً بزيارة الحسين عليه السلام لكنها تتجنب أن أُصاب بتعب وعناء يقول هذا الفتى للـــسيد حملتها على ظهري وطفت بها الضريح وزارت وهي فرحة وعدتُ بها إلى البيت فبعد ذلك أصبحت كلما أزور الحسين عليه السلام وأسلم أسمع الحسين عليه السلام يرّد عليّ السلام. فدعى له السيد بزيـــادة التوفيـــق وقدم له التهاني.

نماذج من أعمالٍ خالدة

يمرُّ الزائر متوجهاً من النجف الاشرف إلـــى كـــربلاء المقدّســـة فيشاهد عن يمينه وعلى مسافة ١٣ كيلومتراً مبنىً قديم يُعـــرف بخـــان المصلى وبعد ٢٠ كيلومتراً هناك مبنى مثله يعرف بخان الحمـــاد ـــ أو خان النص ـــ وهو منتصف الطريق ثم بعد ٢٠ كيلومتراً هناك مبنـــى ثالث يعرف بخان النخيلة. ويجدر ذكره أن أمثال هذه المبـــاني كثيـــرة ومتوزعة في إيران وتقع بين المدن في البراري والقفار وبين الجبال.

إن هذه المباني كانت يوماً ما ملاذاً للزوار والقوافل من عصابات السلب ومأمناً من الحيوانات المفترسة. ثم أن تكلُفة بنائها عاليـــة جـــدّاً بسبب نقل مواد البناء من مسافات شاسعة والسؤال هنا وهو أنه من بنى هذه المباني في إيران والعراق وقالوا أن مجموعها تسعة وتسعين مبنىً بعدد أسماء الله الحسنى باستثناء الاسم الأعظم.

طبعاً ما سمعناه من آبائنا وأساتذتنا القـــدامى أن المتبـــرع لهـــذا المشروع هو أحد أثرياء بغداد الكبار واسمه الحاج مصطفى كبة وقـــد نشأت الفكرة عندما تكررت اعتداءات عصابات قطاع الطـــرق علـــى الزوار وكذلك الضحايا العديدين بسبب الذئاب والأسود المنتشرة في هذه الصحراء الشاسعة وذكروا أن هذا الرجل المحسن كان أول بناءٍ من هذه الأبنية بدأ به هو خان الحماد (خان النص) وقبل مائة وعشرين عاماً أي عام ١٢١١هـــ. وعندما أراد أن يضع حجر الأساس كان بصحبته أكثر

من ثلاثين عالماً وفاضلاً. فاقترح اقتراحاً غريباً وهو أن الـــذي يـــضع حجر الأساس تتوفر فيه ثلاث خصال:

١ــ أن لا يكون صلى في عمره قضاءً ولا مرّة واحدة.

٢ــ أن لا يكون قد كذب في حياته ولا مرّة واحدة.

٣ــ أن لا يكون قد اغتاب أحداً في حياته ولا مرّة واحدة.

وهنا اعترت الجميع حالة الذهول ولم يجـــرأ أي أحـــد مـــنهم أن يضمن لنفسه ذلك ولما شاهد هذا قال: إذن من إذنكم جميعاً أنـــا أقـــوم بوضع حجر الأساس لأني أضمن هذا من نفسي.

أقول:

ما أطيب التُقى مع الغنى وتواجد الثروة وبهذا يكون المال نعمـــة كبرى يُنال به خير الدنيا والآخرة.

ومادمنا في الحديث والكتابة عن هذه الأرقـــام فهنـــاك شخـــصيةٌ أخرى أذكرها تخليداً لاسمه وهو التاجر الطهراني المعروف الحاج أسد الله الضرب وهو مدفون بالحجرة في الإيوان الذهبي لحرم الإمام أميـــر المؤمنين عليه السلام وهي نفس الحجرة المدفون فيها المرحوم الـــشيخ محمد حسين الغروي الأصفهاني (الكمپـــاني) وكـــذلك المـــدفون فيهـــا المرحوم السيد مصطفى الخميني النجل الأكبر للإمام الخميني وكـــذلك فيها علماء مثل السيد نصر الله صدر وغيرهم.

إن هذا الرجل المحسن وهو الحاج أسد الله الضرب كان من كبار أثرياء طهران وقد جمع أموالاً كثيرة وأدخرها لمشروع كان يطمح إليه ونجح في تحقيقه وهو أنه أدخل مائة علوي على مائة علوية في ليلـــة

واحدة في عملية زواج جماعي لم يشهد لها مثيل. وعلى نفقته الخاصـــة وأعطى كل علوي مبلغاً من المال.

ويذكر أنه بعد تحقيقه هذه الخطوة بأيام قلائل مرض وتوفي بعـــد أيام وكان قد أوصى أن يُحنّط جسده لينقل إلى النجف الاشرف.

تغمده الله برحمته.

يا أشباه الرجال ولا رجال

تتردد هذه الحكمة للإمام علي عليه السلام على أذهاننا حينما نصطدم بأفراد هم من جنس البشر ولكنهم في المضمون كالأنعام بل هم أضل سبيلا حتى قال الأديب:

أبنيَّ أن من الرجال بهيمةً   في صورة الرجل الجميل المبصر

وهذا المعنى أشارت إليه سيدة النسوان فاطمةُ الزهراء عليها السلام في خطبتها الكبرى وهي تتحدث عن معاناة أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت:

وبعد أن مُني ببهم الرجال وذؤبان العرب وبُهم جمع لبهيمة فكانوا على إشكال البشر لكن المحتوى بالعكس. وهكذا عبَّر الإمام الكاظم عليه السلام عن بعض الفرق المنسلخة من التشيع والتي تمردّت على الإمامة الشرعية فوصفهم بالكلاب الممطورة أو مثلاً حينما يصف القرآن بعض أحبار اليهود بالحمير فقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً...﴾، وهكذا يقول النبي صلى الله عليه وآله: رُبّ مركوبة خير من راكبها. ويقول الأديب:

كالعيس في البيداء يقتلها الضما   والماء فوق ظهورها محمول

في عام ١٩٧٣م ذهبتُ من النجف الاشرف إلى الديوانية لتجديد رخصة قيادة السيارة حيث كان هناك مدير شرطة المرور من أصدقائي

وهو من مسيحيي بغداد وهو المقدّم (زيّا ايليا) وكان يجدّدها لـــي فـــي خلال دقائق وكان يحترمني بشدة وهو من ضحايا صدام حسين حيـــث أعدم أخيراً وتخلص منه في مسرحية مؤامرة أو غيرها.

كنت أسير بسيارتي بين الشامية والديوانية وإذا برجل يمسك بحبل مربوط بحماره وكان يقودهُ، وعَبَرَ الشارع دون أن ينظر إلى الـــسيارة وما أن أطلقت صوت المنبه (الهورن) وإذا بالحمار تنحى عن الـــشارع ولكن الرجل بقي في وسط الشارع وكادت أن تقتله السيارة. فنزلت إليه وقلت: أنتما نفرين أحدكما إنسان والثاني حمار وعبرتما وضربت لكما المنبّه ولكن أحدكما انتبه وخرج عن الشارع والثاني بقي في الوسط فمن هو منكما الحمار ومن هو منكما الإنسان لقد اختلط عليّ الأمر.

حقاً إنها كارثة حينما تكون الصورة على شكل بشر ولكن العقلية بمستوى الدابة.

ورزق يطلبك

نقرأ ونسمع هذه الجملة من كلام الإمام علي بن أبي طالب سلام الله عليه وهي: الرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك.

فعلى مستوى ورزق يطلبك. حدثت حادثة جميلة عام ١٩٨٩م وهي أنّ زوجين شابين من جنوب أفريقيا كانا في قضاء شهر العسل في مدغشقر وهي مدينة جميلة تقع على سواحل الأرخبيل الأفريقي.

كان هذان العروسان يتمشيان على ساحل منتجع يبعد عن العاصمة ٣٠ كيلومتراً وبينما هما يتسامران وكانت المنطقة خالية من السواح لاحظا في السماء طائرة ركاب ضخمة وتطير بشكل فوضوي فمرة تأخذ يميناً ومرّة شمالاً وتقترب من الأرض مما دفع بهما أن وجّها عدسة تصوير متطورة كانت معهما إلى الطائرة وهكذا تواصل تصوير الطائرة حتى سقطت في البحر وانفصل جناحها الأيمن بعيداً عنها وغطست في الماء تماماً.

هذا وقد تحركت بعض السيارات في المنطقة وأعلنت صفارات سيارات الإسعاف. وبعد حوالي ساعة وصل مراسلوا وكالات الأنباء والفضائيات وهم يبحثون عمن كان حاضراً لحظة سقوط الطائرة ليزودهم بالمعلومات وسألوا هذين الزوجين ولما علموا بأنهما يحتفظان بشريط كامل لكل وحدات الكارثة تسابق المراسلون على شراء هذا الفلم منهما حصرياً دون أن يأخذا منه نسخة وأخيراً اشترته إحدى وكالات

الأنباء المهمة منهما بمبلغ ستة عشر ألف دولاراً أمريكياً. وهنا تحقــق المعنى الأكمل لقوله تعالى: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَــسِبُ... ﴾. أو كلمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: ورزق يطلبك.

أقول:

لعل هذا من مؤشرات قدم هذه الزوجة على زوجها؛ لأنّــه كمــا يروى المحدثون أن اليُمن والشقاء في ثلاث في المركب وهــي الدابــة وفي عتبة باب الدار وفي قدم الزوجة.

اللهم أرزقنا.

في المدرسة الشبّرية

كنت أتردّد على المدرسة الشبّرية في النجـف الاشـرف للقـاء أستاذي الخطيب السيد جواد شبر والذي كان هو المشرف على أدارتها آنذاك. وكان في هذه المدرسة علماء وطلاب مـن مختلـف الأعمـار والجنسيات وكان من جملتهم العالم اللبناني والكاتب الشهير الشيخ محمد جواد مغنية.

لقد كنت ألاحظ حالات خاصة عند هذا الرقم المبجّل فهـو قليـل الكلام جداً ولا يتفوه بكلام إلا للضرورة وما شاهدته مرة في المدرسـة بلا أن يكون بيديه كتاب ينظر إليه ويتطلع في محتوياته. وكنت اسـتفيد منه في تشخيص بعض المصادر والمعلومات التاريخية والعلمية.

كان رحمه الله يقول لي أن اليوم الذي لا أقـرأ فيـه كتابـاً أرى وجهي في المرآة كريهاً. وكان يوصيني إذا كنتَ خطيباً فما عليك إلا أن تقرأ الكتب وتطّلع على ما فيها. وإذا كنت طالب علم فما عليـك إلا أن تدرس. وذكر لي أنه حينما كان يزور السيد محسن الأمين العاملي فـي بيته بدمشق كان يستثمر الوقت بشكل عجيب وصارم فإذا جـاءه أحـد لشُغلٍ فلا يتحدث معه بأي أمر وإنما يجيب سلامه ثم يقول: قل حاجتك أو سؤالك. وبهذا استطاع أن يدوّن هذه الموسوعات والكتب.

كان هذا العالم الجليل وهو الشيخ محمد جواد مغنية يهوى الشعر وخصوصاً الرثاء فكان يطلب مني وأنا في غرفته أن أقرأ شـعراً فـي

رثاء الحسين عليه السلام فكان يبكي عند استماعه.

أقول:

لقد عاش هذا الرجل في النجف الأشرف عيشة كفاف وبساطة أعجز عن وصفها وعلمت بطريقة غير مباشرة أنه كان يتكتم على ذلك ولا يتظاهر إلا بعكسه وإنه كان أحياناً لا يذوق اللحم إلا في الشهر مرّة أو مرتين.

إن هذا الرجل المعظم والشاعر والكاتب والمصلح لم يسلم من الحملات التي كان يشنّها بعض المنتمين لأجواء الحوزة وذلك بسبب ذوقه العصري وذهنيته المنفتحة وكان له نصيب من حملات التسقيط وللأسف.

في غرفة وزير المواصلات

عام ١٩٦٧م كان من الأعوام الذهبية في العراق حيث تنامت الصلة بين الرئيس عبد الرحمن عارف والسيد الحكيم زعيم الشيعة الروحي آنذاك. وبالخصوص حينما كان تلفزيون العراق يعرض رسائل متبادلة بين السيد الحكم والرئيس عبد الرحمن عارف ويخاطبه السيد الحكيم (ولدنا الرئيس عبد الرحمن عارف). وفي هذا السياق عزم السيد الحكيم على السفر إلى الحج ورغم أن تجار الشورجة استأجروا له طائرة لنقله لكن الرئيس عارف خصص طائرته الخاصة لنقل السيد الحكيم وخرجت مع السيد الحكيم من النجف الأشرف قرابة ٣٠٠٠ سيارة لتوديعه إلى المطار في مشهد لم يألفه العراقيون من قبل. وكان في توديعه عند باب الطائرة الفريق طاهر يحيى رئيس الوزراء آنذاك كما شكل الرئيس العراقي لجنة طبيّة لمرافقة السيّد الحكيم في سفره وهم ثلاثة من كبار أطباء العراق. السيد كاظم شبّر أخصائي في الجراحة والعظام، حسين طالب وهو متخصص في الباطنية وجرّاح، جعفر حبه أخصائي بالأمراض الصدرية. وكانت سفرة رائعة بكل مواصفاتها.

لقد أصبح رجل الدين الشيعي في العراق آنذاك نافذ الكلمة ويُعامل باحترام وتقدير وكان الشهيد السيد محمد مهدي الحكيم عندها عالماً في بغداد وممثلاً لوالده وزعيم مجلس العلماء ببغداد وكانت أبواب القصر الجمهوري مُشرعةً له في كل وقت وكان يتردد على كبار المسؤولين

يرافقه عدد من وجوه العراق وفي طليعــتهم المرحــوم الحــاج أحمــد الشمرتي وهو من وجهاء النجف الأشرف والشيخ طه الحسّون من كبار وجهاء الكاظمية.

بعد هذه المقدمة الموجزة أذكر القصة الآتية:

كنت بحاجة ماسة للتلفون وقرّرت التوجّه إلى وزير المواصــلات وهو عسكري متقاعد برتبة لواء واسمه (عبد المجيد الجميلي) وهو من غرب شمال العراق. وكانت وزارة المواصلات آنذاك في مبنى قــصر عبد الإله الوصي على العرش أبان العهد الملكي.

كان عمري آنذاك عشرون عاماً لكنّي بحكم مهنتي وتلمُّذي علــى يد الخطيب الشهيد السيد جواد شبر والــوائلي أتقــن لغــة التخاطــب الدبلوماسي وأُطّعم الحديث بالشواهد الأدبية وكنت أنجح في كثير مــن مراجعاتي للمسؤولين. حتى أن السيد مهدي الحكيم كان يمازحني فيقول لو كنت تعمل معي سكرتيراً لكان أمراً جيداً لي.

دخلت على هذا الوزير بعد أن تأخر وصوله حتى الساعة العاشرة صباحاً ودخلت عليه وكان رجلاً كبير السن وقوراً. وتأثرت ببيت مــن الشعر كان قد خطه على لوحة على طاولته ولم أعرف ناظمه غير أني حفظته على الفور والبيت هو:

وأعزُّ مــا يبقــى ودادٌ دائــمٌ   أن المناصب لن تدوم طويلاً

لقد حفظت البيت فوراً وقرأته وجرى الحــديث عــن المنــصب والمناصب فوجدت الوزير مولعٌ بالأدب. وأخذت أذكر أبياتاً للمرحــوم الشيخ عبد المنعم الفرطوسي وهو يقول في أحدى قصائده:

وخلاصة الأحداث لا وطنيه فيها ولا وعيٌ بها متقدم
إن المناصب غاية منشودةٌ وطريقها هذا الصراع المؤلم
وطن يباع وأمة مقهورة فيه تُضام وفيئها متقسّم

فانشرح واستطاب الحديث وكتب هذه الأبيات وغيرها وأصرّ على البقاء حتى الغداء لكني اعتذرت وتقرّر أن نلتقي بعده وأصدر لي أمراً خاصاً بمنحي خط هاتف لمنزلي في النجف الأشرف وأتذكر أن الرقم كان هكذا ٣٣٧٠٠.

أثناء وجودي وفي اللحظة الأخيرة دخل مدير مكتبه وأخبره أن عالماً من النجف الأشرف جاء لزيارته وفعلاً دخل وإذا به المرحوم الخطيب محمد حسن الشخص وكان رحمه الله (پهلوانياً في مثل هذه الأمور) وجهوري الصوت. ورحب به الوزير وهو يقول: اليوم بركة إذ توافد علينا الشيوخ.

لقد أخرج السيد الشخص قرآناً صغيراً وقال للوزير: إن سماحة الإمام الحكيم أوفدني إليك وهو يسلم عليك وأرسل إليك هذا القرآن الصغير هدية خاصة وتذكاراً لكم لتضعه في جيبك فنهض الوزير من كرسيه وقبل القرآن مرتين وهو يقول هذه قبله للقرآن الكريم وقُبلة للسيد الحكيم حفظه الله. وفعلاً قضى أمره وخرجنا سويّاً.

لقد كنتُ منفتح المزاح مع السيّد الشخص واكلمه بالفطرة فبعد خروجنا لانتظار التاكسي في الشارع سألته: أبو نزار أقسم عليك بالله هل صحيح هذا القرآن من السيد الحكيم؟ فردّ علي (ولك هذا بالقيصرية يباع بـ٢٠ فلس وأنا وين شفت سيد محسن الحكيم) فقلت له (عاشت

أيدك).

وقد اشتهر السيد الشخص بروحه المرحة واللطائف والقصص الجميله والنكات وطريقته وإبداعه في إحياء كل مجلس يحضره وقد جنى من ذلك علاقات وموارد ماليه ضخمة. ومن باب الكلام يجرّ الكلام أذكر هذه القصة وهي:

لقد وقعت نفورة بين تاجر مهم في الكويت وزوجته وهو صديق للسيد الشخص ولكن الطرفين لا يريدان الافتراق كما لا يتنازل أحدهما للآخر بحكم أن المرأة من عائلة ثريّة وتطور العناد بينهما. وأخيراً تدخل السيد الشخص وكنت أذهب معه فكان يلتقي الزوجة ويتحدث معها بشكلٍ وكأنَّ زوجها لا ينام ليله ولا يأكل طعامه حزناً على فراقها: ثم نذهبُ إلى الزوج وبنفس السمفونية وبالتالي نجح نجاحاً باهراً بحيث تضاجعا. وعند اليوم الثاني أعطاه الزوج ألفي دينار وأعطته الزوجة ثلاثة آلاف دينار!!! وكان هذا عام ١٩٧٢ حيث مدخوله من القراءة طوال السنة لا يتجاوز الألف دينار. لكن طُرقُ رزق الله لعباده تختلف واتسمت حياته رحمه الله بهذه الحالات وغفر الله لنا وله يوم نلقاه.

دفاع وشهادة

هذه السطور هي ليست مجاملة ولا مزايدة أو محاباة وأدوّنها شهادةً للتاريخ والأجيال. والله أدرى بما عندي وهو العالم بالسرائر.

إنني كثيراً ما أصطدم بأشخاص ومنهم ظاهرهم العلم والتدين والوقار فأسمعهم بملئ أذني يشتمون ويلعنون المرحوم السيد موسى الموسوي حفيد السيد الأصفهاني وتنصّب أكثر هذه الشتائم على صلاته وعلاقاته بكبار البعثيين مثل أحمد البكر وصدام حسين وسعدون شاكر رئيس المخابرات العامة وغيرهم. ثم ما كتبه من كتب مثل الشيعة والتصحيح والصرخة الكبرى وغيرها.

أنني لا أبّرأ ساحة هذا الرجل ولكن أذكر ما وقفتُ عليه بنفسي من أعمالٍ له كان لها الأثر الكبير في سجلّ أعماله.

إن السيد موسى الموسوي ولد في النجف الاشرف في أواسط الثلاثينيات وبعد مقتل والده السيد حسن بشهرين حيث أمه كانت حاملة به. وقتل أبوه في الصحن الحيدري الشريف خلال صلاة العشاء على يد رجلٍ معمم من الإفغان.

تولى تربيته جدّه السيد أبو الحسن وكان متفاعلاً معه جداً ومتعلقاً به كونه ولد يتيماً وأن حفيده من أعقل وأرشد أولاده وهو السيد حسن وكان السيد أبو الحسن الأصفهاني لا يقوى على مفارقته لحظة واحدة.

بعد وفاة السيد الأصفهاني سافر السيد موسى إلى إيران وأكمل

دراسته الجامعية في طهران كلية الآداب قسم الفلسفة ثم عمــل أســتاذاً مساعداً لسنتين ثم رشح نفسه لعضوية المجلس الوطني (البرلمان) وفاز بنسبة عالية من الأصوات وأصبح له مركز سياسي (مستفيداً من انتسابه للسيد جدّه) ثم اندفع إلى حلبة الصراع السياسي ولمع في معارضة الشاه حتى قاده ذلك إلى قاعة المحاكمة والسجون ثم هرب من إيران منــتحلاً اسماً مستعاراً وظهر في مصر. واستقر هناك وهو يهاجم الشاه وانضمّ إلى مجموعة من الإيرانيين ومنهم الخطيب المعروف والــشاعر وهــو الشيخ بهلول وساعده على هذا توتر العلاقات بين مصر وإيران (الشاه) آنذاك. وكان يذيع من إذاعة مصر بياناته وتعليقاته الفارسية والعربيــة وكان لذلك صداه في إيران والعالم العربي. وأقام علاقة ودٍ خاصة مــع الرئيس جمال عبد الناصر.

في أواسط السيتنيات دبّرت له الاســتخبارات الإيرانيــة طريقــة لاصطياده عن طريق صحفية شابة رافقته وأقامت معه علاقــة عمــل تطورت إلى صداقة وربما إلى... وبعد فترة دعته إلى ڤينا للاشتراك في برنامج سينمائي سياسي ضدّ إيران واستغفلته مستغلةً ثقته بها فرتبت له ولها بطاقة الطائرة من القاهرة إلى ڤينا. ولم يكن يعلم أن فــي مــسير الطائرة تبديل الرحلة في مطار أورلي وما أن نزلا في المطار الفرنسي السويسري إلا وكان أفرادٌ من السافاك الإيراني بانتظاره وعلى الفــور وبتنسيق مُسبق قبضت عليه الشرطة الفرنسية أما الفتاة فتــوارت عــن الأنظار واختفى أثرها.

بقي السيد موسى الموسوي في السجون الفرنــسية لفتــرة. لكنــه

تعامل بذكاء للتخلص من محنته الخطيرة لأن الشاه كان قد عقد اتفاقيــةً مع الجنرال ديجول (رئيس فرنسا) على تبادل المجرمين وأنــه حتمــاً سيُسلم إلى إيران فطلب من زنزانته إحــضار موظــف مــن الــسفارة المصرية. وفعلاً زاره دبلوماسي مصري فطلب إليه أن يبلــغ الــرئيس المصري بالتدخل سريعاً. ثم أخبره بأنه من مواليد العراق وأن والده من مواليد العراق وبموجب قانون الجنسية العراقي فهو عراقــي بــالولادة المضاعفة وليس بإيراني. وبعد أن دوّن الدبلوماســي المــصري ذلــك عكسه إلى الخارجية المصرية ثم مكتب الرئيس.

لقد تدخل عبد الناصر في الأمر وتشاور مع الــرئيس العراقــي آنذاك عبد السلام عارف وأبلغه خطورة وضع السيد موسى الموســوي في السجون الفرنسية وفعلاً أصدر الرئيس عارف موســوماً بعراقيتــه استناداً إلى قانون الجنسية العراقي. وجاء سفير العــراق فــي بــاريس بشهادة الجنسية العراقية للدكتور السيد موسى الموسوي إلى الــسلطات الفرنسية. وطالب بإخلاء سبيله كونه من رعايا الدولة العراقية. وبعــد أخذ ورد أمتد إلى ٧ أشهر فشل شاه إيران في خطّته لاسترداده وأخلت فرنسا سبيله واتجه إلى العراق وتم تعيينه أستاذاً في جامعة البصرة.

كان السيد موسى الموسوي متسامحاً غير مبالٍ وعــرض عليــه الرئيس عارف حراسة لحمايته فرفض. وبعد ٩ أشــهر قــضاها فــي البصرة وكان يتمشّى ليلاً على ضفة شط العرب (الكورنيش) مع زميل له فصعد إليه رجلان من عملاء السافاك وقد عبرا النهر بزورق خفيف. ويبدوا أنهما كانا يترصدان حركاته في البصرة منذ فترة وأطلقا عليــه

النار. وهربا وكان زميله يصرخ فعاد الرجلان وأردياه قتيلاً في الحال واختفيا.

أما الدكتور الموسوي فقد حمل إلى المستشفى وأجريت له عملية كبرى واستخرجت الرصاصات من بدنه وبعد مضيَّ شهر غادر المستشفى وانتقل إلى بغداد. واستمر يدرّس في جامعة بغداد. وعيّنت له السلطة حارساً يرافقه.

أثناء توتر العلاقة بين إيران والعراق أيام حكم البعثيين قويت صلاته مع رجال الحكم وكان يعقد اجتماعات مطولة مع البكر وصدام وغيرهم من كبار المسؤولين.

أقول:

لقد كانت لي صداقة قوية معه بسبب صلاته العميقة مع عديلي السيد محمد علي ابن المرحوم المرجع الديني السيد عبد الله الشيرازي وللدكتور الموسوي فضل كبير على عديلي المذكور وأنقذه أكثر من مرة من عدة منعطفات خطيرة كادت أن تقضي على حياته. كما له عليَّ أنا فضل كبير.

لقد كان الموسوي لبقاً حاداً في ملاطفاته وحينما يتحدث ينجذب إليه القريب والبعيد. لملاحة حديثه.

وأتخطر مرة أنه عين عضواً في لجنة مناقشة رسالة دكتوراه لأحد الطلبة وكانت تعرض من الراديو. وأبدى الدكتور الموسوي براعة في مناقشة الطالب وبالتالي لم يستطع الطالب الإفلات من حجج الدكتور الموسوي: وأُمهل الطالب سنة أخرى لتعديل رسالته وكان من الصدفة

أن الرئيس البكر مستلقٍ على فراشة ليلاً ويستمع إلى المناقــشة وعنــد الصباح طلب من الدكتور الموسوي يحضر إليه. وكنت أنا عنــده فــي داره في حي العدل فتركني وذهب. ولما عاد ظهراً وإذا بيــده ســاعة ذهبية أهداها إليه الرئيس البكر مع مبلغ ألف دينــار إعجابــاً بموقفــه وتسلطه وجدّيته.

إنني أُشهد الله والرسول بأن ثلاثة على الأقل أنقذهم من الإعــدام هم السيد قاسم الموسوي ابن عمه ومحمد رضا اليزدي المدرسي والسيد جابر آغائي وهكذا غيرهم.

كما كان يقضي حوائج هذا وذاك بمجرد اقتناعــه بأنــه يــستحق المساعدة وكم أنقذ عدداً كبيراً من السجون وأتذكر أني قــصدّته لإنقــاذ الخطيب السيد جابر آغائي الذي مضت عليه ٣ أشهر وهو في غياهب المخابرات. وبعد أن قُبض عليه في محافظة ميسان (العمارة) حيث كان يقرأ هناك في شهر رمضان عام ١٩٧٦ ووصلتنا أنباء سيئة ودقيقة بأنه قد يموت تحت التعذيب وثارت نفسي فركبت سيارتي صباحاً وقــصدت داره ودخلت عليه وهو مستلقٍ وأخفيتُ غرض قصدي إليه لأنــه كــان متوتراً لأمر عائلي لكن وبعد ساعات انفتح صــدره ودارت ملاطفــات وهنا بادرني بلهجته الودية (يا خبيث ما الذي جــاء بــك)؟ فــضحكت وقلت: نعم، والحاجة كبيرة. وشرحت له وكان يصغي إليّ وهو يلــتهم قطع الجبن الذي كنت أجلبه له من النجف الاشرف حينما أقــصده مــع الطرشي النجفي من طرشي الحاج حجيجو.

قاطعني بحدّه وهو يتساءل لابد من سبب لاعتقاله وأنا لا أعــرف

أسباب ذلك ورفض بشدة التدخل فأمسكت عـن الكـلام ثـم غطـت الملاطفات والمزاح أجوائنا فعدت للحديث عن محنة السيد جابر وأنـه يعذّب في السجون. فتأثر (وكان هذا السيّد حنوناً عاطفياً بشكل عجيب) فلما سمعني أتحدث عن تعرض السيد جابر للتعذيب تأمل ثم قـال: إن هذا السيد ضعيف البنية وكبير في السّن وهؤلاء أعداء الله لا يرحمونه. فسكتُ وأخذ يتأمل ثم لاحظته وهو يسحب التلفون بيده ثم طلب رقماً من ٤ أعداد والأرقام ذات الأربع أعداد هي لبدالة القيادة والقـصر فقـط. فتحدث قليلاً. مع مسؤول ثم قال لي امشي معي وأنت تقـود الـسيارة وجئنا وعبرنا الحواجز ووصلنا إلى دائرة الأمن العامة وتركنـي فـي غرفة الاستقبال وذهب ولم يعد إلا بعد ٣ ساعات وهو يصرخ من بعيد لقد أخرجوه وذهب إلى أهله. وعلمتُ أنه كان عند فاضل البراك مـدير الأمن العامة.

وبعد أن ركبنا السيارة قال أنا أقنعت البراك بأن يمـزق الملـف بكامله حتى لا يقبض على هذا السيد مستقبلاً وأنت عليك أن توصيه أن لا يتعرض للمسؤولين. فإنه على المنبر في العمارة قد شـتم خيـر الله طلفاح محافظ بغداد وخال صدام حسين.

بعد خروجنا من المنطقة تفاجئنا بدكان يبيع عصير الفواكـه وإذا بالسيد جابر واقف عنده يشرب عصيراً وهو نحيف ومـصفر البـشرة فقلت للسيد الموسوي: هذا سيد جابر. ووقفنا فتريّبَ منا قليلاً فـصحت: أبو فارس أبو فارس هذا الدكتور الموسوي هو كان عند المدير العـام. ففرح وسلم عليه والدكتور يتحدث بصوت عالٍ عذبوك هؤلاء الزنادقـة

فكان السيد جابر يرتجف وينظر يمنةً ويسره ثم قال: إنـــي علمــت أن حركة حدثت لأنهم فاجئوني في الزنزانة بأن أجمع ملابسي وأغراضي وفوراً جاؤوا بي للباب الخارجي وقالوا أذهب إلى أهلك.

سبحان الله هذه الحالة حولت السيدين إلى صداقة صافية فطريـــة وكم وكم بعدها كان السيد الموسوي يتصل بالسيد جـــابر فـــي النجــف الاشرف ويقول إني منتظرك على الغداء وكان لا يقوى على عدم رؤيته أكثر من يومين فأما هذا يتغدى عند ذاك وبالعكس. حتى هاجر الــسيد جابر للكويت وهاجر الموسوي إلى أمريكـــا وهـــاجرت إلـــى إيـــران وأصبحنا كما قال الشاعر:

وكنا في اجتمـــاع كالثريـــا فصيّرنا الزمان بناتِ نعشِ

استمرت معه اتصالاتي الهاتفية من إيران ومن لندن حتى تـــوفي هناك رحمه الله.

نعم، أترحم عليه وأُأكد بأنه رغم ما كتب وما نُسب إليـــه؛ لكنـــي يخامرني هذا التفكير بأنه ربما يكون عند الله أحسن عاقبةً من عدد من كبار مراجعنا، والله أدرى بالسرائر والأعمار رهينة خواتيم الأعمـــال. والله تعالى يقول: ﴿ ...إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ... ﴾ هذا مختـــصر لما في نفسي عن هذا السيد المرحوم.

السيد مهدي الروحاني وشاه إيران

السيد مهدي الروحاني هو أحد ثلاثة أخوة وهم علماء وينتمون إلى أسرة علمائية من مدينة قم ومنذ سنين طويلة.

وهذا السيد أرسله شاه إيران ممثلاً روحياً له وعالماً للشيعة في أوروبا وأقام في باريس أكثر من خمسة عشر سنة وفي حياة عصرية فارهة جداً.

المهم في الأمر هو:

كيف تعرّف الشاه على هذا العالم وبالتالي أرسله إلى هناك.

تتلخص القضية كما يلي:

توفي عالم من علماء هذه الأسرة وكان من المعتاد أن يرسل الشاه شخصية من البلاط تقدّم المواساة والتعازي لأسرة الفقيد. وكانت هذه الشخصية هو شريعتمدار مستشار الشاه للشؤون الدينية. ويقضي العُرف بأنه بعد فترة يتوجه فردٌ من الأسرة ومن الشاخصين فيها إلى البلاط لتقديم الشكر على ذلك. وهنا قررت الأسرة إيفاد السيد مهدي الروحاني إلى البلاط الشاهنشاهي لردّ الزيارة.

لقد توجه السيد مهدي وكان يتميز برشاقة بدنه وجمال صورته ونظام ملابسه على الطراز الآخوندي المتحضّر فكان يلبس قميصاً جميلاً وبنطولناً وعليه جُبةٌ رائعة ويلبس الحذاء الأوروبي والذي كان ممنوعاً استخدامه في الحوزة وعلى رأسه عمةٌ ملفوفة بشكلٍ عصري

وتعلو جبهته جدائل شعره الجميل ولما استقرّ في البلاط واجتمع به الشريعتمدار طلب منه التريث ودخل على الشاه وأقنعه باستقبال هذا السيد العلَم وشرح للشاه بأن هذه الأسرة العلمائية يقتضي شأنها أن يتفضل الشاه باستقبال موفدها.

ويجدر هنا أن أذكر أن الشاه كان يكره المعممين كُرهاً شديداً وينظر إليهم بازدراء ويحمل عنهم صورتاً أنهم متخلفين ومبعثري الإشكال ووو... وأنهم رجعيين.

هنا رضخ الشاه لاقتراح مستشاره شريعتمدار وأخيراً أُبلغ السيد أن الشاه يستقبله لخمس دقائق فقط. ودخل السيد فرحب به الشاه ترحيباً بارداً وكان يمشّط كلبه الذي وضعه على الطاولة واسمه (دارا) ولربما استعمل ذلك استخفافاً وتحدياً للعلماء.

وما بعد ذلك:

ما أن جلس السيد وجلس أسد الله علم وشريعتمدار حتى بدأ الشاه يحدّق بتركيز على السيد وجماله وجمال عمامته ونظافة ملابسه وشعره المتدلي وحركاته الأنيقة حتى انفتح وعلته ابتسامة ودفع بالكلب جانباً إلى الخدم، ثم وضعوا أقداح الشاي على الطاولة. وهنا قدّم الشاه للسيد علبة سكائر أجنبية وهي نادرة وغالية آنذاك لكن السيد امتنع وشكره فسأله الشاه مبتسماً هل أنك لا تدخن وهل أن التدخين عندكم العلماء حرام فأجاب مبتسماً لا يا صاحب الجلالة ليس بحرام ومراجعنا يدخنون وأنا أدخن أيضاً لكني امتنع احتراماً لشأنكم. فانفتح الشاه أكثر وعاد بعلبة السكائر فقدم له ذلك ملحاً عليه بأن يدخن فردّ السيد بأني أدخن

شيئاً آخر فقال له الشاه: ما هو وما نوعية السيكارة؟ فقال السيد مبتسماً: أنا أدخن البايب (وهو يسمى بالشعبية سبيل) فاهتز الشاه متعجباً وهو يسأل (آخوند بيب ميكشد خيلي عجيب است) وترجمتها بالعربية هو (عالم يدخن البايب إن هذا عجيب) ثم طلب من السيد أن يُخرج البايب ويدخن وقال له إنني يعجبني أن أرى ذلك فأخرج السيد البايب وكان ذهبياً على شكل طائر ومنقاره ذهبي وملئه بالتبغ والشاه مدهوش بهذه المفاجئة إذ أنه لم يكن يتصور وجود رجل دين على وجه الأرض بهذه الروح والرشاقة والتحضّر وتأمّل مبتسماً مُعجباً ومستأنساً وطالت الجلسة إلى حدود الساعة خلافاً للبروتوكول المعمول به ثم أستأذن السيد وخرج. وعلى الفور طلب الشاه مستشاره الشريعتمدار وقال احتفظ بهذا الرجل فإنه سينفعنا. وبعد فترة أوفده الشاه إلى أوروبا وبمخصصات مالية عالية وعاش هناك حتى مات في أواسط التسعينيات ونقل جثمانه إلى النجف الاشرف ليدفن هناك.

كِدنا أن نُقتل

ذات ليلة مطيرة وكنت بصحبة الشهيد السيد جواد شبر وبالضبط عام ١٩٦٢م وأنا عندها ابن الستة عشر عاماً وكنت تلميذه وأقرأ قبلــه المقدمة. فقال لي رحمه الله: تذهب معنا إلى الجريويه. فسألته: وأيــن؟ لأني كنت أتجّنب السفر لمسافة طويلة قال: لا هي قريةٌ قريبةٌ وتقع بين بين أبو صخير والنجف الاشرف ويذهبوا بنا بــسيارة نجــري العقــد الشرعي لعروسين ونتعشى ونعود. فرحبت بذلك.

تحركنا بعد صلاة المغرب والعشاء من منزله في منطقة الجديــدة واتجه بنا السائق إلى طريق أبي صخير ثم انحرف يميناً إلـــى منطقــة خضراء تعج بالنخيل وأصوات الكلاب وقرى ومزارع وأبقار وغيرهــا ونزلنا في غرفة كبيرة من الطين وشممت رائحة الطعام الذي كان يُعّــد للضيوف.

لقد جاء رجلان ولكن يعتريهم الوجوم واحدهما كبير السن وربما يقارب السبعين عاماً أو أكثر ودعوا السيد جواد لينتقــل إلـــى الغرفــة المجاورة حيث العروس فيها مع لمة من النساء. فسأل السيّد جواد: أين الزوج؟ وإذا بهذا الرجل المسّن قال: أنا سيدنا. فتفاجأ السيد وقال: كيف؟ ثم ابتسم وسأل: هل هي زوجة أخرى؟ قال: لا سيدنا (فهمنا بعدها بأنها الثالثة ولكن؟؟؟) فقمنا أنا والسيد أمامي وجلس السيّد بباب الحجرة لكننا لاحظنا توتراً في الأجواء مما أثار عند السيد جواد الحيرة والتردد ثــم

سألها السيد عن اسمها فذكرت أسمها ثم سألها عن عمرها فأجابــت ١٩ سنة فصعق السيّد رحمه الله وقال لها بصراحة: هــذا زوجــك فــلان وعمره كذا صارحيني هل أنت راضيه؟ فالتقطت أنفاسها بشدة وقالــت: سيد (أعقد الله وما قسم) ثم أجهشت بالبكاء وإذا بامرأة غليظــة الطبــع جالسة بجنبها صفعتها وصاحت (شهالبلوه ولچ يقتلوج) وهنــا ثــارت أعصاب السيد جواد وعاد إلى الغرفة وأنا أتبعــه ثــم ثــارت ضــجة وأصوات شتائم وتهديد. فأومأ إلى السيد جواد بالخروج فخرجنا بطريق المعجزة حيث تصاعد التوتر وما أن حركت السيارة بأمتار حتــى دوى إطلاق الرصاص يميناً وشمالاً وأندفع السائق بالسيارة بــسرعة لــشدة خوفه واضطرابه فكادت تنقلب يمين الــساتر الترابــي وكــان دخــان الرصاص يغطي المنطقة وعدنا إلى النجف الأشرف وكنت تلك الليلــة ساهراً ارتجف وقد صنعت لي المرحومة والــدتي بعــض الأعــشاب فشربتها. ولكن لم أهدأ لفداحة الموقف.

التقى والدي المرحوم صباحاً بالسيد جواد شبر والذي كان يناديــه بشيخي لأنه درس النحو أيام شبابه عند والدي.

لقد سأله والدي ما الذي حدث فأجاب رحمه الله: بأني لم أُصدم في عمري كما صدمت ليلة أمس ولم أنم حتى الصباح. وفعلاً قال له الوالد وهكذا ولدنا حسن خشينا عليه لشدة اضطرابه.

ما هي حقيقة القضية:

أكتشف السيد جواد شبر بعدها بأيام أن هذه البنت المسكينة جاؤوا بها للعقد إكراها وتحت التهديد وذلك ثمناً لحادثة قتلٍ وقعت بين قبيلتين

وتم فصل المشكلة بثلاث بنات شابات والأولى وهي أجملهن وأصغرهن وهي حصة الرجل المسّن الذي هو والد القتيل. أما البنتين فهما الأولى نصيب أخ القتيل وعمره قرابة ٥٠ سنة وهكذا الثالثة للأخ الثاني للقتيل وعمره خمسة وأربعين سنة. وتسمى الأولى بالفصلية والثانية بالتلوية وهكذا الثالثة وكانوا يعتزمون عقد الثلاثة تلك الليلة.

طبعاً كانت هذه القواعد هي الحاكمة للوضع العشائري آنذاك ونظام الإقطاع في الفرات الأوسط وفي الجنوب. لكن المرحوم الزعيم عبد الكريم قاسم استطاع استئصالها بالتدريج وهي من الخدمات الكبرى والمهّمة التي خدم بها الشعب العراقي. لكن جذورها وبعض شظاياها بقيت لفترة.

لقد كانت هذه الحادثة لفتةً مهمة في مقتبل حياتي وبقيتُ عشرات السنين اذكرها أو نتذاكر بها أنا وأستاذي الشهيد السيد جواد شبر وكان يصفها دائماً فيقول: إن الله أعطانا تلك الليلة عمراً جديداً.

شاه إيران والسيد البروجردي

في أواخر الخمسينيات أجريت عمليــة جراحيــة للــسيد حــسين البروجردي والذي كان آنذاك مرجعاً أعلى للطائفة في العالم وقرر شاه إيران (الشاب آنذاك) أن يقصد مدينة قم لعيادته ومعه مجموعــة مــن الأطباء وفعلاً وصل إلى قم إلى منزل السيّد ودخلــت معــه حاشــيته ومستشاره للشؤون الدينية آقا شريعتمدار وهــو رجــل مــسن وكــان مستشاراً لأبيه البهلوي وبقي مستشاراً لأبنه بناءً على توصيته له مــن والده.

لما دخل الشاه على السيد البروجردي الذي كــان مــسجىً علــى فراشه ويحيط به رجال مجلس الاستفتاء وهم كبار تلاميذه ومنهم السيد الخميني رحمه الله. والسيد فضل الله الروحــاني والميــرزا الاشــتياني والشيخ مرتضى الحائري وغيرهم.

لقد صُدم الشاه (الشاب) حينما شاهد هؤلاء كلهم نهضوا احترامــاً له إلا سيّد واحد لم يتحرك وكان يردّد بصوتٍ عالٍ (يتوقع أن أنهــض له) فاستاء الشاه استياءً بالغاً. وأخذ يستعرض بعض همومه مع الــسيد البروجردي ثم عرج على استيائه من بعض رجــال الــدين وبعــض تصرفاتهم المزعجة له ثم قال للسيّد مستشهداً وأشار إلى السيد الخميني فقال مثل هذا (الآقا) لم يتحرك وتجاهلني فقال له السيد من هو فنطــق القائممقام لمدينة قم قال أنه آقا روح الله. لكنّ السيّد البروجردي تعامــل

بذكاءٍ كبير فكان يرددّ نعم نعم إنه آية الله حاج سيد روح الله وكررها ثلاثاً ليُفهم الشاه ومن حوله بأن هذا السيد ليس إنساناً عادياً بل هو (فرسُ الرهان) مستقبلاً. ثم خرج الشاه مع مرافقيه وكان مُحبطاً لما شاهده.

لقد أعطت هذه الحالة للشاه صورة كاملة وواضحة عن شخصية السيد الخميني. لذلك تعامل الشاه معها بحذر دقيق وقام بخطوة استباقية ليرمي بكُرة المرجعية في النجف الاشرف لأكثر من سبب. وأهم هذه الأسباب هو تطويق السيد الخميني من ممارسة أي تصدٍ لخلافة السيد البروجردي في المرجعية. وكانت التقارير تصل إليه تباعاً من معممين مركزيين في داخل الحوزة. فابرق الشاه فور إعلان وفاة السيد البروجردي إلى السيد الحكيم في النجف الاشرف.

وللعلم فإنه كان مكرهاً على ذلك حيث أنّ السيد الحكيم عربي ولكن الشاه لم يجد بداً عن ذلك لضيق الفرصة وطبعاً!!! كانت برقية الشاه هي (فصل الخطاب) في مسألة تعيين المرجع الأعلى.

وجرى ذلك بتنسيق دقيق مع السيد إبراهيم اليزدي صهر السيّد الحكيم والناشط جداً في إدارة مرجعيته والذي يتمتع بعلاقات رصينة مع أسد الله علم وزير البلاط الشاهنشاهي. ثم أعلن الشاه ثورته البيضاء وإجراءاته الحضارية مثل مساواة المرأة مع الرجل وتوزيع الأراضي على الفلاحين وغير ذلك لكن السيّد الخميني أخذ يتبوأ مكانه ولمعت شخصيته وتألقّ في معارضته للشاه وتطورّت الأمور حتى كانت حادثة مدرسة الفيضية وخطاب السيد الخميني وكانت تلك نطفة قيام الثورة الإسلامية في إيران.

اغتيال الجنرال تيمور بختياري

الجنرال تيمور هو رئيس جهاز السافاك في إيران لعدة سنوات وهو أحد الشخصيات المخابراتية والسياسية المهمة التي يعتمدها شاه إيران محمد رضا پهلوي. وهو من العناصر التي يدور حولها الكثير من الجدل. وقد انقلب على الشاه وهرب إلى لبنان لاجئاً سياسياً وذلك أيام الرئيس اللبناني شارل حلو. لكنه خشيَ تسليمه للشاه. ففّر إلى العراق طالباً اللجوء السياسي وفي فترة كانت علاقات العراق مع إيران تزداد توتراً. وقد أقام في بغداد في قصر السلام وتحيطه حراسة مشددّة.

لقد كنت أقرأ عند الإمام الخميني في النجف الاشرف في مجلسه أيام الفاطمية الثالثة وفي الليلة الثانية علمت أن شخصية مهمة ستزوره وذلك بسبب تواجد أعداد هائلة من رجال الأمن في المنطقة. ثم أن الإمام الخميني شاورني بأن أختصر الموضوع قليلاً. وفعلاً انتهينا من المجلس وبقيت حاضراً. وما مرّت دقائق حتى صعد الضيوف وإذا به الجنرال تيمور بختياري ومعه عدة نفر من زملائه وعدد من الحرس ومعهم محافظ كربلاء آنذاك شبيب المالكي (أبو فارس). وقائممقام النجف الاشرف كاظم عبد الرضا (أبو سحر) لقد شاهدت الرجل وهو يتحدث للإمام الخميني لكن الأمام لم ينفتح عليه ووعده بأن يدرس مشروعه وينظر فيه وكان الكلام أغلبه للرجل أما الإمام فكان يصغي فقط وبعد انقضاء ساعة من الزمن نهض الإمام وأعلمهم بأن موعد

ذهابه إلى الحرم قد حلّ وخرج فشاهدتُ الإحباط بدأ علـــى وجـــوههم جميعاً وخرجوا وهم في انتكاسه.

وانتهى أمر هذا الجنرال أنه كان أحياناً يخرج إلى الصيد معـــززاً بحراسة ويرافقه عدد من زملائه الفارين من إيران بعنوان أنهـــم مـــن المعارضين للشاه. وذات يوم أتجه للصيد في صحراء منطقة النهـــروان وعلى ضفاف جبل حمرين ومعه هؤلاء وهو يطارد صيداً. والذي يبدوا أن بعض رفاقه استدرجه بشكل دقيق ومنسق إلى تلك المنطقة. وخـــلال ملاحقته الصيد فوجئ بطائرة هليكوبتر إيرانية اخترقت الأجواء العراقية وهي تطير بشكل منخفض وأطلقت عليه النار وعادت إدراجها بسرعة. وسقط الجنرال على الأرض يخور بدمائه وبقي لساعات حتى وصـــلت فرق خاصة بطائرات هليكوبتر وأقلته إلى مستشفى الرشيد العـــسكري. وأجريت له عملية إخراج الرصاص من بدنه ودخل عليه صدام حسين عند الغروب ووجده في غيبوبة تامة فجمع الأطباء المعـــالجين وطلـــب منهم بقوة إن كان يمكنه أن يتحدث إليه ولو لدقيقة واحدة أو أقل وبقـــى مرابطاً في المستشفى لساعات حتى استطاع الأطباء بمحاولاتهم إعـــادة قدرته على التحدث عبر جُرعاتٍ متنوعة وسأله صـــدام مـــن خـــلال مترجمه الخاص إنك لما أصبت ما صنع مرافقوك هؤلاء...؟ فأجـــاب: أنهم لم يصنعوا شيئاً. فقال: وكيف ولديهم أجهزة اتصال متطورة مـــع قيادات الأمن والحرس الخاص. وهنا ألتفت صدام إلى مفارز حمايتـــه وأمرهم بالقبض فوراً على كل رفاق الجنرال. وخضعوا لتعذيب شـــديد وبالأخير أقرّ خمسة منهم بأنهم جُندوا قبل ستة أشـــهر لتنفيـــذ اغتيالـــه

وكانت لديهم شفرة خاصة مع قيادة السافاك بطهران وبالتالي وصلت الطائرة الإيرانية وأمطرته بالرصاص. ونهاية المطاف تم إعدام هؤلاء الخمسة.

أما الجنرال فقد فشلت كل السبل لإنقاذ حياته ومات بعد أسبوع متأثراً بجراحاته ودفن في الصحن الشريف في النجف الأشرف وبقيت أرملته في بغداد. إلا أنها بعد صلح الجزائر بين الشاه وصدام حسين طلبت اللجوء إلى أمريكا وذهبت إلى هناك مع ابنتيها وماتت بعد عشر سنين تقريباً.

وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ

علمتنا الأحداث والظروف أن كل فعلٍ يريد الإنسان فيه وجه الله ورضاه لابد وأن يُقابل بعطاء من الله ولربما كان ذلك بشكل عاجل (فوراً فوراً) وربما مضاعفاً.

حدثني الوالد رحمه الله أن عدد الطلاب الذين يحضرون درس المرحوم النائيني في النجف الاشرف ربما كان يتجاوز ٤٠٠ طالب. ولم تكن هناك هيئة امتحان تحدد من له الصلاحية لحضور الدرس بل كان المجال مفتوحاً لكل من يحضر. لكن كان في طليعة هذا العدد فريق من أعاظم الطلاب وهم قد لا يتجاوزوا الثلاثين أو أقل أو أكثر. والبقية في درجات مختلفة وفيهم حتى الأمي بالكامل لكنه يحضر (وقد شاهدتُ هذا بنفسي في درس الإمام الخوئي وهكذا الشهيد الصدر الأول).

ما يهمّ في الأمر هو: أن الذين كانوا يشكلون في الدرس ويناقشون الأستاذ هم فقط الفريق الذي ذكرته آنفاً. وكان ممن يحضر في الدرس شيخ في متوسط العمر ولكنه بائسٌ علمياً بحيث كان أحياناً موضع استهزاء العديد من الطلاب.

وماذا بعد:

ذات يوم وكالعادة حضر هذا الشيخ المسكين وإذا به خلال الدرس أخذ يناقش الأستاذ النائيني بإشكالات أصولية وكأنّه درس الأصول منذ سنين طوال وكانت إشكالاته جدّية وعلمية وعميقة مما أحدث بلبلة في

الدرس واضطر المرحوم النائيني إلى ترك موضوعه وبحوثه وهو مبهوت ومذهول لهذا التحول الذي حدث لهذا الشيخ. وساد الهرج والمرج جوّ الدرس فصاح الشيخ بصوت عالٍ يطلب الهدوء فسكت الجميع ثم ناداه وقال: شيخنا أرجوك أن تقف قليلاً. فوقف الشيخ. فقال له: أصدقني بكل هدوء ماذا صنعت اليوم أو أمس؟ فسكت الشيخ قليلاً ثم قال:

مولاي بالأمس ليلاً خرجت للخباز اشتري الخبز فمررت على خربة سمعت أنيناً ظننت أنهم جراء لكلبة ولدتهم. فلما دخلت وجدت هِرّةٌ مطروحة على الأرض ميتة وأفراخها يلوذون بها ليمتصون منها اللبن في حين هي ميتة فأنكسر قلبي ودمعت عيني فتركت موضوع الخبز وذهبت واشتريت لبناً وجئت بقنينة رضاعة الأطفال وأخذت أضعها في أفواههم واحداً واحداً فاستقروا وناموا. ثم ذهبت الصباح الباكر وكررت ذلك. نعم، يا شيخنا إنني أحسست أن تحولاً قد حدث عندي وكأني شعرتُ ببرودة ملئت قلبي وها أنا أفهم كل ما تتحدثون به وكأني درست هذا منذ عشرات السنين. فتفاعل الشيخ النائيني وكثير من الطلبة بكلام هذا الشيخ وأجهش البعض بالبكاء.

وقال أنها معاملة مع الله، والله يقول: ﴿...وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ...﴾.

قيمة الأخلاق

هناك من هو متدين ولكن لا أخلاق له. وهناك من هـــو متخلـــق بالأخلاق ولكنه غير متدين. وواضح أن المتدين والمتخلق هو النـــاجح. ولكن بين الصنفين المتقدمين من هو الراجح والناجح.

ما من شك أن المتخلق بالأخلاق وهو غير متدين أفضل بكثير من المتدين الذي لا أخلاق عنده. ومن هنا يأتي الحديث: الكافر العادل خير من المسلم الجائر. وهذا هو الذي دفع بجحافل من المسلمين في الشرق أن يلجئوا إلى الدول الكافرة ليضمنوا حريتهم فيما يقولون ويكتبون وفي كل خطوات حياتهم. دون أن يضايقهم أحد ســـواءً مـــن علمـــانيين أو متدينين لا أخلاق لهم ولا إنسانية.

رحم الله خالي العزيز صاحب عبد الكريم أحمد مرزه (أبو ليـــث) كان يوصف بغير المتدّين. ولم تظهر عليه بوادر التقدس والالتزام ولـــم يشاهده أحد لا في محضر دعاء الندبة أو دعاء كميل. أو صلاة جمعـــة أو دعاء توسّل أو يمسك القامة ويتطبر أو يأخذ السلاسل ويضرب بدنه فيدميه. لكنني شاهدت منه ما جعله في مضمونه فوق كل من يعيـــشون هذه الأجواء المذكورة.

لقد حدث لهذا الخال العزيز يوماً أنه كان يلـــبس ســـترةً جميلـــة وباهضة الثمن فشاهده أحد موظفيه الضعاف في المصنع فمازحه قـــائلاً ما أجمل سترتك فخلعها مبتسماً (نعم، أُأكد مبتسماً) وهذه أخلاقيةٌ أخرى

وهي طريقة الكرم وحالة الكرم. نعم، خلعها وألبسها ذلــك الموظــف. ففرح ذلك الرجل بهذه الأريحية. وبعد لحظات كاد خــالي العزيــز أن يستقل سيارته وإذا بذلك الرجل يركض ويصرخ وهــو يهــرول نحــو السيارة وصاح أبو ليث هذه مبالغ كبيرة في جيوب السترة. فأجابه على الفور وبكل ترحاب (كل ما في جيوبها هي لك حلال) وقد صرح الخال بعدها أنه لم يكن يعلم ما في جيوب السترة كم هو من المال. فرحمه الله ورضي عنه وأرضاه.

أننا كم نصطدم بأناس وهم في أعلى مظاهر التقــدّس والالتــزام ولكنهم بُخلاء بل أشد من ذلك وهو أنهم بُخلاء بأموال غيرهم. وكم وكم شاهدتُ حينما يراجعه صاحب حاجة أو مضطر لشراء قنينة دم لإنقــاذ مريضٍ عنده فيطالبه بالأدلة والبراهين ويستذّله أشد مذلة. لكنه حينمــا يقف على رأسه ولده المراهق ويطلب منه مبلغاً فيعطيه فوراً أضــعاف مطلبه. فأين التقدّس الحقيقي وأين الاحتياط الذي يخدعون بــه النــاس ويذرون به الرماد في العيون. وأختم مقالتي هذه بحديث للنبي صلى الله عليه وآله: ثلاثة ليست لهم غيبة، رجل دعا إلى حقٍ ثم خالفه، ورجــل تجاهر بفسقه وأخذ مال اليتيم. والله يقول: ﴿أَتَــأْمُرُونَ النَّــاسَ بِــالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ... ﴾. صدق الله العلي العظيم.

وكرامة من الإمام علي عليه السلام

عام ١٩٨٣م كنت في زيارة لباكستان. وقد ركبت الطائرة الباكستانية من مدينة كوّتيه متوجهاً إلى مدينة لاهور. وكنت في المقعد المتقدم من الطائرة وكان بجنبي السفير الإيراني في إسلام آباد (أبو شريف) ومعنا عالم إيراني اسمه محقق.

تحركت الطائرة حسب الموعد ووصلت إلى رأس المدرج للإقلاع وإذا بها فجأة استدارت راجعة إلى حيث كانت. ثم توقفت دون معرفة أي سبب.

كنت أتابع الوضع بدّقة من النافذة فشاهدتُ السُلم نَصب على الطائرة ثم نزل ثلاثة من طاقمها ومنهم ملاح الطائرة وقد عرفته من علامات بدلته الرسمية ثم شاهدتُ سيارة جيب عسكرية وقفت عند باب السُّلم وكان فيها سيّد معمم بعمامة صغيرة ولاحظته وقد مدّ يده اليمنى وهو يمسك برأس قائد الطائرة ذو اللحية الطويلة وكان هذا السيد يقرأ بعض الأذكار. ثم عاد الطيار فصعد إلى الطائرة مع زميليه وذهبت السيارة العسكرية وسحبت السُّلم وتحركت الطائرة وأقلعت متجهة إلى مدينة لاهور.

ما حدث بعد هذا أن أحد المضيّفين شاهدني معمماً فسلم عليّ ثم سألني بهدوء إن كان عندي تربة من كربلاء صغيرة يضعها في جيبه ليسجد عليها عند الصلاة فأعطيته ذلك حيث كان عندي. وسألته هنا عن سبب عودة الطائرة وعن هذا السيد المعمم فابتسم الرجل وقال إن قائد الطائرة وهو سُّني متعصب مصاب بالشقيقة (الصداع النصفي) وبشكل

شديد وقد انتابه الصداع حينما شغل محركات الطائرة لكنـــه لمـــا هـــمَّ بالإقلاع أُعلم عن طريق اللاسلكي أن هذا السيّد متواجـــد فـــي صـــالة الركاب بالمطار فعاد إدراجه وجاءوا بالسيد فقرأ له دعاءً وتعافى مـــن الألم وأقلعنا إلى لاهور.

لقد سألته عن السيد واسمه وهاتفه فقال أن اسمه (سيد گل) وهو يسكن في كويته ومشهور ويقصده الناس. وما أن يقرأ على أي ألم فإن الألم يسكن تماماً.

أقول:

لقد بحثت بعد ذلك عن هذا السيد وعثرت عليه وعرفته وهو سيد طيب وكان يسكن النجف الأشرف في منطقة حديقة غازي. وقد هجـــره البعثيون عام ١٩٦٩م من العراق. وقال لي هذا السيد لقد أعطوني مهلة أسبوع لمغادرة العراق وعندي عائلة كبيرة وكلهم نساء وأطفـــال ولـــم أملك أيّ شيء من المال وكنت متحيّراً أين أذهب وكيف أعيش. ويقول أيضاً لقد جمعتهم وجئتُ بهم إلى صحن المولى أمير المؤمنين ووقفـــتُ أمام الضريح وكلهم معي وخاطبت الإمام وقلت يا مولاي أيـــن أذهـــب بهؤلاء وكيف أدبّر مصرفهم ومن أين أعيش معهم. وأنا لا أملك مـــالاً ولا سكناً وكلنا أبنائك وأبناء فاطمة الزهراء. ثم بكيت وبكـــوا معـــي. ويقول: في تلك اللحظة أحسستُ أن حالة جديدة طرأت عليّ وأن نفسي انشرحت. ومن ذلك اليوم ما قرأت على ألم إلا وهـــدأ الألـــم وأعـــيش بأحسن حال حيث يكرمونني أصحاب الآلام. فسألته: ما تقرأ وما هـــو الدعاء؟ فابتسم وقال: أقرأ سورة الحمد فقط..

وهذه إحدى عطايا وكرامات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

الأيام الأخيرة في النجف الاشرف

بعد تصالح شاه إيران وصدام حسين عام ١٩٧٥م في الجزائــر. تطوّرت العلاقات بين إيران والعراق. وعين الشاه سفيراً له في بغــداد وهو من عائلة روحانية واسمه حسين شهيد زاده.

وقد قام هذا السفير بزيارة المراجع في النجف الاشرف. الخوئي، الشاهرودي، السيد عبد الله الشيرازي. وكان يرغب في لقاء السيد عبــد الأعلى السبزواري والسيد محمد باقر الــصدر إلا أن الأخيــرين لــم يستجيبا لرغبته.

كان شاه إيران طموحاً أن يفتح صفحة جديدة بإغراءات ســحرية ليثني الإمام الخميني عن مواقفه المتشددة. وفي هذا الإطار قرّر إرسال مجموعة علمائية تتكون من ثلاثة أشخاص إلى النجف الأشرف وبشكلٍ هادئ للقاء الإمام الخميني وعرض بعض الإغراءات عليــه. وهــؤلاء الثلاث هم آية الله شيخ حسن سعيد (چهــل ســتون) والــسيد مهــدي الروحاني شقيق السيد محمد الروحاني وهو عالم يقيم في باريس والسيد محمد علي الميلاني نجل المرحوم الميلاني لكن الأخير تخلّف في آخر لحظة دون معرفة السبب.

أما الشخصان الآخران وصلا النجف الأشرف تحت عنوان زيارة العتبات المقدّسة وكنا نشاهدهما في النجف الأشــرف ويتــنقلان بــين الكاظمية وكربلاء وسامراء. كما التقيا عدداً من كبار العلمــاء كالإمــام

الخوئي والسيد محمود الشاهرودي وغيرهم.

لقد قام هذان العالمان بمحاولة للقاء الإمام الخميني (وهو الهدف) لكن رفض الإمام الخميني كان قاطعاً. إلا أنه أخيراً وافق على استقبال الشيخ حسن سعيد لصلته الخاصة بالمرحوم والده الذي كان من كبار علماء طهران. وأيضاً ما يتمتع به الشيخ حسن سعيد من شعبية كبيرة في البازار بطهران.

وأخيراً التقى الشيخ حسن سعيد بالإمام الخميني لقاءً مطولاً امتد لساعات ولم يكن معهما شخص ثالث إلا في اللحظة الأخيرة حيث دخل أحد أعضاء حاشية الإمام الخميني، وعُلم بعدها بأن الشاه عرض على السيد الإمام عروضاً وفي مقدمتها أن يعود إلى إيران لمزاولة نشاطه العلمي في قم وحتى لو بقي معارضاً ولكن على نطاقٍ محدود. ومن هذه العروض تقديم الشاه له مبلغ ثلاثة ملايين دولار نقداً.

كان جواب الإمام هو الرفض القاطع وقال بأنه سيعود إلى إيران متى ما تركها الشاه بشخصه أما الثلاثة ملايين دولار فإنه بالمقابل يدفع للشاه ثلاثين مليون دولار على أن يترك البلاد والشعب ويكف عن قتل الناس. فمازحه الشيخ حسن سعيد وقال له: سيدنا من أين تأتون بمبلغ كهذا والشاه عنده ثروات النفط؟ فأجاب السيد الإمام بأني أجمعها من أتباعي دولاراً دولاراً.

وأخيراً عاد الرجلان إلى إيران ولم يتحقق أي شيء.

اختراقات مخابراتية

عام ١٩٧٥م امتنعت السلطة البعثية منح بعثـات الحـج الدينيـة للمرجعيات في النجف الأشرف سمة العودة ومنحت سمة العودة فقـط لثلاثة أشخاص لا غير وهم السيد مصطفى الخميني والـسيد محمـود دعائي والشيخ ستاري وهم بعثة الحج الدينية للإمام الخميني رحمه الله.

لقد تشبثت بعثة الإمام الخوئي والإمام الشاهرودي والسيد عبد الله الشيرازي بكل السُبل فلم تفلح لأن قرار السلطة كان شديداً وصارماً.

ومن المحاولات كانت محاولة عديلي السيد محمد علي الشيرازي والتي شملت رسالةً عاطفية موجهة إلى أرملة الجنرال تيمور بختيـار وهو رئيس السافاك الإيراني سابقاً والذي لجأ إلى العراق ثـائراً علـى نظام الشاه. وقامت المخابرات الإيرانية باغتياله أوائل السبعينيات قرب الحدود الإيرانية العراقية في منطقة جبال حمرين. وكانت زوجته تقـيم في بغداد في (قصر السلام)، راجع ص٦٠ من هذا الكتاب.

وكان قد أقترح الدكتور موسى الموسوي على السيد محمد علـي الشيرازي وهو صديقه أن يكتب هذه الرسالة ومفادها أن رجال البعثـة الدينية إذا تمكنوا من الذهاب للحج فسيحجون نيابة عن روح الجنـرال زوجها. وتقرر أن توصل الرسالة إلى زوجة الجنرال العلوية أم حـسن زوجة الدكتور الموسوي والتي كانت صديقة لأرملة الجنرال وهي أيضاً في الولائم والاجتماعات تقوم بدور المترجمة بينهـا وبـين زوجـات

المسؤولين الكبار مثل زوجة صدام حسين (ساجدة) أو زوجة سعدون شاكر (أم رعد) رئيس المخابرات العامة. وبالأخير كُتبت الرسالة وكتبها بخط يده المرحوم السيد محمد الميلاني (شقيق زوجاتنا) وهو أيضاً كان ضمن البعثة كما كان اسمي أنا ضمن البعثة ولكن كان قصدي السفر بهذه التأشيرة إلى السفر في شهر محرم الحرام إلى مسقط. وفعلاً قامت العلوية أم حسن بإيصال الرسالة وقرأتها زوجة الجنرال ووعدتها خيراً. ومضى على ذلك أسبوع دون أي نتيجة.

هنا قرر السيد محمد علي أن يتجه بنفسه إلى (قصر السلام) وذهبنا نحن الثلاثة وبسيارتي الڤولڤو الخضراء موديل ١٩٧٢ والمرقمة ٩١٧٨٧ بغداد خصوصي ووصلنا قصر السلام وأحاط بنا رجال الحراسة وفتشونا تفتيشاً دقيقاً ثم ذهبوا بأسمائنا إلى داخل القصر وبعد دقائق عادوا فأخبرونا بأنها مرتبطة بمواعيد وعلينا أن نترك لها رسالة بمطلبنا. فأخرج السيد محمد علي الشيرازي نسخة ثانية من نفس الرسالة وسلمها لضابط الحراسة وغادرنا المكان عائدين إلى النجف الأشرف والغريب أن معظم هؤلاء الضباط كانوا يتكلمون الفارسية إضافة إلى اللغة العربية وهكذا انتظرنا أياماً ولم يحدث شيء وانتهى موسم الحج وكذلك أنا لم أتمكن من السفر إلى مسقط للقراءة هناك في تلك السنة.

وماذا بعد ذلك:

كان السيد محمد علي الشيرازي والسيد محمد الميلاني على صلة طيبة مع الدبلوماسي الإيراني (محمد خاكپور) وهو بهائي وكان رئيساً لمكتب المصالح الإيرانية ببغداد تحت رعاية سويسرا.

وأخيراً تغيرت الأمور وبالتالي تمت المصالحة بين شـاه إيـران وصدام في دولة الجزائر بمسعى العقيد رئيس الجزائر آنذاك هـواري بومدين وتحسنت العلاقات بين إيران والعراق وعُيّنَ سفيرٌ جديدٌ لإيران في بغداد وهو (حسين شهيد زاده) وقام بزيارة النجف الأشرف والتقـى بعض المراجع الكبار مثل الإمام الخوئي والسيد عبـد الله الـشيرازي والسيد محمود الشاهرودي لكن رفض السيد محمد باقر الصدر والـسيد عبد الأعلى السبزواري استقباله. أما الإمام الخميني فكان وضعه خاصاً بمعارضته للشاه.

أنني رغم صلتي الوثيقة ودياً مع السيد محمد علي الشيرازي لأنه عديلي لم أكن على علم إلى تلك اللحظة أن السيد محمد علي يخطط لنقل والده إلى إيران (مشهد المقدسة) ليؤسس مرجعيته هناك. وخصوصاً بعد وفاة المرحوم الميلاني حيث المجال يتطلب ذلك طبعاً. وكـان يخطـط بسرية بالغة ويراسل جهات متعددة للتنسيق وتمهيد الأمور. وفي هـذا السياق طلب مني ذات يوم أن أذهب إلى السفارة الإيرانيـة وأوصـل رسالة منه إلى سفير إيران والسبب في اختياري لإيصال الرسالة هو أن جوازي لم يكن إيرانياً ولا توجد مشكلة لترددي على السفارة بينما مـن يراجعها من الإيرانيين يُفتش ويدوّن اسمه وغير ذلك.

وماذا بعد:

لقد ذهبت إلى بغداد وأوقفت سيارتي بباب السفارة ودخلت وأعلمت الموظفين هناك أن معي رسالة من فلان وبكل سهولة اسـتقبلني الـسفير باحترام كبير ثم فتح الرسالة وإذا فيها صور لجنسية السيد محمـد علـي

ووالده ووالدته وزوجته وإخوانه وهو يطلب من السفير إصدار جوازات جديدة للأسرة وللسيد والده. فأمر السفير فعلاً عدداً من الموظفين بإنجـــاز ذلك. ودار بيننا كلام وفهمتُ هناك ولأول مرة وبشكل خفي بـــأن الـــسيد محمد علي يفكر ويخطط لنقل والده إلى إيران. (وطبعاً لديّ الكثير الكثير من المعلومات والمشاهد عن هذا المشروع أتركها إلى حين آخر!!!).

لقد استغرق اجتماعي بالسفير بحدود ٩٠ دقيقة وبينا أنا جالس!!! جاء أحد موظفي السفارة وبيده ورقة وهمس في أذن السفير قلـــيلاً ثـــم أعطاه الورقة فأخذ السفير يقرأها مبتسماً ثم قال للموظف (باشد) يعنـــي لا مشكلة وبعد خروج الموظف عرضها عليّ وقال عفواً إن هذا سرٌ من أسرار عملنا فلا تخبر به أحد حتى... ولما نظرت إليها وإذا بها صورة استنساخ لرسالة السيد محمد علي التي وجهها لزوجة الجنرال الإيراني المعارض للشاه (تيمور بختيار) وكانت تتضمن كلاماً قاسياً ضدّ الشاه.

أقول:

حقاً فقد انتابتني الدهشة والذهول حينما علمت طـــرق الاختـــراق لأجهزة المخابرات وكيف انتقلت هذه الرسالة إلى الخارجية الإيرانيـــة آنذاك ثم أرسلت إلى السفارة الإيرانية ببغداد.

إنني رغم ضلوعي في قضايا الآخوندية والحواشي لكنني مع ذلـــك كنت أميّاً ولم أدرك أن معظم هؤلاء يسيرون بهذه السيرة فهم يلعبون على وتر المعارضة للشاه من جانب وعلى جهاز ونظام الشاه من جانب آخر.

نعم، الجهة الوحيدة التي كانت صارمة في مواقفها وواضحة هـــو الإمام الخميني والذي كان يتحرك بشفافية دقيقة وواضحة.

إلى زملائي الطلبة الأفاضل

ما يسترعي الانتباه والاهتمام جداً التغير السريع لوضع الشعوب على مختلف الأصعدة خصوصاً على مستوى الاتصالات وشبكات التواصل ومن الخطأ أن نصرّ على منهجنا التقليدي. إذ لابد من التعامل مع المتغيرات وكما قال الأديب:

تخّطى زمانٌ لعبنا به وهذا زمان بنا يلعبُ

ورحم الله أحد أساتذتي من كبار الخطباء والعلماء شاهدته يوماً بعد أن كان يصول ويجول وإذا به يردّد هذه الأبيات:

أيها السائل عني سلبوا النعمةَ مني

كُنتُ أُسقى وأُغنّى صرتُ أسقي وأغني

إنه حقاً أمرٌ مدهش حينما التقي مرجعاً وإذا به يتحدث وكأنه يعيش في تفكيره حالة القرون البالية وأستغرب أنا فأتساءل: هل إن الرجل يعيش في كهف ناءٍ ولا يعرف ماذا يحدث للأمم والشعوب فيسّطر في رسالته العملية كلاماً لا تفهمه إلا عجائز السنين الغابرة؟

لقد كنت أتحدث مرةً قبل سنوات لأحدهم عن شبكة الانترنيت وبعد فترة سألني كم سعر المتر الواحد وإذا بهذا الرقم المعظم ظن أن الانترنيت نوع من القماش الجديد ليصنع منه قباءً حتى أني شككت أنه يمزح أو يوهم علي ولكن تأكد لي جداً بساطة تفكيره.

أيها الزملاء الكرام:

لا أنسى أبداً أن زميلاً لي تزوج عام ١٩٦٠م في النجف الاشرف ودخل غرفة الزواج والعروسة في العشرين من عمرها وإذا بها صعقت لما طلب منها ما يفترض عمله تلك الليلة وصرخت بعصبية وعاش بعدها أسابيع حتى استطاعت خالاتها وأمها إقناعها بواقع الأمور، ثم في العام الماضي أي بعد خمسين عاماً اصطدمتُ بحالة معاكسة تماماً وهو أن صديقاً لي تزوج وإذا بزوجته في غرفة العرس وهي ابنة السبعة عشر عاماً فكانت هي تعلّمه الطريق الأمثل لما يقوم به معها. إذن إنني كعالم اجتماع أقول:

لابد من التعاطي مع دنيانا الجديدة والحداثة التي يمر بها الكون. ومهما ادعينا وتصورنا فإننا نعيش على كوكب واحد ولابد من التصالح والتسامح وإن نُحول المجتمع إلى مجتمع انسجام وسلام دون المساس بالثوابت الأساسية الجديدة وإن نبتعد عن استخدام الطرق القديمة (الكلاسيك) وأن نتفاعل مع نمط الحياة وحركة العالم في القرن الواحد والعشرين. وأن لا يُصاب مذهبنا وديننا بأنه دين الشذوذ والاعتزال والدروشة.

خطيب في طهران

أحد خطباء طهران الراتبين في المنبر في الخمسينيات واسمه السيد مهدي قوام وكان يتمتع بشعبية كبيرة.

خطب في إحدى الحسينيات لعشر ليالٍ وفي الليلة الأخيرة قُدم له الظرف الذي فيه هدية باسم الحسين عليه السلام وكان من عادة هذا الخطيب الفاضل أنه لا يشترط على صاحب المأتم المبلغ الذي يريده، كما كان من عادته أن لا يتعرف على ما في الظرف الذي يُعطى له وإنما يأخذ منه ويصرف حتى ينفذ وكان يفسّر هذا بأني لا أودُّ أن أعرف كم أعطاني فلان وكم أعطاني غيره.

نعم، خرج هذا السيد في الليلة الأخيرة ووضع هذا الظرف في جيبه وكان يصحبه عدد من الشبان ليشايعوه إلى منزله وكانت الساعة متأخرة من الليل.

لاحظ هذا السيد الخطيب امرأة شابة وبصورة فاضحة وكان وضعها يدل على أنها غير منضبطة أو أسوأ من ذلك!!! فالتفت السيد إلى أحد الشبان وقال له: اذهب إلى هذه المرأة وقل لها أن هذا السيد يدعوك. فأُحرج الشاب وأظهر تمنّعه كونها خليعة ومستهترة. فاضطر السيد أن يتقدم بنفسه ويدعوها مشيراً إليها. فتحركت صوبه على استحياء وحذر فأخذ ينصحها ويحذرها عقاب الله وسخطه فتأثرت وانفجرت باكية وهي تقول: إن هذا من العوز. فقال لها: إذن أنا اعتبرك

صادقة فيما تقولين. ثم أخرج الظرف من جيبه وقال لها: أن ما في هذا الظرف هو من الحسين عليه السلام وقد قرئتُ عشر ليـــالٍ وأعطانيـــه صاحب الحسينية وأنا لا أعرف كم فيه من المال فخذيه واختاري لـــك عملاً وتوبي إلى الله. فأخذته وذهبت....

يقول السيد مهدي قوام بأنه بعد سنتين من هذه الحالة سافرتُ إلى العراق لزيارة الحسين عليه السلام في منتصف شعبان وبينما أنا عنـــد ضريح الحسين عليه السلام وإذا بامرأة محجبة وتقبل ضريح الحـــسين عليه السلام ثم نادتني (سيدنا سيدنا) فدنوت منها فكشفت عـــن وجههـــا وعيناها تبكيان وقالت: عرفتني؟ قلت: لا! من أنتِ؟ فقالت: أنـــا تلـــك المرأة. وقد كانت مساعدتك لي نقطة خير وبركة فعملتُ بها واشـــتريت بيتاً وأصابني خير كثير ووفقني الله لزيارة الحسين عليـــه الـــسلام أول مرّة. وها أنا أدعو لك بالجزاء من الله.

وإذا حلّت الهداية قلباً   نشطت للعبادة الأعضاء

وتلك الأيام نداولها بين الناس

خلال مرورنا على دكانٍ في رأس عكد السلام في النجف الاشرف ونحن متجهين إلى الحسينية الشوشترلية حيث كنا ندرس هناك.

صاحب هذا الدكان يعمل مبيّضاً لقدور الطبخ القديمة أيام لم تكن أواني الألمنيوم متوفرة إلا ما ندر. كان هذا الرجل الضعيف مالاً والنحيف بدناً يُرثى لحاله. وكان يتعطف عليه البعض بوجبة غذاء حيث كان دكانه سكناً له أيضاً فلا أهل له ولا زوجة ولا ولد ولا يفارق دكانه وآثار المسكنة والفقر تتحرك بكل وجناته. وكان يبيّض القدر بعشرين فلساً وأحياناً يمرّ عليه الأسبوع فلا يراجعه أحد.

بعد سنين وقد ألفناه ونسلّم عليه غدّواً وعِشّياً وإذا بنا افتقدنا الرجل والدكان مغلق ومرّت أشهر ولا يسأل عنه أحد ولا يُعرف له خبر وأصبح في سجل المجهول. فمن الذي يتفقد الفقير ويتبع أثره!!! ولم أعرف أنه لو كان ثريّاً كان يجري له ذلك!!!

بعد مرور ستة أشهر وكنت أنا أتابع أخباره. فظهر علينا فجأةً بثيابٍ فاخرة وتعجبنا لاختلاف مواجهته للناس وبدا عليه أنه يرفض أن يحدّثه أحدٌ عن ماضيه، ثم بعد فترة علمتُ أنه يشيّد بناية في شارع الصادق في النجف الاشرف والذي كان قد فتح لتوّه. ثم بعد فترة شاهدته يقود سيارةً خاصة به علماً أنه في الخمسينيات لم تكن السيارات الخاصة في النجف الاشرف إلا عدد أصابع اليدين.

كيف حدثت هذه النقلة:

هذا الرجل له عمٌ ثريٌ في البصرة ومات ولا وارث له لأمواله وتبيّن للأجهزة الحكومية أن له ابن أخٍ يسكن النجف الاشرف والمدهش أن الرجل هذا لم يكن يعلم بأن له عماً في البصرة على قيد الحياة لأنه لم يترك النجف الاشرف طيلة حياته. وفوجئ الرجل في دكانه برسالة من قاضي محكمة الأحوال الشخصية في البصرة يطلب حضوره. وسافر إلى هناك فقيراً وعاد ثرياً بإرث عمه.

وسبحان الله أثرتّ هذه النقلة على كل وضعه وإذا به حينما نسلّم عليه لا يجيبنا إلا بمّنةٍ علينا وتقتير. والله سبحانه يقول: ﴿...إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾. فسبحان ربنا الذي يرزق عبده من حيث يحتسب ومن حيث لا يحتسب. صدق الله تعالى إذ قال: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾.

هذا ما حدث للشيخ بهجت رحمه الله

الشيخ بهجت هو من المراجع المتأخرين وله صفاتٌ خاصة قد يتفرّد بها فهو مقلد ومقدّس ومشهور بالاستخارة كما هو مشهور بالبساطة والترسّل دون أي تقيّد يدور في الأسواق لوحده ويتبّضع لأهله بنفسه ولا يسمح لأحد بأن يرافقه حتى ولده.

والعجيب أنني كنت أشاهد أناساً يقصدون مدينة قم المقدسة من مدنٍ نائية في إيران لغرض مشاهدته أو السلام عليه من بعد. حتى أني ذات يوم رأيت امرأة شابة بمظهر متبرّج وهي قادمة من مدينة تبريز واقفة عند باب منزله لعدة ساعات تريد السلام عليه وكلما نصحها الناس أن تغيّر وضعها وإلا فسيطردها فكانت تعاند. وخرج رحمه الله فسلمت عليه فكلمها ووجهه بعكسها بكلمات لم أعرف عنها شيئاً لأنني كنت بعيداً فانفجرت باكية وتركها وذهب إلى الحرم.

كان رحمه الله يقيم في مشهد المقدّسة لفترات. ويتجمهر الناس على بابه إما للسلام عليه أو الاستخارة عنده. ثم يخرج لوحده ويقف في الشارع ينتظر التاكسي ليذهب إلى الحرم.

والطريف في الأمر هو:

أنه وقف في الشارع فمرّ عليه تاكسي وطلب منه أُجرةً عالية وهو لم يعرفه فرفض الشيخ ثم جاء تاكسي آخر وبنفس الحالة فلم يركب. ثم جاءت سيارة تاكسي فوافق أن يوصله للحرم بأجرٍ زهيد. ولما ركب

الشيخ بهجت سأل السائق: بأنك كيف رضيتَ بهذه الأجرة وقبلك مـــن طلب ضعف هذا؟ فتأوّه السائق وقال له: شيخنا أنا لست من هذه البلدة. أنا قادم من مدينة نيشابور جئت إلى هنا وعندي مشكلة عويصة بعد أن بلغني أن الشيخ بهجت في مشهد وجئتُ ووقفتُ لساعات حتـــى ملـــت رجلاي فقلتُ أذهب إلى الحرم أزور وأرى كيف أصنع وأنا أهم بالعودة إلى أهلي. وهنا ابتسم الشيخ وقدم له الأجرة قبل أن ينزل. ولما وصـــل إلى باب الصحن الشريف قال له الشيخ: تمهّل حتى استخير لك. فقـــال له: شيخنا أنا جئت استخير عند آية الله بهجت وكان الشيخ يبتسم لكـــن السائق تفاجأ بتجمهر الناس على الشيخ وتقبيل يديه فسألهم عنه فقـــالوا أنه آية الله بهجت فأنبهر وبُهت لهذه الصدفة وكما قيل: (وكم سائلٍ عن أمره وهو عالم).

عبدي أطعني تكن مثلي

تروى عن المرحوم الشيخ حسن نخودي قضايا عديدة. تكشف عن درجة إيمانه وأنه من العارفين لله حق معرفته وكان من سكنت مدينة مشهد المقدسة.

لقد كان أحد الطلبة يسكن في حجرة مدرسة علمية قرب الحرم الرضوي الشريف وهذا الطالب يقتني كتباً يشتريها من هنا وهناك.

تعرض هذا الطالب لأزمه عصبية شديدة تمثلت بأرق منعه عن النوم أياماً حتى كاد أن يجن. وكان بهذه الليالي لا ينام فيها يجلس في شرفةٍ مطلة على الطريق المؤدي للحرم. وكان يلاحظ أن شيخاً وقوراً يأتي عند السحر قاصداً الحرم ويصلي نوافل الليل عند باب الصحن عند باب الصحن حتى تفتح الأبواب فيدخل.

ذات ليلة وكان هذا الطالب متوتراً جداً حيث مرت عليه ثلاثة أيام لم ينم فيها وكان يجلس في الشرفة فشاهد هذا الشيخ العابد قد أقبل كعادته. فنزل وسلم عليه وطلب منه أن يقرأ له دعاءً ينجو به من هذا الأرق الذي ألمّ به لكن الشيخ سأله بهدوء: إنك اشتريت الكتاب الفلاني قبل ثلاثة أيام؟ قال: نعم. فقال الشيخ أخرجه من غرفتك وأبعده عنك فإنك ستنام. فتعجب هذا الطالب وفعلاً أخرج الكتاب من حجرته وبعث به إلى أحد أقاربه فعاد إلى طبيعته وذهب عنه كل شيء. فمضى بعد ذلك ليتعرف على هذا الشيخ العابد واسمه فأعلموه أنه الشيخ المقدّس حسن نخودي.

مواقف تهزّ الضمير

لم تكن في النجف الأشرف قديماً فنادق ولا مطاعم وكان الزائر إذا أراد المبيت فينام في الصحن أو في إحدى الغرف أو عند بعض الخدم أو ينزل ضيفاً عند هذا وذاك.

أحد الزوار الغرباء بقي في النجف الأشرف أياماً واحتاج إلى غسل ملابسه وهو غريب ولا يعرف كيف يغسلها وأين يغسلها. فشاهد رجلاً وقوراً يمشي بهدوء فسلم عليه وسأله: هل تعرف هنا من يغسل الملابس؟ فعلم الرجل أن صاحب الملابس هذا زائر غريب فقال: نعم، ولكن يصعب عليك معرفة منزله ولكن أعطني الملابس وأنا غداً أأتيك بها بهذا المكان إن شاء الله بنفس هذا الوقت. فشكره الزائر وسلمه الملابس.

لما كان الغد وبنفس الموعد جاء الزائر ووجد هذا الرجل ينتظره ومعه الملابس وقد غسلها وجاء بها إليه فاستأنس وشكره وأخرج له مالاً فرفض الرجل المال وقال ألست زائراً لمولاي أمير المؤمنين عليه السلام؟ قال: نعم. فقال الرجل: إن أجوري أأخذها ممن جئته زائراً فكرر الزائر شكره للرجل. لكنه بعد يوم تفاجأ حينما شاهد هذا الرجل صباحاً يدرّس الطلبة وقد غصّ بهم الصحن الشريف فبقي متحيراً هل هذا هو الرجل أو يشبهه وبقي ينتظر حتى انتهى الدرس فشق صفوف الطلبة وجاء إليه وإذا هو بنفسه وسلم عليه وهو مدهوش ثم سأل الطلبة:

من هذا؟ فقالوا له: أما عرفته أما سمعت بـــه إنـــه العلامـــة المقـــدّس الأردبيلي زعيم الحوزة العلمية في النجف الأشرف. فغرق الرجل فـــي خجله وأقبل يعتذر إليه والمقدّس الأردبيلي يؤكد علـــى ســـروره بهـــذا العمل.

تغمده الله بواسع رحمته.

سمعنا هذا من الشيخ الأميني

روى لنا الشيخ الأميني صاحب موسوعة الغدير قال: كنت ذات يوم صباحاً في حرم الإمام علي عليه السلام فتفاجأتُ برجل اقترب من الضريح وهو يحمل على ظهره شيئاً فلما جلس وكشف ما على ظهره وإذا به ولده الصغير ابن العشر سنين تقريباً ومُقعداً حيث رجلاه ملتفتان وبدنه معوق بالكامل ومتكوّر. يقول رحمه الله: أن هذا الرجل ربط حبلاً من عنق ولده إلى الضريح. وكان الطفل متحيراً يدير طرفه يمنةً ويُسرةً لكن والده وقف وقال له بلهجته الدارجة الشعبية (بويه هذا أبو حسين جبتك عنده لا تخاف آنه أروح لباب الصحن آكل محلبي وأجي ليك) وكان بباب الطوسي رجل يبيع الفرني (المحلبي) ويبدوا أنه ذهب ليأكل منه.

ويقول المرحوم الأميني: بقيت متحيّراً أتابع المشهد. وذهب أبوه وبقي الطفل عند الضريح فأكملت زيارتي وذهبت في الطرف المقابل عند الرأس الشريف أصلي فتفاجأتُ بالطفل وهو يتمشى حول الضريح وكان مبتهجاً ويُمسك الضريح بيده وبينا أنا أنظر إليه إذ جاء والده وبكل بساطة تلقى الأمر وهو يخاطب الطفل (ها بويه طيّبك أبو حسين أمشي نرجع لأهلنه) يقول المرحوم الأميني: إن أعجب ما لاحظته هو أن هذا الرجل تعامل مع الأمر بأنه محسوم لا محالة فعلمتُ ما للفطرةٍ من أثر كبير وأن هؤلاء رابطتهم بأهل البيت رابطة فطرة وعلى البساطة.

متى وُلد عندي هذا التفكير

يسألني أكثر من واحد عن تاريخ ولادة هذا التصوّر التصحيحي والثائر عندي على كثير من السلوكيات والتصرفات والتي هي على أرض الواقع وكيف امتلكتُ الشجاعة والجرأة على اقتحام هذا الطوق الذي لم يسبق لأحد أن اصطدم به رغم أن هذه الأفكار ونشرَهَا هو نوع من اللعب بالنار وهو أمر خطير.

الجواب:

لقد خامرني هذا التصور أول مرة وأنا ابن ١١ عاماً وكنت أصحب والدي رحمه الله عند العديد من الجهابذة من علماء ومراجع وتجار ووجهاء. ورغم صغر سني إلا أنني التقط الشاردة والواردة وكنت أكتم ذلك ولكن احتفظ به في الذاكرة.

كان أول ما فجر عندي هذا المعني هو أني آنذاك كنت مع الوالد رحمه الله وكنا عند شخصية علمائية كبيرة وذلك تقريباً عام ١٩٥٨م في النجف الأشرف وكان عنده نفرٌ من حاشيته ودخل أحد مقلديه من الكسبة الإيرانيين في كربلاء وأخرج صرة فيها صرار متعددة من الأموال وكان يخاطبه بأن هذا عبادات وهذا صدقات وهذا أخماس وهذا نذر وهذا كذا وجمعها وأعطاها إياه. لكن الرجل قال له: لو دونّتها يا مولاي حتى لا تختلط لأن كل صرة تخص أمراً. فأخذ هذا العالم علبة السيكاير وأذكر اسمها آنذاك (المختار) ولم تكن في العلبة إلا سيكارة واحدة

فأخرجها. ثم كتب في ظهر العلبة المبالغ ومصارفها كذا دينار عبادات كذا دينار صدقات وإلى آخر ذلك.

شاهدت الرجل بعدما سلم الأموال وشرب الشاي ودّع هذا العـــالم وخرج. ولم يكن أي أحد من الحضار مركزّاً علـــى الوضـــع إلا أنـــا. فشاهدتُ هذا العالم أخذ كيساً من خلف ظهره وألقى بالدنانير كلها فـــي الكيس بحيث اختلطت. ثم بعد لحظات مزّق علبة السيكاير التي كتـــب فيها المبالغ وألقاها في سطل القمامة!!!؟؟؟

كان هذا مشهداً مُربكاً ومروّعاً لي ولم أكن أجرأ أن أسأل الوالـــد حيث أخشى منه صفعةً على وجهي. لكنَّ هذا المشهد فجرَّ عندي لفتـــةً إلى أنه هناك وجه آخر للأمور. وأن الباطن الخفي هو غيـــر الظـــاهر المُعلن.

لقد أوقد هذا في نفسي حماساً على متابعة الأمور (في البرانيات) وبدقة ومهنية عالية وتصاعدت المشاهد مع تصاعد الـــسّن. ثـــم أننـــي ترعرعتُ في بطون المرجعيات ولي مع أولادهم صـــداقات وزمـــالات وقرابة بالسبب أو بالحسب. وكنت أقوم أحياناً بوسيط لإيـــصال بعـــض رسائلهم لمسؤولين كبار مثل المحافظ أو الوزير أو السفير وغير ذلـــك كما كنت أقرأ في بيوتات ستة أو سبعة مراجع.

إن كل ما ذكرته زوّدني بثروة طائلة من المعلومات الذكيّة. بـــل أعظم من هذا وهو أني أحياناً استرق السمع واتنصّت على مـــشاورات وحوارات هادئة بين هذا المرجع وذاك حينما يلتقيه بـــصدفة أمـــا فـــي مجلس فاتحة أو عزاء أو في الحرم الشريف فكنت التقط ما يدور وكيف

يدور الحوار بالتعبيرات (الآخوندية).

وبصراحة أقول أنني اكتشفت بشكل شفاف و١٠٠٪ هذه الأمور وذلك حينما سقطت مرجعية المرحوم الخوئي بيد أولاده المراهقين عام ١٩٧٦م وفهمتُ كل شيء.

ثم جاءت التطورات بعد وفاة الإمام الخوئي والتعرّجات والحركات والتجمعات السرّية في لندن وفي قم وفي طهران ولبنان والخليج، وغيرها.

أما السؤال لماذا السكوت بالأمس وتفجير الأمور الآن؟

الجواب:

أن الظروف في ذلك الوقت لم تكن مؤاتية وهناك اعتبارات كانت حاكمة دفعتني للتأمّل حتى وجدت الفرصة سانحةٌ لذلك فدخلتُ هذا الخيار وأنا اعلم أنه خيارٌ صعب ولكن خيانةَ أُمتّي وطائفتي أصعب من ذلك والسكوت على هذا الواقع الفاسد هو تمرير للجريمة والفساد.

سلاماً يا أمّاه

وأُمُــكَّ أمــكَّ زد بِرّهــا   فقد حاربت في سناك الوسن

لئن تُــنسيني الأيام كل الحوادث والوقائع ولكن لن تُــنسيني هذا الموقف العاطفي والأدبي والإيماني الذي شاهدته ضــمن مئــات مــن الحُضّار ومن أديان شتى وشعوب شتى. والموقف عكَس اهتمام الإسلام بالأسرة وشدة استئثاره بها. وقد أثر الموقف في المشاهدين حيث سالت له الدموع وهو:

في مطار هيثروا بلندن وهو من أشدّ مطــارات لنــدن الــثلاث ازدحاماً وقد حضرتُ لاستقبال والدة زوجتي وكانت القاعة تعّج بالناس وشاهدتُ أحد علماء قم المقدسة وطبعاً هو قبلاً من علماء العراق كــان ينتظر والدته القادمة من العراق وما أن دخلت أمّهُ قاعة المطار وهــي على كرسي متحرك حتى استقبلها وأهوى على قدميها يقبلهمــا بهيكلــه المهيب وعمامته ولحيته البهية حيث حوّلَ هذا الموقف القاعة ومن فيها إلى صمت رهيب وتأثّر حتى ضباط الشرطة البريطانية بروحانية هــذا المشهد. وترجم هذا السلوك مبادئ الإسلام واحترامه للأسرة وكان الكل يتساءل ما تكون منه. وطبعاً الجواب إنها أمّه فتهدأ النفــوس بإعجــاب وسط ذلك المجتمع الغربي الذي لا قيمة للأسرة عنده فبينما المــسلمون يتنافسون على خدمة كبارهم من أب وجدّ لكن الأوروبيّين يرمون بهــم في دور العجزة حقاً أنه كان موقفاً أثار اعتزازنا بالإسلام وتعاليمه.

وموقف مشابه وهو:

عند باب حرم الإمام الرضا عليه السلام بمشهد المقدسة وقفت سيارة تاكسي ونزل منها شاب وفتح الباب الخلفي وانحنى ليحمل أمّه على ظهره وقد جاء بها لتزور الإمام عليه السلام. وكان هناك عالم كبير في الثمانينات من عمره ويرتدي عمامة كبيرة ولحيته بيضاء بهية.

ركض هذا السيد العالم خلف الشاب وسأله ما تكون منها قال إنها أمي وإذا بهذا السيّد العالم الجليل وقع على يدي الشاب يقبلهما والشاب يصرخ ويرفض فصاح السيد أي بني ما أسعدك وأنت تقوم بعبادة ما فوقها عبادة وليس لي إلا أن أسألك وأمك الدعاء لي. هنيئاً لأمثال هؤلاء البارين لوالديهم.

الشيخ مرتضى الأنصاري وخادمه

اعتاد من يزور الحسين عليه السلام في العصور السالفة أن يسافر على الدواب. وتستغرق الرحلة من النجف الأشرف إلى كربلاء المقدسة ٣ أيام أو أكثر.

هناك حالتان أما أن يشتري الزائر حماراً ليسافر عليه وعند العودة يعرضه للبيع أو لا يكري حماراً ويكون المكاري بخدمته.

لقد قرر الشيخ مرتضى الأنصاري (قده) السفر لزيـــارة الحـــسين عليه السلام واختاروا له مكارياً من ضواحي النجف الأشـــرف ليأخـــذ الشيخ إلى كربلاء وفي الطريق يكون بخدمته في تهيئة بعض حاجياته. وسافر المكاري مع الشيخ وهو لا يعرفه من قبل ولا يعرف اسمه ولـــم يكن الشيخ مرتدٍ عمامته. نعم، قال له الشيخ من أول وهلة بأني يوم أنا أخدمك وأوفر لك الطعام وأغسل الأواني وأنت ترتاح وفي اليوم الثاني أنا أرتاح وأنت توفر الغذاء واللوازم وتغسل الأواني. وهكذا تقاسم الشيخ مع المكاري عناء السفر ولوازمه مناصفة.

بعدما وصلوا كربلاء ليلاً وذهب المكاري إلى حيث يحصل على مكان له ولحماره وجاء الشيخ الأنصاري إلى مدرســة مــن مــدارس الطلبة.

النكتة هنا:

جاء هذا المكاري قبيل الظهر فوجد الناس في هيجان ويتـــدافعون

نحو عالم دخل إلى الصحن فسأل من هذا وذاك ما الخبر قـــالوا لـــه أن الشيخ مرتضى الأنصاري وصل إلى كربلاء وهاهو الآن دخل الصحن والناس يتزاحمون على السلام عليه وتقبيل يده. فالتحق بالجموع وشـــق طريقه ليقبّل يد الشيخ فتفاجأ بأنه هو الرجل الذي كان برفقته ويـــستقل دابته. فوقف حائراً مندهشاً من تواضع هذا الحبر العظيم. ومن بـــساطة طبعه وترسّله ومواساته.

حقاً إنه الخلق المحمدي العلوي الأصيل.

هل هي صدفة أم؟؟؟

عام ١٩٧١م كنت يوماً ما في بغداد وعادةً ما أذهب فأزور ابن عمتي السيد مهدي المرعشي الذي كان مكتبه في الشورجة (خان دّلـه) فذهبت قريب الظهر إلى مكتبه ولكنني دخلت بالاشتباه إلى خانٍ آخر يُعرف بخان الحريري وكنت أهمُّ بصعود الدرج وإذا برجل مُهاب ذو لحية بيضاء يلبس الكشيدة ينظر إليّ بتأمّل ثم صاح: سيدنا سيد حسن. فأجبته: نعم. فابتسم وقال: سيدنا جئتَ إلى هنا إلى مكتبي؟ قلت: لا وإنما دخلت هنا بالاشتباه. فأخذ يردّد: يا سبحان الله يا سبحان الله. ثم قال إنني أبحث عنك منذ ثلاثة أيام لمعرفة عنوانك أو إن كان عندك تلفون، وبعد ذلك تعبت واليوم منذ الصباح وحتى الآن أنا أفكر ما أصنع وكيف أعثر عليك. فما هذا هل هي صدفة؟ قلت: لا إنها ليست صدفة. لكن يد الغيب هي التي ترتب وهي التي تجمع الشتيتين وكما قال مجنون بني عامر:

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان طول الدهر أن لا تلاقيا

كان هذا الرجل المُكشَّد اسمه الحاج جعفر سليمان المسقطي وهو من تجار بغداد وأصوله من مسقط (عاصمة سلطنة عمان) وكان العمانيون قد كلفوه بالعثور عليّ ليدعوني إلى القراءة هناك في شهر محرم.

وسبحان الله كان هذا اللقاء العفوي هو بادرة السفر إلى هناك بتلك

السنة واستمريت بالقراءة عندهم من عام ١٩٧١م حتـــى عـــام ١٩٨٥م وعلى مدى ثلاثة عشر سنة باستثناء عام ١٩٧٦م حيث كان السفر مـــن العراق ممنوعاً تلك السنة.

إذن إنها ليست حالة عفوية وإنما وكما قيل: العبد يقدّر، والله يدبّر.

وللترفيه هاك هذا؟؟؟

كما مرّ في ثنايا القصص بهذا الكتاب أن زوار الحسين عليه السلام قديماً كانوا يمتطون الدواب للذهاب إلى كربلاء وكانوا على قسمين قسم يستأجرون الدابة، وقسم يشتري حماراً وبعد انقضاء المناسبة يبيع ذلك.

فما هي المعلومة:

أحدهم كان متردداً وقرر أن يحسم الأمر بالاستخارة وراجع عالماً مشهوراً بالاستخارة بشكل عجيب. فعرض عليه مطلبه وأنه يوّد أن يستخير له بالقرآن الكريم للخروج من حيرته. ولكن لم يخبر هذا العالم بما في نفسه وما هو الأمر.

لقد استخار هذا العالم وفتح القرآن ونظر إليه وافترشت وجهه ابتسامة رقيقة ثم سأله على خجل: هل نويت على شراء حمار؟ فاستبشر الرجل بحماس. وقال: نعم نعم الله أكبر وكان متعجبّاً. لكن هذا العالم أغلق القرآن بسرعة وبارك له ذلك. إلا أن الرجل تمسّك بهذا العالم لمعرفة الآية وكيف أوّلها بهذه الصورة. واضطر السيد العالم إلى أن يذكر له ذلك على استحياء فقال كانت الآية الكريمة هي: ﴿...سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ...﴾ فغصَّ الرجل في ضحكةٍ شديدة.

أقول:

لا نستبعد أن يصبح إنسان أخاً للحمار وذلك مرّة بتفكيره الضحل

أو بحركاته أو لا. لربما تناول الإنسان لبن الحمارة أيام طفولته. حيث كانت النساء قديماً تستعمله لبعض الأعراض الصحية عند الأطفال. فيصبح الإنسان شاء أم أبى أخاً للحمار من الرضاعة.

أقول:

هناك مقالة عن الاستخارة أيضاً في كتابي (محنة الهروب من الواقع) ويمكن الرجوع إليها للتزوّد أكثر عن الاستخارة وما يترتب عليها وتقع في ص٢٠٧ من الكتاب المذكور!!!.

اتصالاتٌ غير مرئية

تم الترابط والتواصل بين أخوين أحدهما في مدينة دبي والآخر في مدينة طهران وفي الوسط كان بينهما شخص ثالث يسكن في مدينة قم.

فما هي القِصة:

صباح الجمعة يتصل الأخ الكبير من مدينة دبي بالوسيط في مدينة قم عن طريق الهاتف ويطلب منه التعرف سريعاً على وضع أخيه الذي يسكن مدينة طهران وإن كان يعاني من أزمة مالية فليسّدد له ذلك من قبله فوراً.

اتصل الوسيط بعد جهد مضني فحصل على الطرف واستفسر عن أحواله وفعلاً علم أنه في حالة سيّئة مالياً وعلى الفور هيّأ له الحل وأبلغه بأن أخاك في دبي أمرني بذلك وبشكل فوري. فشكره ثم سأله عن الأسباب التي دعته إلى هذا التدّخل العاجل وهي عجيبة بالنسبة له وأنّه يوّد أن يعرف ذلك.

قُبيل ظهر ذلك اليوم بنفسه أعاد الاتصال الأخ الكبير من دبي ليعرف ماذا فعل لأخيه بطهران فأجابه الوسيط بأنه نفّذ كل شيء وأنه كان يعاني من مشكلة مالية أرهقته جدّاً.

وهنا سأله الوسيط بأن أخاك يرغب أن يعرف السبب لاهتمامك هذا المفاجئ فتأمّل السيد الأخ الكبير قليلاً ثم قال له: نعم، بالأمس وفي عالم المنام شاهدتُ والدي أكثر من مرّة وهو يلح عليّ بالاستفسار عن

وضع أخي هذا ويأمرني بمساعدته بسرعة وهذا هو السبب.

نقل الوسيط هذه المعلومة إلى الأخ صاحب الكربة المالية وأن السبب هو أن والدك حثه في المنام مراراً على ذلك ليلة أمس فبكى وقال: يا سبحان الله بالأمس ليلاً مررتُ على قبر والدي (ووالدهم مدفون في مدينة قم) وأنا مضطرب وشكوتُ له حالتي.

أقول:

إن هذه القصة الصغيرة بكل مقاطعها هي برهان صارخ أن هناك عالماً لا نرصده بعيوننا وهو فوق مستوانا. وكما نحن كبار السنّ نهزأ بأطفال يلعبون. كذلك أبناء ذلك العالم يهزؤون بنا كما نهزأ نحن بالأطفال لأننا صغار بالنسبة لهم. فهذه الأرواح تتصل وتبلّغ وتحذّر وتتواصل برسائلها ومعلوماتها ولا يقف أمامها بُعد زمانٍ أو مكانٍ. فهنيئاً لفاعل الخير خصوصاً إذا كان خيره لأرحامه وأهله.

خداعُ الأسماء

إن عالم الأسماء والحديث عن الاسم والمسمى فيه كلام كثير وخطير. لكن ما يهُّمنا هو أن الخير كلّه حينما يتطابق الاسم مع المسمى. فكم هي نكبة حينما يسمّى رجل بحسن ولكنه قبيح الوجه أو يُسمى صنديد ولكنه يفرُّ من النملة. وفي هذا الصدّد كنت أحدّق في الستينيات بوجه الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر وكنت أشعر أنَّ اسمه يتطابق مع شكله ونُطقه فهو جمالٌ اسماً ونُطقاً ووجهاً.

نعم، يمكن لمن يحمل اسماً حسناً ووجهاً قبيحاً أن يعوّض عن ذلك بفعل جميل وسلوك جميل وعطاءٍ جميل ويقول في هذا أحد الأدباء:

بأحسن الوجه توّق الخنا ... لا تبدلن الزين بالشين

ويا قبيح الوجه كن مُحسناً ... لا تجمعن بين قبيحين

وتذكر السير أن من صفات المغيرة ابن شعبة أنه كان سيء المحضر وأنه ذات يوم شاهد شاباً يمشي وتصحبه زوجته وكانت في غاية الجمال وزوجها في غاية القُبح. فأراد المغيرة أن يطبق سوء محضره فهمس في إذن الزوجة وهو يقول: ما هذا الجمال مع هذا القُبح، وأشار إلى زوجها. لكن هذه المرأة ألقمته حجراً لن ينساه. فقالت: إما أن أكون عصيتُ ربي فجعل قبحه جزاء معصيتي وإما أن يكون قد أطاع ربه بصدق فجعل له جمالي جزاء طاعته. فولى المغيرة خائباً.

أقول:

عام ١٩٧٦م تعذّر عليّ حصول تأشيرة السفر من النجف الأشرف ويأست من ذلك للمضايقات الأمنية وقلتُ في نفسي: أذهب إلى بغـداد لعل الله يُفرج الأمر من هناك رغم إني أعرف أن ذلك غير ممكن حيث أن الملف هو في دائرة النجف الأشرف.

اتجهت صباحاً إلى بغداد وأوقفت سيارتي أمـام دائـرة الـسفر والجنسية العامة في شارع ٥٢ ببغداد. ودخلت هذه الـدائرة الوسـيعة والصاخبة بالمراجعين وأنا معمم وأتنقلّ بين الناس وفي جوّ كان يخشى أحد أن يسلم على المعمم أو يصافحه خشية أن يغيـب فـي زنزانـات السجون.

بينما أنا متحيّر وأنا أمام غرفة المدير العـام للـسفر والجنـسية فانفتحت الباب وخرج من الغرفة أحد المراجعين فلاحظت أنه المـدير العام وقرئت اسمه على طاولته وهو اللواء الركن محمد صادق الربيعي وكان قبيح الوجه جداً. فجذبني اسمه أن أدخل عليه ظناً مني بأنه مـن أتباع أهل البيت كون اسمه هذا.

تقدمت للحارس وقلت له: أبلغ المدير أن فلاناً يريد الدخول عليك، وأعطيته اسمي فخرج الحارس وقال: تفضل. فدخلت عليه وبيده إحدى الصحف يقرأ فيها وسلمتُ عليه فلم يجب سلامي ولم ينظر إلـيّ حتـى يقول أجلس أو لا. فبقيتُ واقفاً لفترة ثم سألني بخـشونة: مـا تريـد؟ فعرضت عليه الأمر. فصرخ بوجهي لا يمكن هذا أرجع لبلـدك ومـن هناك فقط. فتركته وخرجت.

لقد هممت بالخروج من الدائرة حتى عبرتُ نصف الشارع ولكن

فؤادي كان جمرةً ملتهبة وكنت ألوم نفسي على هذه الخطوة. وفي وسط الشارع قررتُ العودة إليه. وقلت للحارس أني نسيتُ أمراً أخبر به المدير العام فأبلغه وفعلاً خرج الحارس وقال أدخل. فلما دخلت وجدّته أشدّ من قبل وصاح بلهجته الشعبية (ها شتريد أشو أجيت أردود) يعني لماذا عُدتَ إليّ. قلت له: نعم، أنا ارتكبتُ خطأً كبيراً بدخولي عليك أول مرة. لكن العتب على هذه اللوحة المكتوب فيها اسمك حيث لما قرأته (محمد صادق) ظننتك من أتباع أهل البيت. لذا لما خرجت منك كنت ألوم نفسي وفي وسط الشارع قررتُ العودة إليك لأُبلغك بأني لستُ فضولياً لكن اسمك فعل بي هذا.

وما بعد ذلك:

إن هذا الرجل لما سمع مقالتي وكأنَّ ماءً بارداً أُلقي عليه فابتسم قليلاً وأنا أهّم بالخروج وهو يلحّ علي بأدب واحترام: تفضّل وأجلس لا تزعل أتفضل. فجلست فصاح بالحارس وقال أغلق الباب ولا يدخل عليّ أحد. ثم انفتح علي وقال: من هو (صادق) عندكم؟ فقلت له: أحدّثك باختصار. قال: لا! أريد هذا بالتفصيل لأن أمي سمتني به والآن عمري ٤٩ سنة ولم أعرف عن تاريخ هذا الاسم ومن هو صادق. فذكرت له أن هذا اسم لصفة من صفات النبي صلى الله عليه وآله وهو الصادق وكذلك هو اسمٌ لسادس إمام من أئمة الشيعة الإمامية الاثني عشرية وذكرت شيئاً عن حياة الإمام الصادق عليه السلام. وكان يستمع إليَّ بإصغاء.

لقد رأيتُ الرجل تبدّل سلوكه ١٨٠ درجة وكان يهوى أن أطيل

الحديث معه ثم قال لي: يا شيخنا أنا منذ طفولتي وحتى اليوم في سلك الشرطة والوظيفة صدّقني يا شيخ أنا أول مرة في عمري أجلس مع عالم ديني واستمع إلى أحاديث كهذه. وأنا من قرى مدينة حديثة غرب العراق. ثم أخذ مني أسماء بعض الكتب.

بعدها سألني: شيخنا ما مشكلتك؟ قلت: إذن أنت لم تفهم مطلبي أول مرّة. قال: سامحني بصراحة أقول لك لم أعرف ذلك أبداً.

لقد ذكرتُ له حاجتي فتأمل وقال: أن هذا أمر يرتبط بالبلد الذي تسكنه حيث الملف هناك ولكن لديّ كـ(مدير عام) صلاحية في الحالات الاضطرارية. ثم أخذ جوازي وأرسله بيد موظف وكنت أشرب الشاي عنده والقهوة حتى جهز الجواز في غضون ساعة وسلمني الجواز وهو يعتذر إلي وشيعني إلى الباب وصرّح بأنه يتطلع إلى لقاءٍ آخر معي. لكن الحظ كان هكذا. حيث علمتُ بعدها أنه نُقل إلى موضع آخر.

هذا ما كان من أمر الاسم والأسماء.

كيف تصلك رسالة من السماء

أنه ليس من عبث الكلام أو لغو القول وإنما هي حقيقـــة أقرّهـــا القرآن الكريم فمرة يقول الله للنحل بطريقة خاصة ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَـــى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً...﴾، ومرّة يتمّ هذا عن طريق ملـــك يتمّثل بصور بشر كما حدث للسيدة مريم عليها السلام إذ تمثل لها روح القدس بصورة البشر: ﴿...فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً﴾.

ومن خلال هذا أن حدث ذلـــك للمرحـــوم الـــسيد عبـــد الكـــريم الكشميري رضوان الله تعالى عليه وكنا نلتقي خلسةً ونتـــشاور حـــول الهجرة من العراق لتعاظم الخطورة وتزايد حملات الإعدامات الجماعية ومداهمات الاعتقال على الظنة والتهّمة والانتقام الكيدي وكان رحمه الله متعلقاً بالنجف الأشرف كما هو المرحوم الشهيد الصدر الأول والخطيب السيد جواد شبر وغيرهم ممن لمستُ منهم هذا المعنى.

وفي أواسط عام ١٩٨٠ قررتُ الهجرة. وكذلك السيد عبد الكريم الكشميري ورتبت له تأشيرة السفر لكنه في الآونة الأخيرة فلَّ عزمـــه. وغادرتُ العراق في ١٩٨٠/٧/١٣م وبعد أشهر علمتُ أنه وصل إلـــى إيران. فذهبتُ إلى طهران لزيارته وضمن الحديث سألته عـــن ســـبب هجرته بعدما كان على غير ذلك. فقال:

أنني غالباً حينما أزور الحسين عليه السلام ليلة الجمعة أعود ليلاً

إلى النجف الأشرف لكن في ليلة جمعة لم يحصل ذلك وكانت سـبحان الله آخر ليلة جمعة، فبِّتُ في كربلاء. وفي الصباح الباكر زرتُ الحسين عليه السلام ثم زرت العباس عليه السلام وخرجت والشمس بعدُ لم تبزغ وبينا أنا أُسلّم عند باب الصحن وكانت عجوز نائمة في الممر فاستيقظت فجأةً وحدّقت بوجهي بشكل غير طبيعي ثم قالت بلهجتها الشعبية (سـيّد ليش ما تمشي والله إن بلشوا بيك الظُلاّم تره ما يرحموك) ثم وضـعت رأسها وعادت إلى النوم. يقول السيّد رحمه الله ففهمتُ ذلـك. وعلـى الفور قرّرتُ السفر. ويقول: وبعد وصولي إلى إيران بثلاثة أيام علمت أن رجال الأمن داهموا بيتي بحثاً عني لاعتقالي ولكن الله أنقذني بلطفه وأن المرأة التي استيقضت فجأة وكلمتني هي رسالةٌ من الغيب وأشـكر الله على ذلك.

أسرار الاستخارة

الحديث عن الاستخارة طويل. ولربما كانت نتيجتها تظهر بعد مدة تطول إلى أعوام، وإليكَ أيها القارئ ما يلي:

وهي قصة رواها لي المرحوم السيد عبد الله الشيرازي وهو والدُ عديلي السيد محمد علي الشيرازي وكان من مراجع النجف الأشــرف يقول:

لقد خضعت مدينة أصفهان لفترة من الزمن إلى حكم النواصــب وهم آل سبكتكين وذلك قبل استيلاء الصفويين عليها. وكانت فترة حكم محمود السبكتين أصعب كل هذه الفترات وامتدّ حكمه سبع سنين قتــل فيها أكثر من ٧٠ ألف شيعي وفي يوم واحد ضرب أعناق ٩٩ عالمــاً من علماء التشيّع وجاءوا له بعالم ليقتله فيكون عددهم ١٠٠ وهو عــالم كبير واسمه الملا عبد الله رازي. لكنه لم يقتله آخر لحظة حيث شــاهده يعرج برجله فقال للشرطة أطلقوا سراحه لأنه يــشبه الخليفــة عثمــان بعرجته وتُرك إلى حال سبيله.

إن هذا العالم الجليل عاد إلى أهله ليهدّئهم بأنه نجا مــن المــوت وأعلمهم بأن سبب نجاته هي استخارته قبل ٢٠ عاماً.

فما هي هذه الاستخارة وما هي ظروفها:

يقول المرحوم السيد عبد الله الشيرازي أن هذا العالم وهو المــلا عبد الله كان ملازماً للاستخارة بشكل مفرط جداً بحيث لا يتحرك أبسط

حركة إلا بالاستخارة. لقد استيقظ ذات ليلة في منزله وكان الوقت حاراً منتصف الليل وكان محتاجاً إلى الذهاب إلى بيت الخلاء ليتبول لكنه أثناء نزوله في الدرج أَحسّ بحركة فظن أنه لصٌ وقد يعتدي عليه فتحيّر فاستخار أن ينام محصوراً فكانت الخيرة نهي ثم استخار أن ينزل من الدرج رغم الخطر فجاءت الخيرة نهي. ثم استخار أن يبول في السطح فكانت نهي فتهستر واستخار أن يلقي بنفسه إلى صحن الدار من أعلى السطح فكانت جيّدة وتأمر بالعجلة فرمى بنفسه فانكسرت رجله وبقي لمدة مريضاً يعالجها. وكان زملائه يعودونه ويهزؤون من استخارته وكان يلحَّ في الجواب على أن في ذلك سرٌّ من الأسرار الإلهية وبرء من مرضه أخيراً وبقي أعرجاً وكان يعرّضه ذلك للملامة. حتى حدثت حادثة الناصبي (محمود السبكتكين) فخلّى سبيله لعرجته فعاد إلى أهله وصحبه ليقول لهم هذا سرّ الاستخارة التي أنقذت حياتي.

تغمدّ الله الجميع بواسع رحمته.

وهناك حديثٌ سابق عن الاستخارة في كتابنا (محنة الهروب من الواقع) ص٢٠٧ فليراجع.

بركةُ المال

كان صديقي الضيف يحاورني عند باب صحن السيدة المعصومة عليها السلام صيف عام ٢٠٠١م وخلال حديثنا توقــف عنــدي الــسيد المُهجّر من العراق والممتحن وتداولت معه محنته في العثور على بيت إيجارٍ له حيث كان يواجه صعوبة كبيرة إذ يمتنع أصحاب البيــوت أن يؤجروا بيوتهم لرجل ذووا أطفال متعددين وكان هذا السيد العجوز لديه ستة أولاد صغار.

لقد فهم ضيفي بعض محنة السيد وسألني عنــه وعــن وضــعه فأخبرته أنه من ضحايا الانتفاضة في العراق وأن صدام قتــل ولديــه الكبار وأخاه وخرّب كل ممتلكاته وصادر أراضيه فتأثر هــذا الــضيف الكريم وفكرّ قليلاً ثم سألني: كم سعر البيت الذي يناسبه علــى كثــرة عياله؟ فقلت له: يمكن أن يكلّف ذلك ٢٠ مليــون تومــان = ٢٠ ألــف دولار آنذاك. فتأمل ثم قال لا بأس يا سيدي اشتري له بيتاً وأنا سأرسل لك بعد أيام نصف المبلغ ثم يأتيك باقي المبلغ. وهنا شكرته وشكرت الله على هذه الصدفة وكما قيل (رب صدفة خير من ألف ميعاد) وفي اليوم الثاني سافر الضيف لبلده وبعد ٣ أيام أرسل إليّ عشرة آلاف دولار.

بقيت أتابع مكاتب الدلالين حتى عثــرتُ علــى منــزلٍ مناســب وأرسلت السيد وعائلته لفحص البيت فعادوا معجبين بالبيــت فــأخبرت السيد أن فلاناً الذي كان معي عند باب الصحن هو الذي تبرّع بذلك لك

فاستأنس وأخذ يدعو له.

لقد قمنا بالمكاتبة مع مالكة البيت وهي أرملة متوسطة السّن ومعها ولدها الشاب وليس لها من زوجها إلا هذا الولد الوحيد. وكان هذا الشاب بمظهره مبعثراً في وضع لباسه ويضع القلادة النسائية على صدره وقد صف شعره بشكل غير مناسب وكان هؤلاء من سكنة طهران، واتفقنا على السعر وهو ١٩ مليون تومان.

عند التكاتب أعطيتها عشرة ملايين تومان ليبقى نصف المبلغ عند نقل الملكية. وبعد أسبوعين جئتُ مع السيد إلى مكتب التسجيل العقاري لتسجيله باسمي ودفع باقي ثمن البيت للمرأة وولدها.

لقد لاحظت المرأة أن البيت سيُسجل باسمي فسألتني باهتمام ومعها ولدها: هل أن البيت لهذا السيد أم هو لك؟ قلتُ لها: لهذا السيد. قالت: فلمَ تسجله باسمك؟ فشرحت لها السبب وأنه عراقي ولا يسمح بتسجيله باسمه. فقالت: هو من كربلاء؟ قلت: مجاور لكربلاء. ثم سألتني عن وضعه وكان ولدها يستمع فذكرتُ لها قصته وكيف أن صدام حسين أعدم أولاده وأخاه وما صُبّ عليه من مصائب وأن رجلاً من أهل الخير تبرّع له وإلى آخر ذلك.

فذهبت إلى زاوية وهي تتشاور مع ولدها. ثم عادت وأعطتني العشرة ملايين تومان التي استلمتها من قبل وقالت: أن البيت هديةٌ مني ومن ولدي لهذا السيد. وهنا وقفنا في دهشة وكلما كلمّتها بأن رجلاً تبرع له فكانت تردّ علي أن البيت له مني هدية، وستعطيني جدّته فاطمة الزهراء بيتاً أوسع منه بكثير يوم القيامة.

لقد حدث جوٌّ عاطفي مثير حيث تعطّل الموظفون وكل من كــان حاضراً عن أعمالهم وأجهش البعض بالبكاء وراح آخرون يهنئون هذه المرأة وولدها، وأخيراً وقعتّ المرأة على المعاملة وطلبت منه الــدعاء لها ولولدها وسافرت.

قمت بالاتصال هاتفياً بالمتبرع وقلتُ له: أن أموالك مبروكة بشكل عجيب جدّاً حيث أتت بمثلها وذكرتُ له القصّة، فتأثر. ثم قلت له: مــا مصير هذه الأموال؟ فقال: اشتري بها منزلاً لسيد آخر. وفعلاً تم ذلــك في مشهد المقدسة لسيد آخر يسكن هناك.

يقول الأديب:

إلا إنما مالي الذي أنا منفقٌ وليس لي المال الذي أنا مالكه

جعلنا الله من أهل المعروف وجعل بِرّنا في مواضعه.

من صالح الله صالحه

سمعت من مشايخي الكبار قبل أكثر من خمسين عاماً. أن الـشيخ مرتضى الأنصاري والشيخ عصّار وكلاهما من منطقة الجنـوب فـي إيران. ودخلا سويّاً إلى النجف الأشرف وأصبح الرجلان يتدرّجان في التحصيل حتى أصبحا في طليعة تلاميذ الشيخ محمد حـسن صـاحب (موسوعة الجواهر) وكانت الأنظار متساوية تجاههما.

كان هذان الرجلان يسافران ظهر الخمـيس والجمعـة (عُطلـة الحوزة) إلى الكوفة للتنزّه ويومها كان يعيش طالب العلم بأصعب عيشة وربما كل راتبه الشهري لا يساوي قيمة وجبة غداء في زماننا هذا.

في ظُهر جمعة من الجمعات صليا الظهر في مسجد الكوفة وكان عند باب المسجد خباز وبجنبه بقال. فمضيا واشترى كل واحد منهمـا رغيفَ خبز ولم يكن لديهما من المال ما يشتريان إداماً (غموس) لكـن الشيخ عصّار اقترح على الشيخ مرتضى أن يشتري كل واحد وبقيمـة زهيدة شيئاً من الدبس ليأكلوه مع الخبز وأن البقال لن يمتنع أن يبيعهما بالدين (النسيئه) فذهب الشيخ عصّار وجاء به من البقـال أمـا الـشيخ الأنصاري فتحرّج وقال: أنا لا أستوعب أن أشتري بـدين ولا أعـرف ماذا سيحدث. ورجعا إلى النجف الأشرف ليلاً.

لقد مرت الدهور وتغيّرت الأحوال وبالتالي توفي الشيخ صـاحب الجواهر وخَلَفهُ الشيخ الأنصاري في زعامة الشيعة والحوزة. أما زميله

الشيخ عصّار فضاع وذاب اسمه وانتقل إلى إيــران ليعــيش معــزولاً ببعض المدن. لكنه بعد فترة كتب رسالةً إلى زميله وصــديقه الــشيخ الأنصاري وقال فيها: ما حدا مما بدا فأنا وأنت نــشأنا بحالــة واحــدة وتساوينا في التحصيل وفي كل شيء فكيف أصبحت بهذه المنزلة وأنــا أختفيت. فأجابه الشيخ: بأنه لا يعلم عن النوايا وأسرار التقديرات الإلهية ولربما كان السبب في ذلك هو الدبس الذي اشتريته من البقّال يوم كــذا بباب مسجد الكوفة.

اللهم اعصمنا من دبس كهذا وأجعل خواتيم أعمالنا بخير.

من أنواع البُخل

أعاذنا الله من البخل والبخلاء وخير تعريف للبُخل ما نقرأه من حديث للإمام علي عليه السلام قال: البخيل إذا أعطى حَقَد وإذا أُعطي جَحد.

والبخل أنواع ويأتي بعدّة مشاهد.

ومن أنواع هذه المشاهد البُخل العلمي فحينما يمتلك الإنسان علماً فعليه أن ينشره للآخرين والحديث يقول خيركم من تعلمَّ العلم وعلَّمه. وحديث آخر: زكاة العلم نشره.

وفي ظاهرة ملفتة ومهمة أنني كنتُ أقرأ في مدينة الشنافية في عام ١٩٦٤م في الفرات أصبت بنزلة برد تسلّلت إلى صدري واختفى صوتي بالكامل. ولم تنفع الأدوية التي كنت أصحبها كما فشل الطبيب في معالجتي وكان الوضع يتطلب الراحة. ومن أين الراحة وأنا يوميّاً عندي ثلاثة مجالس. إنها أزمة مُحرجة!!!

لقد اقترح عليَّ أحد الأصدقاء أن أذهب إلى رجل عجوز يتطبّب عنده الناس بمواد محلية من قبيل الأعشاب وغيرها. فجئنا عنده وإذا هو مسنٌ ويرتجف وأمامه صرارٌ متناثرة وفي كوخ بسيط لا أعرف متى تزيله الرياح الهائجة.

شكوت إليه الحالة فأمر بماء دافئ وأخرج مسحوقاً أبيض بقدر نصف ملعقة شاي ألقاه في الماء وأمرني بشربه وما أن شربته وإذا بعد

دقيقتين عاد إليّ صوتي بأحسن من ذي قبل. وشكرناه.

الملفت في الأمر كلما طلبنا منه كمية من هذا المسحوق فــرفض كما رفض إعطائنا اسمه. وكررنا المحاولات وتمنّع. وفهمــتُ بعــدها بفترة أنه مات. وقد سألنا أولاده فقالوا أنه يملك الكثير من هذه الأدويــة وأسمائها ولكنه لم يحدثنا ولم يعلمّنا بذلك ومات وماتت معه معلوماتــه. وألقينا بتلك الصرار في النهر وليته كان قد علمّنا لتكون لنــا مــصدر رزق ومكانة عند الناس إضافة للثواب.

إنه هو البخل بالمعلومة ولعله من أسوأ حالات البخل.

لله تعالى من شؤون

كان رحمه الله يسكن المدرسة الهندية في كربلاء والتي أصبحت جزءً من الشارع الجديد بين الحرمين. كنت أراقب هذا الرجل الفاضل وهو يتصرّف بشكلٍ ملفت. فمثلاً أنه دائماً يغلق باب حجرته. ثم علاقاته مع الطلبة في المدرسة كانت عديمة جدّاً إلا ما ندر، وكان يخرج ويدخل واضعاً عباءته على عمامته ولا يُرى من وجهه إلا عيناه. وكان يتحرك بسرعة وبخفة. كنتُ لما أشاهده أقف حائراً في تفسير هذه الحالات. هل هو درويش. أو مختّل العقل. لا أدري. وضمناً كان يعاني فقراً شديداً وأغلب طعامه الخبز فقط.

كان خادم المدرسة وهو أفغاني صديقه فقط. وكانا يجلسان أحياناً آخر الليل يتحدثان بهدوء. هذا ما كنت ألحظُه لسنوات طويلة.

وماذا بعد:

لقد جاء دور الفرج وأيامُ الغِنى. فقد مات أخوه الذي كان زعيماً دينياً لفرقةٍ من فرق الشيعة وهم.... ولم يكن هذا الرجل يدرك في يوم من الأيام أنه سيخلف أخاه في زعامتهم لأن ابن الفقيد كان يُحضر نفسه خلفاً لوالده بانتخابه إلا أن الأمور اقتضت بانتخابه ليكون هو الزعيم الديني الجديد لهذه الجماعة. والتي تتعصب بشّدة لاحترام زعيمها بشكل يشبه الصنمية ويرجع هذا لتكتلها وتعصّبها لإثبات وجودها.

وباختصار:

جاء رتل من السيارات ربما يقرب المائة وبعضهم ذكر أقلَّ مـــن ذلك وحملوه من المدرسة كالعروس محمولاً إلى عشّ الزعامة. وأصبح زعيماً روحياً لهذه الفرقة كما أصبح يعيش دُنياً جديدة وصــار يملــك خزينةً من المال.

وماذا بعد:

أما صديقه خادم المدرسة فكان يبحث عن أخباره وبعد فترة علــم بوضعه فكتب له رسالة عتاب وذكره بأنه صديقه وحيــث أصــبح الآن غنيّاً فلِمّ نساه. وبعد مدة أجابه هذا العالم الجليل برسالة يعتذر إليه وكان من جملة ما كتبه لزميله هذا وكانت بالفارسية: بأن مكانك هنا خالٍ جدّاً ولو كنتَ حاضراً لرأيت بعينك. كيف أن الله رزقني حميراً أمتطيهم بكل راحة ومتى ما شئت ويا لها من روعة. وبالضمن أرسل له مبلغاً مـــن المال.

حنينٌ إلى الوالدة

اصطحبني الوالد رحمه الله ومعي أخي غير الشقيق السيد مهــدي في سفره إلى إيران في عام ١٩٦٣م وعمري آنذاك ١٦ عامــاً علــى أساس أننا نعود بعد أسبوعين. وسافرنا وكانت هي أول سفرةٍ لي خارج العراق.

وعلى عكس المتوقع طالت السفرة لتمتد خمسة وسبعين يوماً. فبعد إيران سافر الوالد إلى باكستان ومضت علينا شهران وبضعة أيام.

وكنت أنا متعلقاً بأمي بشكل عجيب وهي كذلك في المقابل لم يُهن عليها فراقي ولم تكن آنذاك هواتف ووسائل اتصال كما هي اليوم.

حقّاً لقد تعطبّ فؤادي أشّدَ العطب وأُصبتُ بشبه كآبة أو أنفــصام شخصي حيث كنت أجلس لوحدي ساعات وتمثل بعيني أمي وأنا أتذكر حنانها وعواطفها واتصبّر وأنّى لي بالصبر.

فما الذي حدث:

كنا في كراجي في ضيافة أحد التجار الشيعة وهو الحاج غلامعلي جيتا بهائي گوكل وهو شقيق الحاج عبد الحسين جيتا بهائي گوكل الذي أعدمه صدام حسين في البصرة عام ١٩٦٩م.

وكان الوالد يخرج صباحاً ويتركنا إلى ما بعد الظهر، وذات يــوم وبطريق الصدفة شاهدتُ راديو من الحجم الكبير في الحجــرة فــشغلته وأخذت أغيّر مؤشر الموجات فتفاجأت بصوت إذاعة بغــداد وصــوت

المغنية العراقية (زهوري حسين) وعجيب أنها كانت تغني (أغنيتها المعروفة في رثاء أمها بلقيس) فكانت تنشد بصوتها (حاچيني ييمّه فهميني ييمّه غريبة من بعد عينچ ييمّه) ولا أدري كيف حكمت الصدفة فحول ذلك وضعي إلى دموع ونشيج واستمريت أبكي لساعات وصورة أُمي ماثلة أمام عيني وجاء الوالد رحمه الله ظهراً وأخذ يهدئني بأن العودة قربت وفعلاً بعد أسبوع عدنا إلى النجف الأشرف فوجدت أمي وآثار فراقي عليها بادية وكان مشهداً يعج بالألم حينما استقبلتني عند الباب.

تغمدها الله بواسع رحمته.

لا يرحم الله إلا راحم الناس

وأنا ذاهب بسيارتي إلى التسّوق، وكـان الجـوّ مغبـراً أصـفراً والرياح العاتية تنشر التراب ولم ابتعد إلا قليلاً عن منزلنا الواقع بقـم. شارع رجائي. ووسط الغبار الشديد حتى لاحظت سـيّداً معمّمـاً مـن ضحايا صدام ويعيش لاجئاً في قم المقدسة. توقفت وفتحت لـه البـاب وجلس وكنت أعرفه شخصياً دون اسمه.

ما أثارني هو أني وجدته كئيباً وكأنّ صدّره يضيق بهـمّ فـسألته فقال: يا سيدي لا أعرف ما أصنع. إننا مستأجرين من رجل بوديعة مائة ألف تومان. وفجأة جاء المالك وأمهلنـا أسـبوعاً لمغـادرة البيـت أو نضاعف له الوديعة (الرهن مائتي ألف) وأنا حائر وعيـالي كثيـرون ويدي خالية. سألته: من هو المالك؟ قال: فلان. وهو مدير (بنك سـپه) فرع چهارمردان. سألته عن عنوان البيت فدّلني عليه وأخيراً نزل السيّد في المكان الذي يريده.

لم يكن عندي آنذاك من المال إلا عشرين ألف تومان. وكان هـذا عام ١٩٨٣م وهي موجودة في حسابي بالبنك. فتوكلت على الله وأخذت دفتر الصكوك وذهبت إلى مدير البنك فوجدتـه وكـان إنـساناً لئيمـاً فعرضت عليه الأمور وأن هذا السيّد مشرّد ووضعه المالي صعب لكنه تعامل معي بصلف وكان يصرّ بأنه يريد مائة ألف تومـان إضـافة أو يترك السيد البيت. وهنا قلتُ له: أنا أعطيك صكاً ولكن لعـشرة أيـام

بالمبلغ ويبقى السيّد في البيت فوافق بعد إلحاح مني وكتبتُ لـــه صــكاً بالمبلغ. ثم اتجهت إلى بيت السيّد وأخبرتُ زوجته أن المشكلة حُسمت. فدعت لي كثيراً.

المهم في الأمر أنه لم يكن في حسابي رصيد إلا خمــس المبلــغ فبقيت أفكر كيف أوفرّ ثمانين ألفاً قبل موعد استحقاق الصك.

كان هذا كله حتى الواحدة ظهراً من نفس اليوم، وهنا الزُبدّة:

في منتصف الليل وتحديداً الساعة الواحدة بعــد منتــصف الليــل وكانت الحرب مشتعلة بين إيران والكفر العالمي. رنّ جــرس التلفــون وإذا بصديقٍ عزيز لي يتحدث إليّ من مدينة هاليفاكس وهي مدينة فـــي غرب كندا وبعد أن سلم عليّ واستطلع أحوالي قال لي: سيدي أبو زهير لقد أرسلتُ بحسابك في البنك مائة وخمسين ألف تومان. منها خمــسون ألف تومان نذر لقراءة مجلس تقرأه في حرم السيّدة المعصومة. ومائــة ألف أعطِها لسيّد محتاج فبُهِتُّ وقلتُ له: عزيزي (أبــو إبــراهيم) إذن دعني أحدثك ما حدث لنا هذا اليوم وذكرتُ قصة السيّد وكيف أعطيــت صكاً بالمبلغ نفسه ففرح الرجل كثيراً وعلم أن ماله كــان موفقــاً وقــد أصاب موضعه.

أما أنا فكان ربحي كبير وهو أني إضافة للأجر والثواب حصلتُ على خمسين ألف تومان حيث ذهبت إلى الحرم وقرأت هنــاك مجلــس تعزية.

وكانت صفقة رابحة والحمد لله.

تُحضِّر طعاماً ولا تعرف من يأكله

دُعينا إلى حفلة زفاف في مشهد المقدسة، وتحركنا بالسيارة من قم المقدسة عند الفجر متجهين إلى هناك والطريق يستوعب ١٢ ساعة أو أقل حيث المسافة بين قم ومشهد ١١٥٠ كيلومتراً.

أمضت زوجتي ساعاتٍ من الليل وهي تصنع طعاماً حيث أننا لا نأكل في مطاعم الطريق. وكانت الأطعمة هي البيض والبطاطا المسلوقة وأنواع من الكبة ثم الطاطم والقثاء والفواكه وغير ذلك بما فيه الخبز. وكان هذا لوجبة الغداء.

أما وجبة الإفطار صباحاً فكانت أنواعٌ أخرى تناولناها عند توقفنا في مدينة كرمسار في الساعة ٩ صباحاً.

قطعنا الطريق حتى تجاوزنا مدينة شاهرود وتوقفنا لأداء الصلاة ظهراً ثم تحركنا حتى عبرنا مدينة سبزوار فكانت الساعة الثالثة عصراً وكنا نبحث عن ضِلال أشجار نتوقف عندها للغداء وبعد مسافة طويلة لاحظنا أشجاراً وحوض ماء فتوقفنا وطرحتُ البساط لنجلس ومن ثم نتغدى وكانت الساعة تشارف الرابعة عصراً ولم يبق للغروب إلا ساعتان بمعنى أننا سندخل مدينة مشهد بالوقت المناسب لنحضر وليمة الزواج هذه.

أثناء جلوسنا قليلاً عند هذا الحوض لاحظت مزارعاً مُسّناً أفغانياً ويبدوا عليه الإرهاق سلم عليّ كوني معمّماً فسألته فيما إذا كانت

المزرعة هذه له. فقال: لا. نحن هنا فلاحون خمسة نعمل بأجر يــومي وصاحب المزرعة هو في سبزوار، وعلمتُ أن عوائلهم في أفغانــستان وتجمعّ هؤلاء حولي وهم منهكون. ثم سألتهم عن موضــوع طعــامهم فقالوا إنه يومياً يأتينا بالطعام ظهراً. لكنه اليوم لم يأتِ إلى الآن وعلمنا أن عنده ضيوفاً.

لقد هزّني وضعهم وحالتهم المتحطّمة وكانت زوجتي تهــمُّ بــأن تبسط السفرة لطرح الطعام فشاورتها. بأننا إنشاء الله بعد ساعتين نكون في مجلس العرس ولو تغدينا غداءً ثقيلاً فمعنى ذلك أننا لن نأكــل فــي وليمة الزفاف هذه. ثم ذكرتُ لها وضــع هــؤلاء الفلاحــين الغربــاء وجوعهم فما رأيكِ لو أعطيناهم هذا الطعام. ونحن نتسلى بكأس شــاي حتى نصل هناك فرحبت بالفكرة وشجعتني فحملت الطعام كله وحتــى الخبز والفواكه وقدّمته إليهم وسبحان الله كأنّ مائدةً نزلت علــيهم مــن السماء من شدة فرحهم.

تحركنا بعد نصف ساعة فلاحظتُ زوجتي تفكر مليّاً ثــم قالــت سبحان الله لقد سهرتُ ليلة أمس وتعبت لإحضار هذا الطعام ولم أكــن أعلم أنني أطبخه وأُعدّه لأناس آخرين لا نعلم من هم وأين هم، ولكــن نحمد الله على هذا التوفيق العفوي.

حيث لم يكن بخططنا أين سنقف ومتى نأكل. إنها عملية الغيــب والتقديرات الإلهية. والله يقول: ﴿وما تدري نفسٌ ماذا تكسب غداً ومــا تدري نفس بأي أرض تموت﴾ صدق الله العلي العظيم.

ماذا جرى لنا في مدينة المشخاب

مدينة المشخاب (الفيصلية) من المدن التي تعجُّ بالعشائر العربيــة كآل فتلة والحميدات وآل شبل والجبور والسادة آل الحلو وآل ياسر وآل الأعذاري وآل النفاخ وغيرهم.

لقد قرأتُ في هذه المدينة مع أستاذي الشهيد الـسيد جـواد شـبر (مقدمة) وكنا نقرأ عصراً في مجلس السواق على ضفة الشط. وليلاً عند السيد عبد الشهيد الياسري وبعده في منزل الحاج عبد علي الحداد، وذلك في العشرة الثالثة من المحرّم عام ١٩٦١م.

لقد كنا نؤدي صلاتي المغرب والعشاء في غرفـة فـوق مكتـب الحاج عبد علي الحداد وكانت النوافذ مفتوحة. فلاحظنا مجلساً عند النهر ورجل يرتدي العقال جالس على كرسيٍّ له وهو يقـرأ وكـان صـوته يصلنا. فتنصّتَّ السيد جواد شبر إليه وإذا به يخاطب المـستمعين لـه ويقول لهم: أتحبُّ الحسين لا عليك أفعل ما تريد ثم يضرب بكفّه علـى رقبته وهو يقول برقبتي هذه. فلما سمعه السيد جواد وكـان رحمـه الله غيوراً على مبادئه ولا يساوم. رأيته توتّر ثم لبس جبته وعمامته ولبس العباءة فسألته: أين تذهبون شيخي؟ فقال: أذهب لهذا المسكين أنه يقول الكفّر على المنبر ويخدع الناس ليضحك عليهم. فتبعته وجئنـا فوقـف أمامه وصاح بصوت عالٍ: يا ناس ماذا يقول هـذا لكـم؟ أن الإمـام الصادق عليه السلام جمع عياله وهو في الاحتضار وصـاح: لا تَنـال

شفاعتُنا مستخفّاً بصلاته. ويقول الإمام علي عليه السلام: أن شيعتنا من أطاع الله ورسوله، وعدونا من عصى الله ورسوله. ماذا تقول لهم يا شيخ أتق الله فيما تقول. فسكت الرجل ولم ينطق بشيء ورجعنا إلى الغرفة. وبقي السيد جواد متأثراً منفعلاً.

أقول:

لا أدري ماذا كان يفعل أستاذنا الشهيد لو كان حاضراً اليوم ويسمع ويبصر ما يقوله الذين يظهرون على فضائياتنا وهم لا يفقهون ما يقولون، وما يفعلون وكأنه أصبح من سمات زماننا هذا أن ينجح الخطيب في إبكاء الناس ولو بالخرافات أو ابتداع الكوريزات التي هي بالنتيجة فضائح لهتك أهل البيت عليهم السلام.

لقد سألت رجلاً في الكويت وهو صاحب حسينية وكنت أقيّمه بأنه يفهم فسألته: من خطيبكم؟ فذكر لي اسماً لا أعرفه، ثم سألته عن أدائه؟ فقال بصوتٍ متحمس: جيد جداً للغاية!!! فسألته: بأي دليل؟ فقال (الحريم مستانسين) وكلمة الحريم هي النساء وأنهّن يبكين لحسن صوته وشجائه!!!.

وذكرّني هذا بقوم طلبوا خطيباً (قبل ٥٠ سنة) من منطقةٍ في شرق العراق واشترطوا أن تكون فيه مواصفات منها أنه عندما يطرح موضوع أبي الفضل العباس في السابع من المحرم لابد أن يذكر بأن العباس عليه السلام قتل سبعين ألفاً. واحتار هذا الخطيب؛ لأن أعلى رواية في عدد الجيش الأموي هو سبعون ألف، وأقل رواية ثلاثون ألف. وعلى افتراض صحة الرواية الأولى والعباس قتلهم جميعاً فماذا

حصة الحسين عليه السلام وعلي الأكبر والقاسم والأنصار عليهم السلام. فرفض الخطيب وناقشهم فتخلّوا عنه ووصفوه بعدم الفهم.

إن هذه لُعبتنا اليوم حيث من يمتلك صوتاً بلا معلومات فيركز على الدمعة ويلغي كل شيء ويعتبره فضولياً. ليسحر عوام الناس ويتاجر بدم الحسين ومصابه ويثرى على حساب تعطيل عقول الناس والضحك عليها.

وهناك من ينتمي إلى فريق آخر يمتلك معلومات دسمة ولكن صوته لا يبّكي الحريم. فيضطر هذا إلى إلغاء الدمعة بالكامل ويجعلها محاضرة وهذا إجحاف أيضاً.

وهنا لابد من التأمل عند منهجية الخطباء الكبار وإتباع ذلك مثل الشهيد السيد جواد شبر والشيخ الوائلي والشيخ مطهري والشيخ فلسفي والسيد جابر آغائي.

ورحم الله أحد أساتذتي القدامى وهو الشيخ مسلم الجابري الذي كان من النوادر الذين جمعوا بين الصوت والمعلومات فقد قرأت معه المقدمة في بيت آل القاموسي في شارع الصادق في النجف الأشرف عام ١٩٥٩م وكانت بداية امتهاني للمنبر وكان الراحل من أعاظم الخطباء وكان يعلمني فيقول!!! أن أقصى فترة للمحاضرة ٥٠ دقيقة أخصّص منها ٤٠ دقيقة للمطلب و١٠ دقائق للكوريز وذكر النعي والرثاء.

وقد دخلت يوماً في الكويت على خال زوجتي وهو الخطيب السيد عبد الحسين القزويني وهو خطيب رائد وعالم نافع ومهذّب فرأيته

مغموماً حبيس الصدر فسألته إن كان السبب: خيراً إن شاء الله؟ فانفجر الرجل وقال لي: بالأمس دعيت إلى مجلس ولما حضرت لاحظت المستمعين وأغلبهم أكاديميون. وعلمت أن صاحب المجلس أكاديميٌّ أيضاً في شأنٍ من الشؤون. فاستعرضت موضوعاً كنت قد تَعِبتُ في تحضيره. وبعد القراءة لاحظت إعجاب المستمعين بما طرحته. لكن صاحب المجلس تبعني وقال سيدنا أحسنت كثيراً (خوش گراية سيدنا لكن شعجب ما گريت لنه عالگوم أبو فاضل ركب وتعنّه) يقول هذا السيد الفاضل بقيتُ مبهوتاً مذهولاً ماذا أجيب هذا المسكين.

لكن العتب ليس على هذا أو أمثاله. إنما العتب على من ترك هؤلاء الناس مئات السنين بلا تثقيف وحشروهم في مربّع ضيّق ليتاجروا بعواطفهم ويتكسّبوا بهم لغرض أهداف دنيوية وتجارية فقط.

مظلومية بعض المراجع

لقد تعرّض العديد من مراجعنا إلى ظلم متنوع المصادر. فمـــنهم ممن ظلمه الوهابيون وهذا أمرٌ طبيعي. ومنهم من ظلمهم الحكام كمـــا حدث للسيد الأصفهاني والشيخ النائيني والشيخ الخالصي الكبير وكيــف أبعدهم الحكم الملكي وهُجّروا إلى إيران وهكذا غيرهم. أو في إيران كم هُجّر وظلم المراجع من قبل البهلوي الأب والابن. وهكذا في العــراق أيام صدام حسين وعصابته.

إن الأعداء حينما يظلمون بعض مراجعنا هذا أمر يهــون وهــو حاصل طبيعي وما الذي يتوقعه الإنسان من هؤلاء.

لكن هناك ظلم من نوع آخر وهو ظلم لا يستطيع المرجـــع إلا أن يتجرعه فما هو هذا الظلم ومن هو الظالم؟؟؟

نعم، وبكل وضوح أنه ظلم من الداخل. ولذا يقول الإمـــام علـــي عليه السلام: ثلاثة إن أنصفتهم ظلموك زوجتك وخادمك وولدك. ويدخل في هذا الإطار وصهرك وحاشيتك وحفيدك وسبطك ووو....

لقد شاهدتُ وعانيتُ بنفسي حالات متعدّدة في العراق وفي إيـــران وغيرها. ومنها هذا المشهد الرهيب. وهو:

أوفد المرحوم السيد الحكيم أحد العلماء من أصحاب الذوق والنطق والانفتاح إلى مصر وأمره أن يتعاون مع بعــض العناصـــر المؤمنـــة والعاملة في الساحة هناك وكان ذلك في الستينيات من القرن العــشرين

وزوّده بالمال والتعليمات ومضى وهو السيد طالب الرفـاعي وافتـتح مركزاً في القاهرة وأخذ يلقي الخطب والمحاضرات وبهـدوء وبـدون إثارة الأمور الخلافيّة وبقي قرابة سنة ونصف السنة. ثم عاد إلى النجف الأشرف. وتوجه إلى السيد الحكيم ليقدّم له شرحاً عن طبيعـة مهمتـه والملابسات والمؤثرات والنجاحات وغيرها.

لقد كنتُ آنذاك وفي تلك اللحظة في بيت السيد الحكيم في الطابق الأعلى حيث كنا هناك نتجمع كزملاء وأصدقاء مع الشهيد السيد محمـد حسين الحكيم والشهيد السيد علاء الحكيم وكان معنا الشيخ أحمد الهندي قارئ القرآن وهناك لاحظت السيد طالب الرفاعي صعد وجلـس فـي الغرفة وبعد لحظات دخل عليه السيد الحكيم. ورحب به وشجعه وقـال له: أخبرني فلان وفلان عن نشاطاتك. ثم سأله كيف ترى الساحة هناك وبينما بدأ السيد الرفاعي حديثه. وكان صهر السيد الحكـيم (إبـراهيم اليزدي) واقفاً عند رأسه فقاطع الرفاعي فجأة وقال سيدنا أوجز المقـال فإن السيد دام ظله عنده التزامات ومواعيد قل لنا هل حملتهم على لعن عمر بن الخطاب وأبو بكر فإذا كان هذا فجزاك الله خيرا. فـردّ عليـه الرفاعي قائلاً: سيدنا على مهلك إن سماحة السيد ما أرسلني لكي أنشر اللعن والكراهية. وإنما لأنشر تراث أهل البيت وحديث أهل البيت.

أقول وعذراً للقراء:

ومن الصعب عليّ أن أكتب هذا. ولكن لأداء الأمانة. وإذا بهـذا الصهر المبارك أمسك بيد السيد الحكيم وجرّه ونهض به وهو يردّد (يا الله سيدنا تفضلوا للبراني الناس بانتظاركم) وفعلاً سحب السيد وهو بعد

لم يستوعب ما تحدث به الرفاعي. أما الضيف فبقي مبهوتاً متحيّراً.

إن أمثال هذه الظلامات هي ليست من عدّوٍّ بعيد ولكنها أسوأ من ذلك العدّو الواضح. وحسبنا هذا البيت وهو من المعلقات السبع:

وإن أذى القربي أشدّ مضاضة

على المرء من وقع الحسام المهندّ

وبصراحة أن في خاطري العديد من هذه المشاهد قديماً وحديثاً وربما حتى بعض الزوجات ووو وأكرّر مؤكداً أنني لا زلت محجماً في التدوين ولولا سامح الله إذا اقتضى الظرف فسأنشر ذلك بالأسماء والمواقع وتواريخها وأنا الشاهد عليهما والشهيد.

لقد قلت على المنابر منذ أكثر من ثلاثين عاماً في تصوير يحاكي يوم القيامة. إنك قد تلتقي في قعر جهنم بشخصٍ كنتَ في الدنيا تعملُ بفتاواه وتقبّل يده عمراً وتعطيه أخماس أتعابك وجهدك فتتبهر وتسأله هل قتلت نفساً؟ هل زنيت؟ هل سكرت؟ الجواب كله: لا. إذن ما جاء بك هنا. فتسمع منه الجواب وهو يقول السبب ولدي. وذاك يقول صهري. وآخر يقول عديلي. وذاك يردّد حاشيتي فهم السبب في كل هذا.

فهل من ظليمة أشد من ظلامة هؤلاء والله يقول: ﴿...إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوّاً لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ...﴾.

وقد دونت في الجزء الثاني من كتابي مع الصادقين ص٢٨٨ عن الشهيد الملا محمد صالح البراغاني القزويني كيف تآمرت عليه ابنته مع زملائها فقتلوه في محرابه وكانت هي مشاركةً معهم. وهكذا أخوه

الشهيد.

ولا نغفل عن محنة الشهيد المناضل آية الله العظمى الشيخ فضل الله نوري حينما أعدم بطهران وكان معلقاً بحبل المشنقة فكان ولده الأكبر يصفق فرحاً مع المصفقين الشيوعيين المحتفلين بإعدام هذا الرجل العظيم.

إنها حقّاً إحدى مآسي هؤلاء العظام رحمهم الله وحفظ الباقين منهم ووقاهم شرَّ وخطر من ذكرت.

مواجهات أدبية

منذ الطفولة ويطرق أسماعنا هذا التباين حتى في قضايا الزيـــارة وبعض الشعارات الدينية بين مراجعنا وشعرائنا وفضلائنا حتى علـــى مستوى الفتاوى المتضادة.

مثلاً شاهدتُ مراراً بعض العلماء حتى الكبار حينما يخـــرج مـــن زيارة مسلم بن عقيل يدير ظهره إلى مرقد هاني بن عروة متحاملاً عليه بأنه لم يفِ بموقفه تجاه مسلم بن عقيل كما ينبغي وأنه كره أن يقتل ابن زياد في بيته. في حين كان يرفض آخرون ذلك ويقولون بأنه أستـــشهد وعُذب في طريق أهل البيت، وبالتالي في نصرة مسلم ابن عقيل وكان لهذا التباين دوّيه بين العامة. وقد زار ذات يوم المرجع الراحل الـــشيخ محمد رضا آل ياسين وهو من مفاخر التاريخ زار مرقد مسلم بن عقيل ثم توجه لزيارة مرقد هاني بن عروة وأطال فـــي الزيـــارة فـــي لفتـــة مقصودة. وأنشد أبياته الشهيرة، وهي:

إن جئت كوفان يوماً ... وطفت تلك المغاني

زر مسلمٍ بن عقيـــلٍ ... وحيّ مرقد هاني!!!

تفـــز بمـــا ترتجيـــه ... من المنى والأمـــاني

ونظم شاعر آخر وهو من علماء النجف الأشرف، حيث يقول:

فإن كنت لا تدرين ما الموت فأنظري

إلى هاني في السوق وابن عقيل

إلى بطلٍ قــد هشم السوط وجهه

وآخــر يهوى مــن ذمار قتيل

وبالتالي رجِحت الكفّة لصالح المدافعين عن مظلومية هــاني بــن عروة.

نفس الحالة كانت للحر الرياحي ورغم أنه أحــد شــهداء الطّــف المهمّين لكنني وعيت على فريق يتضايق من زيارته متمسكاً بأنه جعجع بالحسين عليه السلام ولا يقبلون مــضمون الآيــة: ﴿...إِنَّ الْحَــسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ...﴾ وتذكر السيّر أن إسماعيل الصفوي زعيم إيران لّما جاء إلى العراق للزيارة ومكث طويلاً في إعــادة وصــيانة العتبــات المقدّسة في العراق ومنها مرقد الحرّ فوجد اختلافاً شديداً بــين علمــاء الإمامية ففريق يحول دون بناء القبر وآخر بالعكس لكنه أخيراً رجّــح العمل برأي الفريق الثاني وحفروا القبر للتأكد من تــشخيص موضــعه فكان ما كان من وجود الجسد على حالته. وشاهد إســماعيل الــصفوي بنفسه منديلاً معصباً به فقالوا أنه للحسين عليه السلام وقد عصب بــه جبين الحر لما كان ينزف دماً ففقد إسماعيل الصفوي الــسيطرة علــى نفسه وقال منديل للحسين لابد من أخذه وما أن فتحه حتى تفجر الجرح دماً فخجل وأعاده وكرر العملية ثلاثاً لكن العلماء الذين بصحبته أنكروا عليه ذلك.

كان لهذه الكرامة دوّيها في إظهار مقام الحرّ عليه السلام وموقعه عند الحسين عليه السلام لكن مع ذلك بقي التباين فــي مواقــف هــذه الأطراف فمثلاً نظم الشيخ عبد الحسين الأعسم وهو من كبــار علمــاء

النجف الأشرف وشعرائها ببيتين يتجاهل فيهما مقام الحر فيقول:

ألا يا زائراً بالطف قبــراً　　　به ربحت لزائره التجارة

أشر للحر من بُعدٍ وســلم　　　فإن الحرّ تكفيه الإشارة!!!

بمعنى أنه لا داعي للتوجه إلى مرقد الحرّ وأنه لا يستحق أكثــر من السلام عليه من بعيد.

لكن شاعراً وعالماً كبيراً كان ينظم بالعكس ويرّد علــى الــشيخ الأعسم وهو المرحوم المرجع والشاعر الشيخ محمد جواد الهّر فيقول:

زر الحرَّ الشهيد ولا تؤخر　　　زيارته على الشهداء قــدّم

ولا تسمع مقالة أعسمّيٍ!!!　　　أشر للحر من بُعدٍ وســلم

وهذا التصادم بالآراء والمباني أنجرّ إلى مجالات أُخرى وانتهــت بتراشق واتهامات ووصلت إلى الاتهام بالزندقة والظلال والانحراف.

نعوذ بالله من شرور أنفسنا.

كيف يُستفاد من الفرص

عام ١٩٥٧م زار العتبات المقدّسة الملك فيصل الثاني وهو في بواكير صباه وأيامها كان خاله عبد الإله وصيّاً على العرش وزار كربلاء المقدسة واتجه إلى النجف الأشرف.

لقد حاول آنذاك محافظ كربلاء (عبد الرسول الخالصي) أن يقنع بعض علماء النجف الأشرف باستقبال هذا الملك الجديد فلم يستجب لذلك أحد. إلا الشيخ عبد الكريم الزنجاني أحد علماء النجف الأشرف آنذاك. لكنه ابتكر طريقة خاصة وهو أن يتواجد في حرم مسلم بن عقيل عليه السلام وقتَ دخول الملك إلى الحرم ويتم اللقاء هناك.

آنذاك لم تكن أجهزة تصوير كما هي اليوم وكان يُندر استعمالها وإحضارها. لكن مرافقاً للشيخ الزنجاني واسمه الشيخ مهدي الضيغمي وكان مدير أعماله أيضاً كان ذكياً وماهراً في اغتنام الفرص فكان قد أحضر جهاز تصوير وتركه بيد شاب معه وأمره أن يصوّر متى ما أشار إليه.

وأخيراً دخل الملك إلى الحرم ونهض الشيخ عبد الكريم الزنجاني للترحيب به. وكان الملك مؤدّباً جداً وشاهد الشيخ الطاعن بالسن يستقبله فأهوى على يد الشيخ وقبلها. وهنا وفي هذه اللحظة الخاطفة التُقطت لهما الصورة وفيها ظهر الشيخ الزنجاني والملك يقبل يده كما ظهر في الصورة الشيخ مهدي الضيغمي وكذلك الشيخ طعمة سادن مسجد الكوفة

وحرم مسلم بن عقيل عليه السلام.

كانت هذه الصورة تاريخية واستنسخت منها نسخ وأعطيت لذوي الشأن ومنهم البلاط الملكي.

والآن إليك هذه القصة:

سافر الشيخ مهدي الضيغمي بعد ذلك بسنة تقريباً إلى سوريا. وكان المسافر آنذاك يمكنه أن يجلب معه بضاعة يسيرة ولكنها تغطي كل مصاريفه بربحها وهذه البضاعة عبارة عن (عباءة نسائية ماركة العروس) وكيلو واحد من الصابون (رگي صناعة الزنابيري من حلب) وكان الگمرك في العراق لا يسمح بأكثر من هذا للمسافر ويصادره فوراً.

أما شيخنا المرحوم جلب معه ١٥ عباءة وكيس كبير من الصابون وطبعاً أرباح هذا يمكنه من شراء قطعة أرض آنذاك.

ما أن طُرحت البضاعة على طاولة مفتش الكمارك حتى أمر مدير الكمرك بحجزها تمهيداً لمصادرتها وكان هذا في كمرك الرطبة (الحدود العراقية السورية) وهنا جاءت الفرصة. حيث كان شيخنا المرحوم يحتفظ بتلك الصورة التي يظهر فيها مع الملك والشيخ الزنجاني الكبير في جيبه فأخذ الصورة بيده واتجه إلى مدير الكمرك وقال له: من فضلك أفتح خط التلفون على سعادة الباشا رئيس الوزراء نوري السعيد ثم قال له: أنني مدير أعمال الإمام الزنجاني وعرض عليه الصورة وأخذ المدير يتطلع إليها ولاحظه فيها مع الملك. فأفرج عن البضاعة معتذراً إليه وعاد الشيخ منتصراً ظافراً إلى النجف الأشرف.

وبودّي هنا أن أذكر بالتفاصيل أسعار هذه المواد آنذاك وقيمتهـــا صيرفياً.

١ــ عباءة ماركة العروسة تباع بدينارين ولا يشتريها إلا الأثرياء لأعراسهم وقيمتها في سوريا ٧٠٠ فلس.

٢ــ الكيلو من الصابون يباع بربع دينار وقيمته في سوريا تساوي ٥٠ فلساً.

ونخلص إلى الأرباح كلها مـــن العبـــاءات والـــصابون فكانـــت مجموعها ٢٥ ديناراً، ويذكر أن في تلك البرهة كانت قطعة الأرض في النجف الأشرف ذات ٣٠٠ متر تباع بعشرة دنانير بمعنى أن الأربـــاح كانت كافية لشراء قطعتي أرض.

هذا هو صيدُ الفرص والشاعر يقول:

بكرّ على صيدك فالوقت فرص   ولا تكن في أخريات من قنص

بقيت ملاحظة مهمة جداً وهي:

هذا نموذج من المتاجرة بالمراجع وفنٌ من فنون الاستفادة منه لا بابتزاز الأخماس فقط وإنما بهذه الأساليب التي كثيرٌ منها في ذاكرتـــي. وكم وكم من الحواشي تحولت حياتهم الاقتصادية من (٠) إلى حياة ثراء وترف كبير بهذه الطرق.

هذا هو الذي وقع فتأمّل!!!

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما   يظنان طول الدهر أن لا تلاقيا

بهذا البيت لمجنون ليلى وما يهدف إليه من معنى جميل بأن لطف الله وتقديره يتحدى المسافات زماناً ومكاناً. وأنه لا توجد كلمة مستحيل أمام القضاء الإلهي المتمثل بكلمة كن فيكون. أذكر هذه الحادثة الرائعة وهي:

اعتاد المرحوم الحاج عبد الحسين جيتا بهائي گوگل وهو من التجار الكبار في البصرة في الأربعينيات وإلى أوائل السبعينيات حيث أعدمه صدام وعصابته. أن يقيم مجلساً في البصرة في العشرة الأولى من المحرّم وفي شهر رمضان المبارك وكان يقيم مأدبة إفطار عامة ليالي الشهر المبارك. واشتهر بفعل الخير وإسداء المعروف للناس. وكان سنوياً يزور النجف الأشرف وكربلاء المقدسة ويطوف على المراجع ويمدّهم بالمعونات. وقد اشترى عام ١٩٦٣م منزلاً للمرحوم السيد حسين الحمامي لأنه لم يكن يملك مسكناً.

وأتذكر أن الخطيب المرحوم الوائلي قرأ في مجلسه لسنواتٍ عديدة في الخمسينيات.

ومن جملة من قرأ في مجلسه عام ١٩٦١م خطيب من النجف الأشرف اسمه السيد محمد علي أبو صلوات.

كان من عادة هذا الرجل أنه يُنزل الخطيب في داره ويذهب به

بسيارته إلى المجلس ويعيده إلى بيته. وكان هذا السيد الخطيب شاباً وقد قارب الثلاثين ولم يتزوج. وكان المرحوم الحاج عبد الحسين يصرّ عليه بالزواج فكان جوابه بأن شروطه في انتخاب الزوجة قاسية ولا يمكن حصول زوجة بهذه المواصفات بسهولة.

عاد هذا السيد الخطيب بعد انتهاء العشرة الأولى إلى النجف الأشرف مستقلاً القطار. لينزل في الديوانية ثم من هناك بالسيارة إلى بلده.

هذا وعندما كان في القطار لاحظ وجود عائلة تشتمل على رجل مسّنٍ وامرأة كبيرة ومعها بنين وبنت تقارب العشرين وجميلة للغاية وتحمل المواصفات التي هي ضالته وكانت تستقّر على قرب مقعدين منه. فأنشّد السيد إلى هذه البنت وكان على وداعته وفطرته يخرج رأسه من نافذة القطار وينظر إلى السماء وهو يخاطب الله بطريقةٍ بريئة (أشوفك تسويها يا الله موتكول كن فيكون فِنّك يا الله أشوفك) هكذا وبهذه الطريقة وهذه الألفاظ كان يتعارك مع الله تارة ويتضرع تارةً أخرى.

ولم يكن هذا السيد الخطيب يعلم أن الرجل المسّن المرافق للعائلة كان ينظر إليه ويراقب حركاته ويسمع كلماته. وقد تكررت منه هذه الدعوات وبالتالي وصل القطار إلى مدينة الديوانية وتفرق كلٌ على سبيله. وانتهى كل شيء.

وماذا بعد:

جاءت السنة القادمة وعاد السيد الخطيب إلى القراءة في البصرة عند الحاج عبد الحسين وكالمعتاد نزل عنده وكان يذهب به للمجلس

ويعيده بعد الانتهاء. وكان يلاطفه بالإلحاح عليه بالزواج وإلى متى تبقى أعزباً ولكن السيد ساكت ولم يعلق.

ذات ليلة وعند الرجوع من المجلس وتحديداً ليلة ٧ محرم والتي هي عند أهل البصرة تضاهي ليلة عاشوراء قال للسيد: سيدنا أنني أريد أن أعود مريضاً وهو صديق لي أتوافق أن تكون معي أم أوصلك إلى البيت ثم أذهب إليه؟ فأجاب السيد موافقاً ومرحباً بأن يكون معه. ودخلا على المريض وهو من الأثرياء وصاحب مصانع واسمه (الحاج غني أبو الطابوق) فجلسا عنده وسأل المريض من الحاج عبد الحسين عن السيد فأجابه أنه خطيبنا في مأتم الحسين عليه السلام.

وماذا حدث بعدها:

خلال الجلسة خرج رجل كبير السن وهمس في أذن المريض المسجى شيئاً فاندفع المريض ينظر بوجه السيد ويتأمّله طويلاً. ثم امتدت الجلسة وتبادل الأحاديث ثم عاد ذلك الرجل وهمس ثانيةً في أذن المريض وإذا به تأمل بوجه السيد فما هو اللغز وما هي اللقطة:

انكشف بعدها أن هذا الرجل الذي يهمس في أذن المريض هو عمه وأنه هو الذي كان في القطار العام الماضي مع عائلةٍ معه وكان يشاهد السيد وهو معجب بالبنت. وأن العائلة عائلة هذا المريض والبنت هي ابنته. وقد تعجبّ هذا الرجل حينما شاهد السيد عند الحاج غني فهمس في أذنه سائلاً منه عن تواجد السيد عنده وهل أنه جاء خاطباً ولكنه أخبره أن السيد برفقة الحاج عبد الحسين جاء لعيادته وهنا أخبره. بأن هذا السيد هو الذي أخبرتك عنه وما كان يدعوا به في القطار.

وتتلخص الحالة أن هذا الرجل عندما عاد بالعائلة إلى البــصرة أخبــر الحاج غني على شكل الطُرفة أنه في القطار شاهد سيداً وهــو معجــب بابنته وكان يخرج رأسه من نافذة القطار ويتعارك مع الله ويصرخ (يا الله تگدر تسويها).

وقد ذهل هذا المريض حينما شاهد الصدفة وما تفعلــه الــصدف. وأمره بأن يتأكد بأنه هو السيد. فعاد إليه وهمس في أذنه أنه نعــم هــو السيد عينه ١٠٠٪.

وأخيراً:

صاح المريض وهو مسجى مخاطباً السيد الخطيب وهو مبتــسم: سيدنا أنت في العام الماضي كنت في القطار وشاهدتَ بنتاً وكنت معجباً بها. فماذا كنت تدعوا به وتخاطــب ربــك؟ فخجــل الــسيد وســكت. والمريض يقسّم عليه بالإيمان المغلظة: قل لي ما كنت تقوله؟

يقول الحاج عبد الحسين: كنت أنا متحيراً بمــا حــدث وأراقــب الحركات ومتحيّر بما يدور، وهنا قال السيد مبتسماً: يــا حــاج كيــف استخبرت بالأمر وهذا كان بيني وبين نفسي ولم يعرفه أحد. ثم يا حاج وما الفائدة فأنا لا أعرف من هي البنت وما عائلتها وفي أيّ بلد. لكــن الحاج المريض قال له: سيدنا عند الله ليس ببعيد وأنت دعوت الله بفطرة وإخلاص وأنا الآن أخبرك.

أن البنت هي ابنتي وها هي في الغرفة وهذا الرجل هــو عمــي وذهب بهم للزيارة وكان يلاحظك في القطار وأنت لا تعلم وقد أخبرني بذلك. ولم يخطر ببالي أن إرادة الله جاءت بك إلى هنا لعيادتي وأنــت

أيضاً لا تعلم. ثم صاح هذا المريض: سيدنا لا تخرج من هنا حتى تُعقد البنت إليك وطلب من الحاج عبد الحسين أن يأتيه بعاقدٍ يعقدها وكلما ألحّ الحاج عبد الحسين أن يؤخر الأمر إلى الليلة القادمة لأنها ليلـــة ٧ مـــن محرم أو يجري العقد بعد العشرة لكن الحاج المريض كان يـــرّد بأنــــه مريض ويوّد بكل شوق أن يرى بعينيه تَحقق هذه الأمنية بسرعة. يقول الحاج عبد الحسين: ذهبت وجئت بالشيخ محمد حسن المظفر وهو مـــن علماء البصرة وعقد العقد الشرعي وبعد خروج الشيخ التفـــت الحـــاج المريض إلى السيد وقال له: هذه زوجتك وأنت صاحب الاختيار. فـــإن أحببت السكن في البصرة فلك عندي بيت جاهز وهو ملـــك لـــك. وإذا أردت أن تسكن النجف الأشرف فاشتري لك بيتاً هناك. وختاماً تـــزوج السيد واشترى له بيتاً في النجف الأشرف ورزق البنين والبنات ولنعـــد من جديد إلى بيت الشاعر مجنون ليلى الذي يقول:

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما   يظنّان طّول الدهر أن لا تلاقيا

حوار بين أحمد وأمجد

أحمد: أهلاً يا أخي وحيّاك ربي وأتمنى لك السلامة.

أمجد: شكراً وأرجو لك كل خير.

أحمد: ما ترى في مستقبل وضعنا العلمائي والحوزوي والمرجعي في العراق خصوصاً ويوماً بعد يوم تطلع وجوه جديدة وهي تتـــصدى للتقليد والتمرجع. وربما بتنافسات حادة وقاسية.

أمجد: اعتقد يا أخي أحمد أن هذه ظاهرة صحّية وترتبط بتنـــامي الثقافة وتوفّر المعلومات والمصادر. ثم الدور الالكتروني والميكـــانيكي في توفير المعارف. فقبل ٣٠ عاماً لم تكن هذه الكتب في متناول طالب العلم مثل جامع المقاصد أو التذكرة أو المقنعة أو التبــصرة وغيرهـــا. ناهيك عن الانقلاب الحاصل في الطباع والأذواق والحالة الاقتصادية لذا فإننا لن نستغرب حينما نشاهد شاباً ثلاثينياً يدعي الاجتهـــاد ويتــصدى لتصدير الفتاوى.

أحمد: صحيح وأنا أقرّ لك ذلك فقديماً كان هذا ظاهرة نادرة. مثل العلامة الحلي الذي وصل درجة الاجتهاد في مقتبل عمره. أما اليوم فهو ليس كالأمس فبينا كان طالب العلم لا يعثر بالكتاب الذي يريده إلا بعـــد اتلاف عام أو أقل على حصوله. أما اليوم فبين يديه قطعة صغيرة مـــن المعدن ويحركها بأنامله ليشاهد أمامه مكتبة تشتمل على مئـــات الآلاف من الكتب وبالتالي فهو ينجزُ بساعات ما كان ينجزه الجيـــل الماضــــي

بسنين طويلة لكن يبقى الجدل قائماً في خطورة المسؤولية المترتبة على التصدي للفتوى والتقليد.

أمجد: اعتقد أن قسماً كبيراً من هذا التصوّر هو من صناعة الشبكات التي روضّت وطبّعت العقل الشيعي على هذا الروتين.

أحمد: أي روتين تقصده.

أمجد: الروتين هو أنه لا يحق لأي متصدي للفتوى والتقليد إلا أن يكون لديه شهادة اجتهاد من أستاذ قبله.

أحمد: طيب ومن الذي خوّل هذا الأستاذ هذه الصلاحية وجعله بهذا المركز حتى يكون هو الراعي لتزكية هذا وذاك.

أمجد: إنها معضلة حقاً لكن أليس هم أهل الخبرة أو أهل الحل والعقد.

أحمد: من يعطي أهل الخبرة هذه الأهلية والصلاحية. وما درجة مؤهلاتهم وقداستهم.

أمجد: يا أخي أرحمني لقد وضعتني في نفق مظلم.

أحمد: هذا ما أردتُ أن تلمسه وتقف عليه بنفسك وبهدوء.

أمجد: صدقت إننا كلّما تعمقنا في هذا الأمر الخطير كلما إزددنا اعتقاداً بأنها سيناريوهات محكمة وناجحة قامت بها من القديم مجموعات ماهرة. وسيطرت على العقلية الشيعية. ونجحت حتى اليوم.

أحمد: عفواً لا تقل حتى اليوم رجاءً وسامحني على هذا. لقد بدأ الوعي يتنامى عند الجيل الجديد سواءً من الطلبة الجامعيين أو الحوزويون أنفسهم الذين سقطت اللعبة بين أيديهم إلا اللهم المستفيدون

مالياً واعتبارياً وأنا واثق من أن العقد القادم سيشهد تغيراً كبيراً علـــى الساحة هذه.

أمجد: عفواً. يعني هل تعتقد بأن هذا الشيعي الذي أنفق من عمره سبعين أو ستين عاماً وهو يقبّل الأيدي تعبداً ويـــدفع بخلاصـــة أتعابـــه واكتافه (أخماساً) وبكل ثقة يرى في المرجع أنه نائب للإمام عليه السلام سيرتد على نفسه؟؟؟ هل هذا ممكن.

أحمد: نعم، نعم. هذا ممكن وحدثت فيه حلحلة. لكننا نُعلّق أملنـــا على الجيل الجديد الذي بدا منذ سنوات وكما يقول المثل (يفتّش بـــاللبن) وظهر له أكثر من جانب آخر ووجه آخر من الأمور. واعتقد أن السنين القادمة ستُفشِل هذا المشروع الذي يحصر المرجعية والأعلمية والتقليـــد في خطٍّ معين وعرق معين. ومسارٍ معيّن.

أمجد: أراك يا أخ أحمد متفائل جداً وكأنك لم تقيّم هذه اللوبيـــات والعصابات بشكل جيّد. فهؤلاء لاعبـــون مَهـــرَة وإخطبـــوط مترامـــي وتدعمهم جهات إقليمية ودولية وحتى الدول الكبرى. فهل تتـــصور أن مشروعهم هذا الذي امتد أكثر من ١٥٠ عامـــاً ســـينتهي بـــين عـــشية وضحاها. إنني أدعوك يا أخ أحمد لقراءة هؤلاء مجدداً لتعـــرف أدوار هؤلاء وكيف أحكموا القبضة على تسيير الأمور وفـــق أجنـــدتهم. يـــا سيدي: الكل من أقطاب الحوزة في الأربعينيات كانوا متفقين علـــى أن السيد جمال الدين الگلپايگاني هو أعلم الموجودين في حـــوزة النجـــف الأشرف بعد المرحوم السيد أبو الحسن الأصفهاني. لكن تبخرّ كل شيء وعقدت المرجعية كما أرادوا هم!!! وهكذا بعد وفـــاة المرحـــوم الـــسيد

الحكيم كان اعتقاد معظم أقطـــاب الحـــوزة بأعلميـــة الـــسيد محمـــود الشاهرودي أو المرحوم السيد محمد هادي الميلاني لكن حدث غير ذلك وهكذا بعد وفاة الإمام الخوئي. جرت نفس اللعبة.

أحمد: عفواً يا أخ أمجد ألا ترى بأن هذه العـــصابات والزمـــر لا توجد لها معارضة الشيعة وتكشف نواياها والاعيبها.

أمجد: من تقصد من المعارضة؟ هل تعني داخل الحوزة؟ أم تعني الشيعة العامة؟ فأما من داخل الحوزة فليس بوسع أي أحد أن يتفوه بكلمة وعلى الفور تلغى إقامته ويُسحب جواز سفره هذا إذا كان مـــن غيـــر العراقيين أما الأساتذة والطلاب العراقيون (العـــرب) يُعـــاملون بقطـــع رواتبهم وزجهم تحت ضغط الجوع والفقر وحـــسبك مـــا حـــدث بعـــد مرجعية السيد الحكيم إذ دفع الضغط والحرمان عدداً من جهابذة العلـــم والجهد أن ينتشروا في مدن العراق أو خارجـــه بحثـــاً عـــن متـــنفس اقتصادي ويمكنك الرجوع إلى كتاب خطير في هذه الأمور وهو (ستون سؤالاً بين قوسين) ويشرح فيه أسماء قسمٍ من هؤلاء الفقهاء الكبار كيف ضاعوا في القرى والمدن ونسوا علمهم وهجروا كتبهم وكل هذا نتيجـــة الاستئثار بالأخماس وحصرها على من هم في دائـــرة المرجـــع الـــذي اختارته هذه الطغمة أو هذه اللوبيات.

أما الشيعة بشكل عام فهم قد عُصّبت عيـــونهم وذُرَّ الرمـــاد فـــي أعينهم بلُعب تَلبس قمصان الدين من قبيل (القدسية المصطنعة للمرجع) بحيث روضوا العقل الشيعي بأنه قد يَتسامح إذا أُسيء لاسم إمـــام مـــن الأئمة عليهم السلام ولكنه يغضب ويثـــأروا إذا أشـــكل أحـــدهم علـــى

تصرفات (هرّةِ المرجعية، أو عنزة المرجع، أو الحمار الــذي يمتطيــه المرجع) ويعتبر هذا الشيعي المسكين الإساءة إلى هــؤلاء أشــد مــن الإساءة لاسم إمام من الأئمة عليهم الــسلام، وهــي مــشابهة لنظريــة المدرسة الأموية والوهابية التي تقدس عمر بن الخطاب أكثر من النبي صلى الله عليه وآله وتعتقد أن آيات القــرآن الكــريم نزلــت بمــذاق ومشتهيات عمر. فهذا حالهم وهذا حالنا.

أحمد: إذن هذه طامة كبرى. وإذا كانت طامّةُ صدام حسين انتهت بعد أربعين عاماً وتحرّر الشعب العراقي سياســياً واجتماعيــاً فمتــى سيتحرّر العقل الشيعي من هذا الطوق المحكم والذي يبدوا أنه أخطر من طوق البعث العراقي.

أمجد: يا أخي يصعب القياس بين الحالتين. فطوق البعث وصدام هو لا يتغطى ويتجلبب بالدين والتدين والقداسة وهم على خطى عفلــق وشمسوليل وساكصون وكلهم محاربون للإسلام.

لكن الحالة الثانية تحتمي بالدين والعقيدة والتقدس والشعارات وأن أيَّ إشكالٍ على المرجع والمقلد هو فسقٌ وانحراف وضــلالة. وأن أي حركة لجماعة اصلاحية من داخل الحوزة تقمع فوراً فوراً ببيانٍ يحكــم عليها بالارتداد والانحراف ولا يعني أن يكون هذا البيان صدر من دماغ المرجع أو إراداته فالوضع سرّي للغاية والمرجع صورة (دمية يحركها هؤلاء) ولا توجد أي هيئة قضائية أو حقوقية أو دستورية أو نزاهــة أو مسائلة تقف أمام هؤلاء.

إن هؤلاء يعملون داخل خيمة مُغلقة محكمة الستائر. وغالباً تتكون

عناصرها من أشخاص يفتقرون إلى التدين والتقوى والعدالة.

وأضيفك يا أخ أحمد من الشعر بيت: كم وكم في عمـري هـذا شاهدت معممين فشلوا في دراستهم فتشبثوا حتى وصلوا عبر التزلّـف والعمالة والتملق وصاروا من عناصر هذه الخيمة فأصبحوا الآن أثرياء ويتحكمون في الحياة العامة. ويقابلون المسؤولين بوقاحـة ويتهجمـون على هذا وذاك ويهددون ويزبـدون ويعربـدون ويقتحمـون الإدارات والوزارات لا بمؤهلات ولا كفاءات وإنما فقط لأنه ينتمي إلى منظومة خيمة المرجعية.

ألا ترى كم من هؤلاء الجهلة والمفلسين علمياً يظهـرون علـى فضائيات تسير على خطّهم ويتفلسفون وكأن أحدهم قـيّمٌ علـى الـدين والعقيدة والعقل وهؤلاء لا يتقن أحدهم من كتاب الله آية واحدة. ألا ترى هذا هو قائم على أرض الواقع.

أحمد: لقد ضاق صدري فننتقل إلى موضوع آخر كيـف تـرى؟ يمكنني أنا أو أنت أن ندخل في عضوية هذه الخيمة.

أمجد: نعم، بكل سهولة إذا كنت متملقاً للابن أو الصهر أو الحفيد وكنتَ بنفس الوقت ضعيف الشخصية ذليلاً في باطنك ولا يصعب عليك أن تكون ذيلاً وربما تتلقى الاهانة والصفعة من الابن أو الصهر. ولكنك بالمقابل تربح هذه الامتيازات.

أحمد: ما هي بالله عليك فكلّي آذان صاغية.

أمجد: إنها امتيازات تتكاثر كلما تزداد إخلاصاً وتبعيـة وانقيـاداً وتبيع ضميرك ودينك وهذه الأمتيازات:

١ــ مثلاً الحج يمكنك كل عام أن تذهب إلى الحج دون الالتــزام بالقرعة أو النوبة وتعود بمئات الملايين من الأموال لأنك حين تكــون جزءاً من البعثة. فتسقط بيدك الأخماس كيف ما كان.

٢ــ متابعة الدوائر وانجاز معاملات هذا وذاك بعمــولات ماديــة وغير مادية.

٣ــ الثراء الغزير بلا تعب ونصب ويتغيــر مــسكنك وملبــسك وحياتك كلها.

٤ــ تصبح نافذاً في المجتمع ويمكنك استغلال انتسابك لهذه الخيمة لتنفيذ نواياك حتى الكيدية مع القريب والبعيد.

٥ــ تحصل على هوية أو باج تدخل فيه أنت وسيارتك الأمكنــة المحظورة وتجتاز كل الحواجز براحتك.

لقد شاهدنا في العراق طوال أربعين عاماً كيف يتصرف الصبيان اللئام في تحدي مشاعر الناس وهتك حرماتها وسلب أمنها ويــستثمرون الخيرات بمجرد أن هذا الصبي حزبي بدرجة نصير.

هكذا الحال في هذا الجانب فكم من علــوج مجهولــة الحــسب والنسب فاشلة في الحياة. يفاجأ الناس بعمائمها المطوبقة وتصدّرها في الصف الأول في الاحتفالات بهياكل مخادعة ومظاهر مزيفة ولما يُسأل عنها من هم هؤلاء. فيقال أنهم وفدُ المرجعية وعندما تتأمّل فلا تستطيع أن تعرف حتى بعد سنة من التأمّل في هؤلاء وجــذورهم ومــا هــي مؤهلاتهم. إنها أزمة ديننا ومذهبنا ولا نعرف متى ينتهي المشوار.

أحمد: ما هو الحل يا أخي لقد أُصبتُ بدوار وغثيان هل من بوادر

انفراج؟

أمجد: نعم، نعم. أبشّرك بفجر جديد. وستعود أمور الشيعة كما كانت من عهد الغيبة الكبرى وحتى بداية عهد الغيبة الصغرى. ويصبح الشيعة أحراراً ويرجعون إلى العلماء العادلين المتقين، الخائفين الله، المنفتحين على الناس، ويخالطون عامة الناس في السوق، في الحرم، في المجالس، في الأسفار، في المحاضر، وسيُلغى هذا الطوق الذي ضُرب على التشيع بمؤامرات إقليمية ودولية وعرقية وانتهازية.

شكراً وانتهى الحوار.

وكذاك الدهر حالاً بعد حال

عيادة مريض ولكنها كانت سهرةً رائعة والتقيت بها بأفراد فرقت الأيام بيني وبينهم عقوداً.

ومن جملة ما احتفظتُ به من ذكريات في تلك السهرة حديث جذاب للسيد حسين الموسوي الأصفهاني (نجل المرحوم السيد الأصفهاني).

يقول أرسلني والدي عام ١٩٤٦م أي بعد انتهاء الحرب العالمية بأشهر إلى إيران على أن يكون طريقي من البصرة. ثم مدينة المحمرة (خرمشهر) ثم أصفهان ثم طهران وهكذا.

في البداية أُرسلت برقية إلى أحد تجّار المحمرة (المرحوم الحاج مصطفى الأمير) وكان آنذاك وكيلاً للسيد في استلام الأخماس هناك تعلمه بأن سيصلكم فلان ابن فلان صباح الجمعة عن طريق الشلامچة (الحدود).

يقول وصلتُ البصرة وودعتني جماهير من البشر إلى الحدود. وانتقلت إلى الطرف الإيراني فوجدتُ هناك القيامة قد قامت. وفزع الناس من الأهواز وكل مدن خوزستان وحُملت كالعروس والناس تُسلم عليّ من صباح الجمعة إلى بعد الظهر بساعات.

وبعد يومين عزمت السفر بالقطار. فاكتظت محطة القطار بالبشر وهكذا بقية المدن الإيرانية. وتعاقب المسؤولون كباراً وصغاراً على

زيارتي وتقبيل يدي وغير ذلك. أما الذبائح التي ذُبحت في خرمشهر وغيرها وفي محطة قطار الأهواز وحتى طالت الذبائح البقر وأفراخ الإبل وانتهت الزيارة بهذه العظمة.

ثم يقول:

توفى الوالد رحمه الله بعد سنة ونصف من هذه السفرة. وقررتُ أن أسافر أيضاً إلى إيران لمتابعة أمورٍ تتعلق بمرجعية الوالد رحمه الله. فأُرسلتُ برقية إلى الرجل المذكور نفسه في خرمشهر. وانتقلت من البصرة إلى خرمشهر فلم أجد أيَّ إنسان بالحدود ولا نفر واحد. فاستأجرت سيارة إلى مكتب هذا التاجر (المرحوم الحاج مصطفى الأمير) ولما وصلت إليه وجدتُ ولده الأوسط في المكتب وبعد السلام عليه أبلغني أن أباه سافر إلى طهران لشغلٍ عنده ثم سألته لقد أرسلت لكم برقية قبل أيام فقال: نعم. وقد وضعها الوالد على الرّف ثم أخذ يبحث عنها فلم يعثر عليها واعتذر إليّ وقال: أظن أن الأطفال لعبوا بها وأتلفوها.

ثم تابع فيقول: واصلت سفري إلى مدن أخرى، وإذا نفس الحالة وأنا أهدّأ النفسّ بما تلعب به الأيام وهنا أذكر بيتين جميلين:

دع المقادير تجري في أعنّتها ... ولا تبيّتن إلا خالي البال

يوم تريك خسيس القوم ترفعه ... إلى السماء ويوماً تخفض العالي

أقول:

إن هذه الحالة التي واجهها السيد حسين ابن المرجع الأصفهاني وغيره ربما هي التي حفزّت ودفعت بغيره من أبناء... أن يعدّوا العدة

لمثل هذا اليوم. فانقضّوا على الأخماس وهم يخضمون مال الله خــضم الإبل نبتة الربيع. وذلك ضماناً لحياة مترفة لهم ولأجيال من أحفــادهم وأحفاد أحفادهم وكلما جاءت بعدهم فئة ضاعفوا جهدهم فــي الابتــزاز والقرصنة اغتناماً للفرصة وكما قيل قديماً:

إذا درّت نياقك فاحتلبها   فما تدري الفصيل لمن يكون

سُبق لسان أم إحراج لا يطاق

يذكر أن المرحوم الحاج عبد الواحد آل سِكر وهو من كبار زعماء القبائل المهمة في الفرات الأوسط. عمل مأدبة كبرى وكان المدعوّون فيها قرابة ثمانين عالماً ومجتهداً ومرجعاً وعلى رأسهم المرحوم السيد كاظم اليزدي صاحب العروة الوثقى ولم يكن هذا الأمر سهلاً بأن يتحرك هذا العدد من الشخصيات العلمية بالخصوص زعيم الحوزة آنذاك السيد اليزدي.

لذا كان هذا الأمر جزءاً من إنجازات المرحوم الحاج عبد الواحد آل سِكر. فلما حضروا جميعاً وبُسطت المائدة وقف الحاج سِكر وهو يسكُر بزهوه وسعادته فأراد أن يأتي بنكتةٍ يحكي فيها تواضعه أولاً ثم يطيب الأجواء بالابتسامات والمرح لتنفتح شهية العلماء الأعلام أكثر فكان يُهّم أن يطلق هذه الكلمة (أكلوا أنعل أبو العزمكم) وهي كلمة متداولة في المطايبات. لكن الأمر كان عكس ذلك حيث أفلتت منه كلمة غيرها فقال رحمه الله (أكلوا نعله على أبّهاتكم).

وقيل أنه لم يصب بسبق لسان كذلك اليوم فاعترته حالة من الخجل لكن كان الأمر طبيعياً وأدى إلى ضحك العلماء الأعلام بدل الابتسامات الخجولة وقالوا بأن السيد كاظم اليزدي صرّح أنه لم يضحك طوال عمره كما ضحك في تلك اللحظة.

وهناك لقطة أخرى في هذا المسار.

كانت هناك وليمة وحضرها عدد من العلماء وكان المرجع الديني السيد عبد الله الشيرازي حاضراً فيها ومن ضمن المـدعوّين المرحـوم الخطيب السيد علي الميلاني. وكان أمام المرحوم السيد عبد الله كـأس فيه بقية ماء من سؤره. فمدَّ السيد الميلاني يده إلى الكأس ليشرب الماءً لكن السيد الشيرازي منعه باعتبار أن فيه سؤره فأراد الـسيد الميلانـي استعمال الكلمة المناسبة في هذا الظرف ليقول (سؤر المـؤمن شـفاء) وهي كلمة رائعة لكنه رحمه الله أصابه سبق لسان فقـال لا لا سـيدنا (سؤر الهرّةِ ذُكاء) لكنه رحمـه الله أحـسّ بـالإحراج إلا أن ضـحكة الحُضّار الشديدة بمن فيهم المرحوم السيد الشيرازي لطفت الجوّ وخففت من حُمّى ذلك الإحراج.

وقانا الله من الزلل.

مسلسل مهنّد

إنني كعالم اجتماع وخبير في شؤون المجتمعات والشعوب أعيش هواجس محبطة ومتشائمة.

كلنا يتذكر كيف أنساق العالم العربي إلى مسلسل مهند. وطال هذا الانسياق حتى الأسر المحافظة وللأسف. ووقف دعاة الأمر بالمعروف يشعرون بالحيرة والذهول لهذا الاكتساح الثقافي الأسري والتمرد على أعضاء الأسرة وكبارها. وتجرأ العديد من الزوجات على أزواجهن. ثم حالات التعرّي والخلاعة. وما نشاهده في اطراد شديد في العراق خصوصاً.

فيا تُرى ما سبب هذا النجاح لهذا المسلسل في اختراق الأُسر وخراب البيوت.

وفي رأيي القاصر والبسيط. أن هناك سببين رئيسيين:

١ـ الركود والجمود في مسألة ابتكارات فقهية جديدة تخرج المرأة من نظريتها القائلة بأن الدين حرمها حقوقها. فلا زالت عدة مسائل مهمة تعاني الجزر والمدّ والجدل في قضية تعامل الإسلام مع المرأة من قبيل:

١ـ حق الطلاق بيد الرجل.

٢ـ إرثها نصف إرث الرجل.

٣ـ شهادتها نصف شهادة الرجل.

٤ــ ديّتها غير ديّة الرجل.

٥ــ إمامتها الجماعة منحصرة فقط للنساء.

٦ــ شعورها بالدونيّة مقابل الرجل.

٧ــ صلاتها متأخرة في الموقع عن الرجل.

٨ــ مسألة البلوغ والرشد وامتلاكها أمرها.

٩ــ موضوع حضانة الأطفال.

وهناك مسائل عديدة لا نعرف متى سيتوفر مجتهدون منفتحون يدركون حساسية تغير الزمان والمكان. ونحن بحمد الله نتفوق على جميع المذاهب والفرق بفقهنا المتحرّر والذي يتعامل بموضوع، الضرورة، العنوان الثانوي، الراجح والمرجوح، المهم والأهم، وهذا ما برع في تنظيره وتفعيله الإمام الراحل السيد الخميني أعلا الله مقامه في أطروحته ولاية الفقيه. مضافاً إلى شجاعته وإقدامه.

فمثلاً حينما نجحت الثورة الإسلامية حرك الاستكبار فريقاً من النساء وقمن بمظاهرة يطلبن حق الطلاق للمرأة. وإذا بالإمام الراحل أعلن أن ذلك يمكن في فقه الإسلام (الإمامي الاثني عشري) وهو أن تطلب المرأة ضمن العقد وكالة من الزوج غير قابلة للبطلان بتطليق نفسها متى ما شاءت وإذا وافق الزوج على ذلك فتصبح هي صاحبة الطلاق مثل الرجل.

طبعاً أن هذه (النكتة الفقهية) هي موجودة لكن لم يكن أحد من الفقهاء يجرأ على إعلانها حذراً من تداعيات من أجواء الحوزة قد تسقطه كونه خرج على المسلمات أو السيرة المتبعة.

وهكذا فتوى المرحوم الإمام في مسألة لُعبة الشطرنج حينما أجازه بظرف معيّن فحرك الاستكبار بعض الهياكل العلمائية واندفعت تصرخ وتعربد لكن الإمام الذي يتمتع بذوق فقهيٍ عالٍ وابتكارات فقهية خلاقة ومبدعة أسكتهم بالدليل الفقهي فأخرسّوا.

إذن لابد من المضي في تذليل أو رؤى حديثة تستطيع انتشال المرأة المسلمة والتي أصبحت بين سندان الحداثة والعولمة وبين الحيثيات الفقهيّة المتشددة والتي تُفسّر أحياناً باضطهاد المرأة.

لقد سقطت المرأة ضحية بين نظرية فقهية تقول: للزوج الحق في إشباع رغبته الجنسية متى شاء وكيف ما شاء ولا يحق للمرأة ممانعته وله أن يضربها ويجبرها على ذلك!!!

وفي مقابل هذه المادة الفقهية. نواجه مادة أقرّها مجلس حقوق الإنسان وكذلك المحافل الدولية. أن المرأة لها الحق حين ممارسة زوجها للجنس معها أن تطلبه بالتوقف والانسحاب متى شاءت وإذا أصرّ واستمر فسيعتبر ذلك اغتصاباً يعاقبه عليه القانون.

إذن فالمسافة شاسعة بين المادتين وفي الوسط سقطت الضحية وهكذا في مجالات أخرى ترتبط بكل أعضاء الأسرة. فلابد من مجلس علمائي أو فريق اجتهادي يحلحل الموقف.

لقد تصدى بعض العلماء المتطورين بنظرياتهم ونظراتهم أن يفتحوا أفقاً جديداً للفقه في مشاكله العالقة ومنهم آية الله الجناتي وآية الله البجنوردي وآية الله صانعي وغيرهم لكن الخطّ التقليدي يمسك بالمطرقة وأخيراً وللأسف توقف مشروعهم خشية ردود فعل خطيرة.

وهذا الأمر يعانيه السيد القائد والإمام الخامنئي طال عمره فهو لا شك يراعي ويراقب الوضع العالمي وحاجة المسلمين إلى تقنيات فقهية تتناسب وتداعيات الحداثة والعولمة لكنه حفظه الله مطوقٌ بموانعٍ أشرتُ إليها.

٢ــ السبب الثاني لنجاح هذا المسلسل في مشروعه التآمري هــو عجز المسلمين عن صنع مسلسلات مماثلة. ويا ليت بعض فــضائياتنا التي تقضي الوقت أربعة وعشرين ساعة على مدار السنة بعرض اللطم والزنجيل والفوضى. أن تُطّعم برامجها بمسلــسلات ترفيهيــة وهادفــة أيضاً. ولا نعرف ما هذا الإصرار والجمود وهذا الهدر من المال بـــلا جدوى وهل هو ناتج عن قصور في التفكير. أم اســتبداد بـــالرأي. أم الافتقار إلى كوادر فنيّة. أم إلى اعتداد وعناد.

لقد ملّت الناس من النظر إلى أكثر من ٥٠ فضائية محسوبة على الشيعة وللأسف ما فيها إلا الثرثرة واللطم المتعرّي والمهاترات والسب واللعن وإثارة الكراهة وتدمير السلم الأهلــي ونــشر العــداوات بــين المسلمين وتمزيقهم.

كُلُنا نشاهد معمماً يجلس في أمريكا محاطاً بحراسة وآخر في لندن محاطاً بحراسة والثالث في البلد الآخر محاطــاً بحراســة ويظهــرون بكلمات جارحة ــ سب وشتم وتكفير وتحقير ــ ويتحمل سفاسف هؤلاء ٣٠٠ مليون شيعي في العالم ويدفعون الثمن. وهذا حرب على خط أهل البيت الرامي إلى نشر الوحدة والتعايش باحترام ونبذ الفرقــة وجمــع الكلمة أمام العدو الصهيوني الذي يهدد الملة.

إن برنامج ساعة واحدة من هذه الفضائيات تسبب أحياناً في قتـــل العشرات بل المئات من الشيعة في هذا البلد وذاك انتقاماً لما يتحدث به هذا المعمم خلال ساعة من الأحاديث العدائية الانتقامية.

لماذا لا تتحول هذه الجهود إلى عرض مسلسلات ترفيهية وتربوية كظاهرة تثقيف عصرية مشابهة لمسلسل مهند الإجرامي.

فأين من يقرأ هذا ويفّكر وقديماً قيل: على من تقرأ زبـــورك يـــا داوود؟

هكذا كانت المكيدة

ضروري أن يفهم الجيل الجديد وخصوصاً الحوزويون خطـورة ألاعيب الاستعمار وأجهزته وكيف يتسلق بأكثر من طريقـة ووسـيلة للصعود إلى تحقيق الغاية المقصودة.

كمثال وأرجو التركيز:

كنتُ في العراق وأتابع بدقة وتأمل مـسيرة الثـورة الإسـلامية وتعاطي الإمبراطورية الإعلامية معها.

وما أن نجحت الثورة حتى طالعنا تصريح لشيطان مُعتّـق مـن شياطين الاستكبار وهو (كيسنجر) فقال: والآن نجح آية الله خميني فـي الهيمنة على السلطة والحكم في إيران ولكن!!! لننظـر هـل يـستطيع الاستمرار بالحكم والسلطة؟ ثم قال: إننا نتابع المراحل القادمة.

أرجو الانتباه جيداً:

بعد تصريحه هذا بيوم واحد وكان لم يمض على انتصار الثـورة إلا ثلاثة أيام حتى أعلنت وسائل الإعلام العالمية أن أحد قـادة الثـورة الإيرانية صرح بأن البحرين هو جزء من إيران ولابد من اسـترجاعها وأن الشاه تنازل عنها وقراره باطل.

ما الذي حدث:

لقد اهتز وضع الخليج واتخذت إجراءات وحدث هـرج ومـرج وتعالت ردود فعل بتصريحات غاضبة.

السؤال هنا: من هو صاحب التصريح؟ وما صفته؟ إنها كانت لعبة ذكية من لعب الاستكبار ودوائره لإرباك الإمام الخميني في أول أيام حكمه وإحداث مشاكل له مع جيرانه. واستغل صدام حسين هذا التصريح ليستثمره في زعامته على العرب بأنه حامي حمى البوابة الشرقية للعرب وتوالت عليه الأموال وأنواع الدعم من زعامات عربية كانت بالأمس القريب تكرهه أشّد الكره لكن القاعدة الجاهلية تحكم. زائداً الاستكبار وهي (أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً).

والآن لنعد ونعرف من هو صاحب هذا التصريح الذي فجر هذه المشاكل وفتح الأبواب وأصبح مادة دسمة للعدّو وهل صحيح أنه من قادة الثورة؟

إن صاحب هذا التصريح هو من العناصر العلمائية النائمة في إيران. وهو شبه معزول. وهو غير معنيٍ بالثورة الإسلامية إطلاقاً بل هو مصنف على البلاط الشاهنشاهي في السابق ولا دخل له أبداً في الأمور السياسية، فكيف أطلق هذا التصريح؟ وكيف حدثت له هذه النقلة؟

إنها مسألة الصفقة الدسمة والتي تقلبت بغسيل جميل وتَقَني حتى أدّت إلى إطلاق هذا التصريح الذي أشعل تلك الأزمة، فيرجى الانتباه!!!

حينما يستخدمُ البسطاء سلاحاً

شعرتُ بخطورة هذه الطريقة الماكرة وأنا في بواكير صباي وفي الخمسينيات حيث كنت مع والدي أحياناً أو والدتي في ميدان النجف الأشرف وكان يمرّ الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء بسيارته السوداء اللون (وهو أول مرجع في تاريخ النجف الأشرف يقتني سيارة خاصة) وآنذاك لم تكن في النجف الأشرف إلا ثلاث سيارات خاصة منها سيارة السيد عباس الرفيعي الكليدار، وسيارة الحاج رشاد مرزه، وسيارة الشيخ كاشف الغطاء. وطبعاً أدركت قبل ذلك آخر مرجع كان يركب الحمار هو الشيخ محمد علي الواعظ زادة الخراساني. وآخر خطيب أدركته كان يركب الحمار هو الشيخ محمد الكاشي (محمد حدوّدة).

المهم أن الشيخ كاشف الغطاء حينما يمر بسيارته في ميدان النجف الأشرف تتوالى البصقات على سيارته وهم يرددون الله يلعن (أبو ناجي) والمقصود بأبو ناجي الإنكليز (بريطانيا).

كنا نتساءل ونحن في حيرة؟ لأن من يقوم بهذه الأعمال أُناس ظاهرهم الصلاح والتقوى وبعضهم ملازم للحرم ويصلي في أول صف ويتمتم بالتسبيح.

فكانوا يقولون لنا أن السفير البريطاني أعطاه السيارة!!!

وكان هذا طبعاً بعد سفر الشيخ كاشف الغطاء إلى المؤتمر الإسلامي في القدس ونجاحه هناك وخطابه المهم وإمامته المصلين!!!

ظاهرة أخرى: شاهدنا في عاشوراء في تلك السنين أُناساً يلبسون الأكفان ويحملون قرب المـــاء ويـــسقون النـــاس وظـــاهرهم التقـــوى فيتصارخون أشرب الماء والعن الأمين (المقصود هو الـــسيد محـــسن الأمين) ونسألهم لِمَ هذه الأكفان فكانوا يقولون أنهم متطوعون لقتل السيد الأمين إذا وصل إلى النجف الأشرف. ثم نسأل: لماذا قالوا أنه منحرف وضال؟ لأنه حرم التطبير، ويحارب الحسين وشـــعاراته!!! ونريـــد أن نتقرب إلى الله بقتله!!! فمن كان يشحن أذهان هـــؤلاء البـــسطاء بهـــذه الأمور؟؟؟

وهكذا شاهدنا ما حدث للسيد فضل الله، وكيف أنخـــرط الـــسواد البسطاء بهذه اللعبة الماكرة وكان رحمه الله نصيبه نصيب سلفيه.

ثم شاهدتُ أَخَيِّراً مقدّساً في الكويت مشهوراً بالصلاح ويصلي في المسجد... وفي أول صف وهو يسبُّ المرجع الشيخ محمـــد اليعقـــوبي فسألته: كيف تفعل هذا؟ فقال: أنه يحرّم المشي إلى زيارة الحسين!!!؟؟؟ قلتُ: هل سمعته يقول ذلك؟ قال: لا، ولكن سماحة السيد إمام الجماعـــة قال لنا ذلك!!!

وشاهدت مُقدّساً آخر يحضر مجالسي في الكويت وهو قليل الكلام ولا أشّك بتدينه، وإذا به يقول باللهجة الكويتية (الله يهديك يا سيد كمال الحيدري) فقلت له: كيف؟ قال: لماذا يتطاول على المرجع... (وشحگه يسوي چذي) فقلت له: أنت سمعت، أم قرئت؟ قـــال: لا، لكـــن (وايـــد گالولي من السادة!!!) قلت له: إن العلم والنظريات الاجتهاديـــة ليـــست حكرٌ على أحد يا هذا. ثم إننا أحرار في الإصغاء للآراء العلمية ونحترم

كل شخصٍ ونظرياته. وإننا لا نعبد أصناماً بشريّة، ولدينا عقول ونتحرى بها الحقائق.

أيها الأخوة:

ليست المشكلة في دين الناس ونقواها إنها الفطرة وطهارة البساطة لكن الثعالب والذئاب الذين يتبرقعون بالمظاهر العلمائية وما هم إلا مصانع للشّر والفتنة يغشّون هؤلاء المساكين ويستفيدون من وداعتهم وبساطتهم ويتقنون كيف يشحنوهم ويشّنجوهم، إنّه غِشٌ ما بعده من غشٍ.

لقد دخل خطيبٌ من الخطباء إلى بلدة فنجح في منبره لمعلوماته وصوته وأدائه فأراد الخطباء والمحليون والذين تضايقوا من نجاحه أن يهزموه فاجتمعوا في مجلسه واستعرض هذا الخطيب في حديثه موقف أبي لهب عم النبي صلى الله عليه وآله وحربه للإسلام. وما أن فرغ حتى حرك هؤلاء مجموعة من السذج البسطاء من المستمعين وهم يتصارخون الله أكبر هذا الخطيب سبَّ عم النبي صلى الله عليه وآله واندفع الناس كلهم للموجة على غير هُدىً مما اضطّر الخطيب أن يترك مجلسه ويسافر.

فانتبه....

الأمهات ثلاث

في أمسيةٍ مشهودة لما حدث فيها، وهي أنّ مجلساً مهماً وحاشداً كان يقام في منزل المرحوم السيد حسن زيني في النجف الأشرف في محلة العمارة وهو من وجهاء البلد وخطيب المجلس هو السيد صالح الحلّي وكان هذا قبل أن يفتي السيد أبو الحسن الأصفهاني بتحريم قراءته.

كان السيد صالح رحمه الله حاد المزاج جداً جداً ويخشى الكثير من أصدقائه هذه الحالة منه.

وكان تلميذه آنذاك هو الشيخ محمد الكاشي ويُعرف بـ(محمد حدوّده) وكان رقيق الصوت. فكان يمهّد للخطيب بقصيدة قريض ثم أبيات نعي ثم يتقدم الخطيب الأستاذ فيرقى المنبر. وتسمى هذه القراءة بالمقدمة.

لقد حضر إلى المجلس المذكور أعلاه السيد الحلّي والمجلس حاشد بكل الطبقات والأصناف وفي مقدمتهم العلماء. وحلَّ موعد القراءة ولم يحضر الشيخ محمد الكاشي والسيّد الحلّي متحيّر وينتظر حتى كاد صبره أن ينفذ وهنا وصل الشيخ محمد فصاح السيد الحلي قتلتني بتأخيرك أصعد المنبر رأساً فصعد الشيخ محمد والسيد الحلي متوتر وقد تصاعدت عنده حالة الغضب والتوتر.

بدأ الشيخ بالقراءة فقال: صلى الله عليك يا أبا عبد الله ثم سكت قليلاً ثم قال: أعذروني أخرتكم هذه الليلة لأن أمي مريضة، ثم واصل

قراءته ثم سكت، وقال: أنا هذه الليلة أصبت بابتلاءات ورحت أبحث عن دواء لأمي وتأخرت فأرجو المسامحة.

في هذا الأثناء كان السيد صالح ينظر إليه متشنجاً جداً حتى خاف البعض من حادثةٍ ستحدث. وخصوصاً السيد صالح الذي لا يهاب حتى المراجع وكم وكم قد هاجمهم لأنه جسورٌ وعصبيٌّ المزاج بشدة.

هذا واستمر الشيخ محمد فقرأ بيتين، ثم توقف للمرة الثالثة وهو يقول: اعذروني لم أُحّضّر للقراءة بسبب اعتلال أمي وهكذا ختم بنعي ونزل.

وهنا صعد السيد صالح واستقر متربعاً على المنبر وهو صامت ينظر يميناً وشمالاً ويتطاير منه الغضب والأعناق مشرأبّة تنظر إليه لأنها حالة غير طبيعية ثم بدأ حديثه فقال: الأمهات ثلاث:

الأم الأولى هي فاتحة الكتاب وتُعرف بأم الكتاب، والأم الثانية هي مكة أمّ القرى.

أما الأم الثالثة فهي (البربوگه أم هذا الشيخ) والبربوگة تعبير شبه فاضح، ثم صاح به لقد قتلتني الليلة بأمّك. يقول الوالد رحمه الله لقد تروع المجلس بالضحك ولم يهدأ الضحك إلا بعد خمس دقائق. والسيد صالح يتنفسُ الصعداء.

أما الشيخ محمد فكاد أن يموت بخجله ووضع رأسه بين ركبتيه وبعدها هرب وأنقطع عن القراءة مع السيد صالح الحلي. رحمهم الله جميعاً بواسع رحمته.

واستشهد بهذا البيت:

وما نحن إلا مثلهم غير أننا   نقيم قليلاً بعدهم ثم نرحلُ

تَنافُس القراء والرواديد

لا نعرف تاريخاً لمنشأ الرادودية. ولعله امتدادٌ متطــور لــبعض المداحين الأتراك الذين كانت مواكب الاتراك والبكتاشية تصطحبهم.

لقد وعيت بالخمسينيات على رادود كان هو الوحيد بشهرته فــي النجف الأشرف ويُسمى فاضل الرادود (أبو عــصري) وكــان يتمتــع بصوت حزين ويلقي قصائده بطريقة جاذبة وقد تألّق نجمــه فــاعتراه الغرور وفي مشادّة كلامية مع خصمٍ له ذات يوم أخرج مُسَّدّساً وأطلــق عليه النار فقتله وقتل حماراً كان على مقربة منه. وساقه هذا الحــادث إلى السجن حيث حكم عليه ١٥ عاماً.

وفي انقلاب عام ١٩٥٨م أطلق المرحــوم الــزعيم قاســم كــل المساجين فخرج الرجل وواصل أمتهانه لذلك. لكنه أصــبح ذا نزعــة سياسية تواكب الثورة وقائدها الزعيم قاسم. ولدى تأزّم الموقــف بــين جهاز السيد الحكيم والزعيم قاسم تظاهر مع الحكومة وأخــذ يُعــرّض بالسيد الحكيم. خصوصاً وأنه ذات يوم جاء إلى منزل السيد الحكيم فلم يكن أحد فجاء الخادم وأخرجه من البيت مما زاد عنده روح الكراهيــة للسيد الحكيم. وأتذكر أنني دخلت مرة إلى الصحن الشريف وكان هــو على المنبر يلقي قصيدته وسط جمع يضم الآلاف فكان يهاجم مرجعيــة السيد الحكيم، ويقول:

ما شفنه عالم يخلّيلة خادم   يطرد الوادم وياي صارت

وبالمقابل شنّ الحكيميون حملةً عليه بأنه من أصول يهودية وأنـــه شيوعي وأنه قد بنى قصرين كبيرين. وأنه يصعد المنبر ويحمل سلاحاً وأنه لا يصلي وما إلى ذلك. حتى أنه كان يرّد على هــذا فـــي بعــض قصائده التي كان ينظمها له شاعر اسمه عبد الحسين أبو شبع، وقد قال في بعض قصائده:

فاضل الرادود من شجرة يهود | للظلم مـــالوا وعلـــيّ گـــالوا
يصعد المنبـــر شـــايلّله ورور | بانيله قصرين بفلوس الحسين

والورور هو المسّدس.

وهكذا بقيت الحالة مشتعلة بينه وبين الحكيميين. وفي عام ١٩٧٢م دعي إلى مدينة الشامية لإلقاء قصائده. لكن عالم مدينة الشامية آنـــذاك (السيد محمد علي الموسوي) دعا وجوه أهل البلد وأمرهم بغلق الحسينية لمنعه من القراءة. لكن أتباعه ضربوا مخيّماً في الشارع وقرأ وقد ذكر ما حدث له من منعه في القصيدة ومنها:

وطالع إمام جديد بالشامية ينطي فتاوى بغلق الحسينية

وأخيراً راح إلى جوار ربه.

وانتقلت هذه الشهرة إلى رادودٍ نجفي آخر وهـــو عبـــد الرضـــا الرادود وكان يأخذ شعره من الشاعر الشيخ عبد الأمير المرشد والشيخ هادي القصاب. وكان يلقي اللطمية ليلة ١١ محرم في الصحن الشريف وفي موكب مهيب وفي استعراض لمصائب تلك الليلة بشكل مفجع حتى منعه البعثيون وأغلقوا هذا الموكب كغيره.

وتزامن مع هذا شهرةٌ لرادود آخر وهو (وطـــن) وكـــان يلقـــي

اللطمية لموكب النجفيين المهيب في كربلاء يوم عاشوراء ويمتلئ صحن الحسين عليه السلام بكامله حينما يلقي قصيدته.

ويأتي بنفس الحالة رادود ثالث اسمه (إبراهيم الشمرتي) وكان مقبولاً في أدائه أيضاً، وكذلك الرادود المرحوم السيد كاظم القابچي.

أما اليوم فقد تغيرت الحالة وخصوصاً بعد سقوط الطاغية فقد انتشرت حالة التنافس بين القراء الذين يرتقون المنابر والرواديد. فأما القراء فيسعون إلى اقتباس صفات المرحوم الوائلي وتقليده بالعمّة والحركات والإشارات إضافة إلى حفظ مطالبه ومحاضراته من الكاسيت. وغالباً يفلح بعضهم حينما يمتلك صوتاً جهورياً مثله. وليتهم اقتبسوا منه صفاته الأخرى.

أما الرواديد فأصبح الكثير منهم وللأسف ولا أقول كلّهم. يقتبسون من المغنيات أطوارهن فيلقوا القصائد ويذكروا المصائب بنفس النغمة. والأهم جداً أن بعضهم يقتبس حتى حركاتهن وإشاراتِهن على المسرح. وهذا ما دعا بعض الفقهاء إلى انتقاد ذلك ولا نعلم إلى أين يسير هذا القطار. وما هي العواقب وكما قال الشاعر:

فرادودنا هذا وذاك خطيبنا   تعالوا على الإسلام نبكي ونلطم

وحول السيد أحمد القبانچي

سمعتُ مرة قصة جميلة من المرحوم الشيخ الأميني أعلى الله مقامه يقول: أنه بعد ما صدرت الأجزاء الأربعة الأولى من موسوعة الغدير أحدثت زلزالاً في عالم الثقافة والعقائد والفكر وتوالت عليّ ردود فعل متباينة من هنا وهناك، لكن كان من بينها إشكال غريب من نوعه وطريف وهو أن عالماً من علماء الجزائر كتبَ إليَّ رسالة مهمة يشيد فيها بالكتاب لكنه يطرح إشكالاً على الصفحة... من الجزء... ويقول بأن علامة الشّدة هنا غير واردة وقد قلبت المفهوم مثل الفرق بين حملتَك وحمّلتك.

يقول الشيخ الأميني قدس سره أجبته برسالة شكر وكتبت له في آخرها بأن هذه الشَدّة ما كانت تحتاج إلى هذه الشِدّة.

بعد هذه المقدمة أقول:

لاحظت أن البعض من قُرآء كتبي ضاقوا ذرعاً منها ومن محتوياتها لكنهم لا يملكون مادةً للإدانة إلا أنهم تمسّكوا برسالتي التي كتبتها إلى السيد أحمد القبانچي والمؤرخة ٥/ج٢/١٤٢٥هـ وكأنهم لم يجدوا متنفساً إلا في هذه الملاحظة.

إنني أخاطب هؤلاء كما أخاطب كل من أبتلي بالحقد أو الحسد ليخفّف سعير ذلك في صدره. إن رسالتي هي مرتبطة بوقتها وتاريخها ومضمونها. وأنا غيرُ متراجعٍ عنها ولا مُنكر. وقد عطفتُ عليها بياناً

أوضحتُ حيثياتها وذلك بتاريخ ٢٠/ شوال المكرم/١٤٢٦هـ أما ما يدور في الأوساط والنوادي الثقافية من تصريحات للسيد أحمد القبانچي فإني على افتراض صحة ذلك فأنا اختلف معه في هذا التفكير اختلافاً جذرياً ١٠٠٪. والله تعالى يقول: ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾ وأنا أيضاً أُأكد ما ذكره المرحوم الأميني أن هذه الشَّدة لا تحتاج إلى هذه الشِّدة، ورحم الله الإمام الخميني حينما أستقبل رئيس الجمهورية بني صدر عام ١٩٨٠م شبت عليه وسائل الإعلام بأنه هو الذي أيدّه وزكاه وعلى أساس ذلك نجح في الانتخابات. لكن الإمام رضوان الله تعالى عليه أجاب أن تقييم الإنسان مرهون بعمله الآني.

أيها القارئ الكريم:

إنني أُأكد أن من يريد استغلال ذلك وأن يصطاد بالماء العكر فإن الأيام والزمن سيحكمان عليه بالفشل عاجلاً أم آجلاً.

وللتوضيح أكثر فإن هناك مقطعاً زمنياً كبيراً بين رسائلي للسيد المذكور وسلوكه الآن وهي عشر سنوات تقريباً، وشكراً.

ماذا جرى لنا في الحيرة

ليس من السهل سيطرة المرء على أعصابه وحفاظه على رباطة جأشه ولا ربط لذلك بالسنّ أو العلم أو السُمعة والشأن. إنها مسألةٌ خارج إرادة الإنسان حينما يُصدم بحادث أو مشكلة أو مفاجئة. وهنـــا تظهـــر عظمته في هذا الإطار ولا سامح الله لو اهتز وفقد السيطرة فقد تحـــدث كارثة.

لقد حدثنا أساتذتنا عن موقف تاريخي في هذا المعنى وكان وقتها حديث المحافل والمجالس. وهو حينما سقط السيد حسن نجل السيد أبـــو الحسن الأصفهاني صريعاً يتضرج بدمائه وهو خلف أبيه مباشرة وكيف أن السيد أتمَّ الصلاة بكل رباطة جأش. ولم يؤثر الحدث فـــي ســـلوكه وهدوئه وترسله وحُمل ولده الذي يسبح بدمائه من الصحن الشريف إلى المستشفى ولكنه ودّع الحياة في الطريق فكانت إلى جانب عظمة الخطب عظمة صبر والده ورباطة جأشه.

بعد هذه المقدّمة أذكر حادثةً لا تقل أهميةً عن هـــذه وإن كانـــت الحادثة غير دموية ولكنها جنائية بمعنى آخر والحادثة كما يلي:

في عام ١٩٦١م كنت أقرأ المقدّمة وعمري حينها ١٦ عاماً مـــع زعيم الخطباء في العراق آنذاك الشيخ محمد علي اليعقوبي والذي هـــو عالم وشاعرٌ وسياسيٌ أيضاً.

كان المجلس غير عادي في مدينة الحيرة وفي مضيف السيد علي

زوين وهو من شخصيات العراق الاجتماعية والقبلية. ويشغلُ بعض أبنائه مناصب مهمة في الدولة آنذاك كما أتخطّر.

ومن المعلوم أن مجلساً كهذا وصاحبُه هذا، وخطيبُه الشيخ اليعقوبي لابد وإن يكون شبه مهرجانٍ موسمي. لذا حينما كنت أرقى الأعواد كنت انبهر بذلك الجمع الغفير. وكانت المنطقة تضيق على رحبها بالسيارات القادمة من النجف الأشرف والكوفة والشامية والديوانية والشنافية وغيرها من المدن الأخرى.

كان المجلس يقام في أرضٍ رحبة في بستان من النخيل وقد ضرب حائط خلف المجلس من البواري (الحصير) وهنا لابد أن أشير إلى حالة مهمة جداً وهي أن الشيخ اليعقوبي رحمه الله كان الخطيب المتميز بهذه الظاهرة في زمانه ولم أشاهد بعده حالة مماثلة حتى اليوم. أنه الخطيب الفريد في ملكته العلمية والبيانية. فهو لا يُحضّر قبل القراءة ولا يُعد مضامين محاضرته. وقد تكرّس ذلك عندي من خلال قراءتي أمامه في النجف الأشرف في بيت السيد هاشم الصراف. وعند السيد حسن زيني وفي الكوفة عند السيد شُبر آل شُبر وغيرهم. وذلك أنني كنت أختتم المقدمة ببيت من الرثاء القريض فكان يرقى المنبر ويأخذ ذلك البيت الذي قرأته علماً أنه لم يكن تنسيق بيننا حول ما سأقرئه، كمثال على ذلك:

ذات ليلة وبنفس هذا المجلس في الحيرة قرئتُ وختمتُ قراءتي بهذا البيت:

خضبوا وما شابوا وكان خضابهم   بدم من الأوداج لا الحناء

فرقى المنبر رحمه الله وأعاد البيت هذا بهدوء وافتتح حديثه هكذا: بأن الشاعر هذا أخذ المعنى من كلام الإمام علي عليه السلام ألا وإن خضاب النساء الحناء وخضاب الرجال الدماء وأنطلق بإنسيابية وترسُّل وبهدوء وهو يتحدث عن الشهادة ومعنى الشهادة وأن هذه الكلمة للإمام عليه السلام مكتوبة على جدران الأزهر الشريف بالقاهرة. ثم انطلق يتحدث عن تاريخ الأزهر ومن بناه من خلفاء الدولة الفاطمية. وهكذا سيطر على المشاعر لمدة ساعة دون أن يشعر الحضار إنها ساعة أم دقائق وذلك لعمق الموضوع وطريقة أدائه والشواهد الأدبية وبراعة الاستحضار. ومن يتأنى في هذا العنصر المبارك يشعر أن صدره كان قاموساً من المعرفة لا ينضب أبداً، فما الذي حدث لنا هناك:

في الليلة الثالثة وبعد أن مرت عشرون دقيقة على محاضرته. كان هناك (على رواية) أطفالٌ يلعبون في البستان خلف الجدار الذي أقيم من البواري والحُصر. ويبدوا أن ثعلباً كان هناك مختفياً بين بُعيلات النخل فحاصره الأطفال ولم يكن الثعلب يعلم أن خلف البواري جمعاً من البشر فقفز قفزة بهلوانية وسقط وسط الجمع خلال المحاضرة وهرع الناس يتراكضون يميناً وشمالاً. فذاك يصرخ لا تقبضوه من ذيله (لأن هذا الحيوان معروف بأنه إذا قبضوه من ذيله ينتقم برشق مدفوعه إلى أمتار) وآخر ينادي أمسكوه بالعباءة. والملفت أن هذا الحيوان تهستر فكان يصل إلى الباب ثم يرتد مراراً وبالتالي تبعثر وضع الناس فهذا سقط عقاله وذاك ضيع حذائه وأخر تمزقت عباءته وذاك هرب بعيداً حتى فرّ هذا الثعلب تاركاً الفوضى تعمُّ هذا الجمع.

المهم هنا:

إن هذه الحادثة أخذت ما يقارب ١٠ دقائق من الوقت والشيخ على حاله لم يهتزّ ولم يتكّدر واحتفظ بترسُّله واستطاع بكلمتين أن يعيد النظام والهدوء وأطلق كلمة طريفة أعادت للنفوس الاستقرار حينما افتتح حديثه قائلاً (هذا مو واوي هذا شيطان على شكل واوي) واستمر يواصل محاضرته وكانت ليلةً مشهودة وتفرق الناس في دهشة من استقامة الشيخ وهدوء أعصابه رغم أن الثعلب قفز من فوق رأسه وسقط وسط المجلس.

ملاحظة لابد من ذكرها!!!

لقد سمعنا بعدها بمدّة أن هذا العمل كان مقصوداً وأُعدّ من قبل كحالة انتقامية من الشيخ اليعقوبي لأنه كان ناشطاً في العمل مع جمعية علماء النجف الأشرف. ومواجهة المدّ الشيوعي الذي كان يجتاح العراق آنذاك. وأن ثُلةً من الشيوعين قاموا بتدبير هذه العملية الخسيسة. وشكراً.

من أين جاءت هذه البدع

اعتادت الشعوب المضطهدة والمغلوبة على أمرها أن تعاني مِحناً لا حلّ لها ولا علاج. إلا الوجدان، ولكن أين الوجدان؟؟؟

ومن هذه البدع: أن الملك أو رئيس الجمهورية أو رئيس الوزراء أو الوزير ما أن يستولي على المنصب حتى يأتي بزمرته وأقاربه والمنتسبين إلى حزبه أو جماعته فيسلطهم على رقاب الناس.

لكن هذا كله يهون لأننا لا نعتب على إنسان عادي...

إلا أن الخطورة والعتاب على جهاز يمثل عدالة الله ويدعي الإنابة عن الإمام والأئمة. ولكن عملياً وما هو على الأرض هو نفس ما يفعله الملك والوزير إلا أن الفارق هو أن هنا يجري التستر عليه وكمّ الأفواه بمظلة الدين والقداسة.

فالملك والوزير وغيره يهدّد الرافضين لهذا بالسجون والتعذيب. أما من يرفض وينتفض على سلوكيات المرجعية واحتكارها للأمور بنفس الطريقة يهدّد بالتسقيط وتدمير السمعة وهتك الحرمة.

لكن لا لوم على الملك والوزير وغيره فهؤلاء سياسيون علمانيون أما المحنة حينما يكون الطرف مدعياً أنه يمثل الإمام وما أن يتولى مقاليد المرجعية حتى يحصر شأن المرجعية والدخل المالي والتصريف وإدخار الأموال وأمكنة حفظها على ابنه أو صهره ويعطيهم الاختيارات التامة. السؤال هو: على أيّ دين يجري هذا أم على أي كتاب وأي

شريعة يُقبل هذا.

هل النبي شرع هذا؟ هل الإمام علي عليه السلام؟ أم بقية الأئمـــة فعلوا ذلك؟؟؟

ولكن على من تقرأ زبورك يا داوود.

مسلسل عن الشهيد الصدر

قبل أشهر عرضت فضائية المنار اللبنانية مسلسلاً يـشتمل علـى عشر حلقات عن حياة الشهيد محمد باقر الصدر وقد سـبقت عرضـه إعلانات استمرت أياماً عن أهمية هذا المسلسل.

وبعد انتظار المشاهدين وتعطشهم أذيعت الحلقة الأولـى وكانـت بحق تستحق المشاهدة والاهتمام. وهكذا الحلقات التي بعدها.

انتهى عرض أربع حلقات ثم احجمت هذه الفـضائية المعروفـة بمنهجها وشجاعتها وسلوكها المتحرّر والواعي عن عـرض الحلقـات الباقية وتركت المشاهدين في ترقب ودهشة وبعدها علمنا بـأن شـيخاً متعيلماً لبنانياً في مدينة قم المقدسة قاد حملةً للضجّة على إذاعة وعرض هذا المسلسل وكان هذا هو السبب.

إننا لا نلوم هذا الشيخ.... الذي زايد في كل حياته على جهل الأمة وتعطيل العقول بسفاسفه وشعاراته الضحلة. ولا غرابة لنا في ذلك لأنه في كل فصل من فصول السنة ينتهج نهجاً وينتخب مسلكاً. ويتموّج وفق مجرى الموج.

إننا نعتب على ذوي العلاقة لانصياعهم لمثل هذه الدعوات ومـن هؤلاء الأفراد. وبالتالي فإن الخاسر هو المذهب الإمامي الحقّ وأتباعـه لتبقى الطائفة باقية في دائرة العمى المطبق لتشكل سوق تجارة لأمثـال هؤلاء. والحديث بين يدينا هو (وأعظم الخيانة خيانة الأمة).

نفحاتٌ أدبية

دُم للحقيقـــة صوتاً لا تجـــافيها

إن الحقيقة تشـــكو من يواريها

إن الحقيقة باتت جِـــدٌّ ضائـــعةً

بين الـــذين تمـــادوا في تعاميها

لا تخشَ فيها عَذولاً رأيه سفِهاً

فالحـــق يعـــلو ولا يعلوه تسفِيها

يـــا بن الذين بها لله قـــد عملوا

وجـــدك المرتضى أحيـــا معانيها

كـــن للذين عُموا نوراً لأعينهم

وللـــذين أضـــلّوا الســـير هاديها

السيد عقيل المقرم

دكتوراه من الفيلسوف زيطة

إن كلمة زيطة تُطلق على طائر دون العصفور حجماً ولكنه أشــدّ منه حركةً ولعباً ولعل له اسماً آخر.

وغالباً ما يُطلق هذا الاسم كصفة علــى أفــراد يحملــون نفــس الحركات أو المزاج المتراقص أو الغير متوازن.

كنتُ حينما أقرأ في دمشق في حسينية الإمام زين العابــدين فــي منطقة جبل المهاجرين كان يحضر في مجلسي اثنان مــن مستــشاري المرحوم الرئيس حافظ الأسد وذلك في أواسط الثمانينيات. وهما علــي دياب مستشاره الديني والدكتور أسعد علي مستشاره الثقافي. والــدكتور أسعد علي حارٌ بطبعه ولطيف في مجلسه ويُطلق عليه بالفيلسوف وكنا نسمّيه باسم هذا الطائر (زيطة).

لقد فوجئنا أخيراً أن بعض ربعنا ظهروا علينا وبــشكل مفــاجئ يصفون أنفسهم بالدكتور. حتى أني تركتُ لي صديقاً من أيام الصبا وهو لم يكمل حتى الثانوية. لكنني بعد شهرين واجهته في دمشق وبيديه ورقة وعليها اسمه وعنوانه وإذا به وضع إلى جانب اسمه الدكتور.... فسألته: كيف حصلت على الدكتوراه؟ وأنا أعلم تماماً أنك لا تحمل حتى شــهادة الثانوية. قال: أن الفيلسوف أسعد علي منحني ذلك. وبعدها تتبعت الحالة فعلمت أن الدكتور (زيطة) يمنحها لمن يشتهي. وقد تــراكض بعــض الخطباء والمتحدثين المتعطشين لصفة دكتور ليقفــوا طــوابير ببابــه

ليمنحهم الدكتوراه.

إنني أشكر الله الذي أمدّ في عمري لأشاهد شهادة الدكتوراه تباع كما يباع البصل والبطيخ بعدما كان الطالب لا ينالها إلا بعد دراسة تمتد لعشر سنين ونسأل الله الصبر والاستقامة على ما سنشاهد مستقبلاً، وقديماً قيل وإن عشت أراك الدهر عجبا.

وبينا أعدّ الكتاب هذا للطبع. حتى فوجئتُ على إحدى فضائياتنا الهزيلة معّمماً يعتلي المنبر واصفاً نفسه بالدكتور... وإذا به يقول على المنبر، ويقسم بالله أنه سيُنزل الله من عرشه ويبكّيه على الحسين عليه السلام.

إنني بقيتُ مدهوشاً وأتساءل أيّ جهةٍ أم أيّ مسكينٍ منح هذا الرجل شهادة الدكتور. ويبدو أنه أقلَّ مستوىً بكثير ممن يمنحهم الفيلسوف زيطة.

نحن لا نعرف أين سينتهي بنا هذا القطار المُخزي.

هل التشيّع مُختطف؟؟؟

هناك قراصنة بحريون يستولون على السفن وما فيها. وهناك قراصنة تجار وهناك قراصنة سياسيون وهناك قراصنة في الأدب يبتزون القصيدة والكلمة وغيرها.

لكن أخطر القراصنة هم قراصنة الأديان والمذاهب والمعتقدات.

ما يهمنا هنا ما نراه ونحسُّ به من انحراف حدث رويداً رويداً للتشيّع الإمامي الاثنا عشري ودون أن يحسّ به المساكين من الشيعة إلا ما ندر وهم الأكاديميون والمثقفون.

وإذا ما قارنا بين التشيع في بداية الغيبة الكبرى والتشيع الذي نعيشه الآن نجد بوناً شاسعاً بل مسخاً بالكامل. ولعل هذا المقصود بالحديث إذا ظهر الإمام الغائب عليه السلام يأتي بدين جديد وقرآن جديد. فحينما يفسّر القرآن يفهمه الناس بأنه غير الموجود عندنا الآن وعندما يطبق الشريعة فيفهم الناس كلهم أنهم كانوا على انحراف كامل عن أسس العقيدة الأصلية.

لقد خضع التشيع إلى ابتزاز طوال ١١ قرناً من الزمن فهناك فِرق وجماعات وكيانات تتبّنى وتختلق أموراً ثم تصبح جزءاً من العقيدة وتأخذ طابع التقدّس وقد لعب الزنديون في أيران ثم الصفويون ثم القاجاريون ثم البهلوي وهكذا إلى الآن أدواراً وسنوا سنناً وبالتالي لمّا نلاحظ التشيع الآن نراه شبه مختطف فلا العبادات ولا الشعارات ولا

المظاهر ولا العناوين هي ذات أصول أساسية وإنما هي من صنع هــذه الزمر والذي ساعد على انتشارها وترسيخها عاملان استفادةُ الحكام منها وسكوت مراجع الدين أطال الله أعمــارهم عنهــا، وســكوت علامــة الرضا؟؟؟

نعم، أن العديد منهم يعرفون ومدركين تماماً مــا كتبتُــه ولكــنهم يديرون ظهورهم، وعلى سبيل المثال أنا أعرف بنفسي العديــد مــنهم يدرك ويعتقد أن التطبير في زماننا هذا ضررٌ علــى المــذهب وهتــك لعظمة المذهب ولكن لا يكتبون ذلك ولا يظهرون ولا يتكلمون مراعــاةً لاعتبارات نفعية ومصلحية.

لقد كنت حاضراً عند مرجع فسأله أحد مقلدّيه: يجوز أن أتبــرع لقناة أهل البيت الفارسية والتي تلعن وتكفر. فأجابه بالحرمة ولما طلب منه الكتابة رفض. إذن فلا زياراتنــا ولا جماعاتنــا ولا شــعاراتنا ولا عباداتنا قائمة على صحة ودقة أطلاقاً ولا يمكننــي أن أدرج مــا هــو موجود عندنا وما يعمل به وكله مصطنع ولا نطفة له في العقائد وبجملة واحدة أقول: أن ٨٠٪ مما هو موجود الآن ليس من التشيع بشيء.

ولما كان العالم يسكت ويتجاهل والخطيب يحصر حديثه بما يترك الناس تتدافع لتقبيل جبينه والتبرك بالمناديل التي يجفف بها عرق جبينه. يبقى التشيع وتبقى العقائد في مهب المتاجرات وسوق المزايدات.

لنعود بعدها ونسأل: هل التشّيع مختطف؟؟؟

لماذا اختيار لندن للعلاج؟؟؟

تُعرف بريطانيا بتقدمها في الطب وشؤون العلاج، لكن هذا الأمر لا تنحصر به فقط بل هناك عواصم اشتهرت بطبّها المتفّوق حسب كل حقل. فقد عرفت اسبانيا بطب العيون وهكذا روسيا واشتهرت فرنسا بمعالجة شرايين القلب إضافة إلى سويسرا المتطورة في ذلك. وتعرف سلوفاكيا بتقدمها في علاج المفاصل والعظام. تضاف بيروت كذلك بمستشفياتها الحديثة وهكذا الهند، وطهران.

ما يثير التساؤل هي الحالة القائمة قديماً وبالخصوص حديثاً ومنذ ثلاثة عقود أو أكثر والتي تتعزز يوماً بعد يوم حتى أن ثلاثة من عظام مراجع النجف الأشرف تداووا في العقد الأخير بلندن؟؟؟ ولاحظت أن أحدهم جاء لعملية بسيطة وهي تركيب بطارية للقلب وكان يمكن إجرائها بسهولة في بيروت أو طهران وبتكلفة بسيطة جداً مقابل تكلفة ذلك في بريطانيا.

إن لندن أصبحت العاصمة المحببة عند مراجعنا العظام لا للعلاج فقط وإنما لافتتاح المكاتب فيها. وكذلك فهي مرتع لذويهم وصباياهم وحتى التسّوق من مبيعاتها الشهيرة لتهيئة لوازم أعراسهم وأنا الشاهد والشهيد على ذلك حيث أتردد على لندن طوال ٢٧ عاماً.

هناك ملاحظة أكثر من ذلك وهي أن أقام الخوئيون فيها مهرجاناً كبيراً باسم مهرجان الغدير أواسط الثمانينيات وكلفت نفقاته أكثر من

مليون دولار. رغم تعدد الاقتراحات بإقامته في دمشق أو بيروت أو في مكان آخر. ولو كان تم ذلك لكانت نفقاته ربــع ذلــك أو أقــل فلمــاذا الإصرار على إقامته بلندن؟؟؟

هل أن العلاج هو الوسيلة أم للتغطيــة. وإنمــا مــن وراء ذلــك مقولات وتحليلات تُسمّى (أبو ناجي) أو (العم سام) لقد كنت أسمع منــذ صباي في النجف الأشرف هذا البيت يردّدونه هم وهو:

ولا يجوز الابتدا بالنكرة ما لم تؤيده لنا أنكلتره؟؟؟

لقد همس في أذني أحد موظفي مطار هيثروا بلندن وهــو مــسلم شيعي من جذور باكستانية إذ كنت هناك أنتظر الطائرة العراقية القادمة من بغداد وذلك عام ١٩٩٣م حيث عليها عائلة علمائية تربطنــي بهــا مصاهرة.

لقد قال لي هذا الموظف بهدوء: ما الخبر؟؟؟ فلا تــأتي طــائرة عراقية إلى لندن بين يوم وآخر إلا وفيها علماء أو عوائل علماء وكــأن مطار لندن أصبح مطاراً حوزوياً وعلمائياً. وطبعاً احجمت عن الجواب لأني آنذاك كنتُ أؤمن بضرورة التستر على هذا الواقع وليس كما هــو اليوم حيث انكشف كل شيء عبــر الفــضائيات والمواقــع وشــبكات التواصل.

حقاً إنها ظاهرة لها مداليلها ومغزاها ولا أريد أن أكــشف عمــا تحتضنه لندن من القصور والفنادق والمطاعم والاستثمارات الأخــرى والتي تعود لذوي وأقرباء هذه الذوات المقدسة حفظها الله ذخراً للإسلام.

أما البنوك البريطانية والسويسرية فهي تتنافس فيما بينهــا علــى

الاحتفاظ بالأرصدة العالية المودعة لديها والتي لا يعرف حجمها إلا الله والراسخون في موضوع الأخماس.

أنا أرتائي واقترح على هذه البنوك وإداراتها أن تتقـدم بالـشكر الجزيل للإمام الغائب سلام الله عليه على اختيار نوابّه العظام وذويهـم لها مركزاً لتخزين أمواله عليه السلام، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ما اختلفت دعوتان إلاّ؟؟؟

هذه الحكمة هي من قصارى حِكم الإمام علي عليه السلام وهـي: (ما اختلفت دعوتان إلا وكانت إحداهما على ضلال).

إننا حينما نتأمل في هذه الحكمة نقع في حيرة محزنة لكثير من المواقف في الجوّ العقائدي والسلوك الديني. واستعرض هنا مشكلة واحدة فقط عصفت بالمسلمين والشيعة الاثني عشرية بالذات في تاريخنا المعاصر وكانت لها ارتدادات خطيرة جداً والمشكلة هي:

نهض الإمام الخميني بمشروعه من أواسط السيتينيات لإقامة دولة إسلامية ذات سلطة ممتدّة من سلطة النبي وأهل اليت عليهم الصلاة والسلام وتحرك رغم كل ما اشتمل عليه الموقف من مسؤوليات خطيرة.

لكن:

انقسم في هذا المشروع قادتنا الدينيون في إيران والعراق إلى ثلاث فرق:

١ــ فرقة اعتبروا المشروع شرعيّاً وتضامنوا معه جملة وتفصيلاً ولا داعي لذكر أسمائهم وإنها دعوة لإقامة الحق ودولة الإسلام.

٢ــ فرقة وقفت ضدّ المشروع واعتبروه باطلاً بحسب اجتهاداتهم وقناعاتهم وأظهروا ذلك بكل وضوح وأعلنوا ذلك ببياناتهم وخطبهم مثل الشيخ حلبي والسيد شريعتمداري والسيد قمي والسيد روحاني

والشيرازي وغيرهم.

ونحن لسنا هنا مع أي طرف لكن الذي نقوله أن هذين الفـــريقين كانوا شفافين في الأمور وكل أعلن موقفه. وهنا الأمر متروك إليهم فكل طرفٍ يعتبر الطرف الآخر على ضلال في دعوته وأنه هو على حق.

لكن مشكلتنا مع الفرقة الثالثة وهي عقـــدة القـــصيد والمنعطـــف المؤلم:

هذه الفرقة من الفقهاء والمجتهدين في إيران وفي العراق وقفـــوا متفرجين على ما يدور وأحجموا عن كشف قناعاتهم واجتهاداتهم فلا هم اعتبروا دعوة الإمام الخميني على حق. ولا هم اعتبروها على ضـــلال واكتفوا بالتفرج على خراب المدن وإزهاق الأرواح من الجـــانبين فـــي حربٍ امتدت ثمان سنين فكيف يُفّسر منهم هذا أمام حكمة الإمام علـــي عليه السلام.

لماذا لم يعلنوا على الأقل تكليف مقلديهم بأن هذا ضلال أم حـــق والحديث الشريف يقول: الساكت عن الحق شيطان أخـــرس. والإمـــام الصادق عليه السلام يقول: أفضع الغش غش الأئمة وأشدّ الخيانة خيانة الأمة؟؟؟

إنه السؤال الحائر في نفوس الآلاف من شبابنا بالخصوص الذين لا يعرفون له جواباً أبداً.

مأساة الشيخ شخبوط

كان هذا الرجل حاكماً لإمارته بشكل قبلي في الخمسينيات وأوائل الستينيات وكان يعيش عيشة بدوية صرفة وله العديد من الزوجات وكان مولعاً بأكل الجراد مع العسل (كمقوي جنسي) ومن حيث علوم السياسة لا يفرق بين الهرّ والبر. وكان الإنكليز مسرورين جداً لأميّتـــه وجهلـــه وطريقة أكله خصوصاً الأكلة التي كان يفقد فيها توازنـــه وهـــي أكلـــة (المهياوة) وهي خليط من البُر والسمك المجفف وأشياء أخرى.

في أواسط الخمسينيات تفجر النفط في بلده وكان يمتصّه الإنكليز وهو لا يعرف ما معنى النفط وما قيمته غير أن البريطانيين كانوا بـــين فينةٍ وأخرى يسكبون عليه الدراهم ليشتري بها صقوراً وخيولاً. ويجلب بها الفتيات من الهند وما إلى ذلك.

في أوائل الستينيات أصيبت عينه بضرر حينما كان يتفقد الطلـــع من نخلته الخاصّة وعلى أثرها نُقل إلى القاهرة للعلاج.

خلال أيام علاجه زاره الرئيس جمال عبد الناصر في المستـــشفى ودار الحديث بينهما حتى انتهى إلى موضوع صادرات النفط. وهنا سأله عبد الناصر: كم يعطوكم الإنكليز من المال؟ فأجابه بطريقتـــه البدويـــة (والله ما يگصرون يعطونة نوبة ونوبة) وهنا استوضح منه عبد الناصر أكثر فعجز عن الجواب لكن ولده البدوي أيضاً أخبـــره بـــأن المبـــالغ متقطعة وغير واضحة وهنا انبرى عبد الناصر ليخبره بكميـــة الـــنفط

المستخرج وكم تحمل الباخرة وكم ناقلة تشحن شهرياً. وأندهش الشيخ شخبوط لهذه المعلومات والمحاسبة الدقيقة عند عبد الناصر والتي يمتلكها من خلال جهاز الحاسوب في معبر قناة السويس وهنا صعق الشيخ شخبوط وهو يقول (يا حرامية يا ولد الحرام).

بعدها عاد الشيخ إلى بلده وفي اليوم الثاني استدعي المندوب السامي البريطاني في إمارته وأخبره بكميات النفط المستخرجة ثم سأله كم هي أثمانها وكم أعطيتمونا. فابتسم المندوب البريطاني وقال: شيخ من أخبرك بهذه الأرقام؟ فأجابه بأن المسؤولين المصريين عندهم الحسابات من خلال عبور الناقلات لقناة السويس فتأمل المندوب البريطاني ثم قال له: هل أن عبد الناصر أخبرك بذلك؟ فقال: نعم، نعم. فودّعه ووعده بأنه سيأتيه ليلاً بالأرقام وكمية المبالغ المدفوعة وغيرها وذهب.

كان من عادة الشيخ شخبوط ورهطه أنهم يتعشون بعد صلاة المغرب مباشرة. ثم بعد جلسة تمر وقهوة ينهضون لصلاة العشاء وبعدها مباشرة ينامون. وكان النوم المبكر والاستيقاظ المبكر جزءٌ من حياتهم البدوية.

فما الذي حدث:

بنفس ذلك اليوم نام الشيخ في قصره حدود الساعة ٩ ليلاً وفي الساعة الثانية عشرة ليلاً داهم رجال الأمن البريطانيون قصره وسحبوه من سريره وأركبوه مع أفراد أسرته طائرة وأرسلوه إلى إمارة أخرى ليعيش هناك لاجئاً. ونصبّوا مكانه أخاه بعد توافقات والتزامات. أما الشيخ شخبوط فعاش بتلك الإمارة لاجئاً براتب خاص إلى أن مات هناك.

حينما تغيب العدالة؟؟؟

غريب أننا نرى الفقيه كم يجهد ويكافح حينما يقرر رأياً أو مبنـــىً فقهي فيفتش عن الحديث وطبيعته ومنطوقة وضعفه ومن فـــي طريقـــه وبالتالي يبذل جهوداً مضنية حتى يصدر رأيه ويقرر المسألة.

لكن بإزاء هذا نراه بكل بساطة يُذعن إلى وشايات ولده أو همسة صهره ويرتب عليه أثراً فورياً ويصدر بياناً قد يهتك فيه حرمة شخص أو يعرض فيه سمعة مؤمن للخطر. كيف هذا؟؟؟

على سبيل المثال:

أراد مرجع معظم أن يكتب لي وكالة وحين توقيعها همس في أذنه أحد مقربيه فترك القلم وألغى ذلك علماً إن بيني وبين ذلـــك الـــشخص مشكلة شخصية أو ربما بيني وبين أخي مشكلة عائلية فاستخدم الكيد في تحريك المرجع وإذا بالمرجع يرتب عليه أثراً. وبالتالي وفـــرّ فرصـــة لخصومي باستغلال هذا الموقف منـــه لتـــسقيطي فـــأين الله؟؟؟ وأيـــن التقوى؟؟؟ وأين العدالة؟؟؟ الله أكبر.

إن هذا المرجع المعظم ضرب بالحائط تخويل أكثر مـــن عـــشرة مراجع لي وأخذ بالهمسة الكيدية دون أن يسمع مني كلمة واحدة أدافـــع بها عن نفسي وقضى بالسماع لطرف آخر فأين مخالفـــة الهـــوى فـــي الأمر؟؟؟ وأين العدالة؟؟؟

أنا أتذكر تماماً في بداية الستينيات حينما ظهـــرت فـــي الـــشارع

العراقي وفي النجف الأشرف بالذات (النقارة) في مواكب العشرة الأولى من المحرم وكانت تضرب مع طبول وكأنها تدفع بالشباب لحركة خفيفة تشبه الرقص. فتحرك اثنان من علماء الحوزة وهما العالم المقدس الشيخ حسن الجواهري (أبو ضياء) ومعه العالم المتقي الشيخ مهدي القرشي وحضرا عند السيد الحكيم وشرحا له الأمر فتناول القلم والقرطاس ليكتب في منع ذلك لكنه خلال الكتابة دخل عليه ولده... وهمس في أذنه وإذا بالسيد ترك الكتابة وطلب التريث وأخيراً استفحلت الحالة واستمرت دونما أي إنكار فتعجب العالمان من ترجيح همسة الولد عليهما وخرجا يشتكيان ذلك إلى الله.

نعم، إنها البلية الكبرى والطامة العظمى...

نحن مع المرجعية والله يشهد ونقدس المرجع والله يشهد لكن بشرط أن يكون المرجع مرجعاً عادلاً مستقلاً حُراً في قراراته لا يخضع لإملاءات الولد والصهر وغيرهم.

أما إذا كانت مرجعيات يتدّخل في تنصيبها مرةً شاه إيران ومرةً المخابرات الإقليمية. ومرة (أمير المؤمنين بريمر) ويتلاعب بها ويستثمرها الصبيان وتكون فيه العدالة غائبة تماماً فهنا لنا رأينا في ذلك.

رحم الله الشيخ عبد النبي العراقي إذ يقول في كتابه (معالم الزلفى في شرح العروة الوثقى) ج١ في مبحث الاجتهاد والتقليد. قال:

إذا فُقدت العدالة في المجتهدين! فما علينا إلا الرجوع إلى تقليد الأموات ابتداءً كالشهيد الأول والشهيد الثاني.

وهكذا يقول المرجع الكبير السيد محمد البغدادي في كتابه التحصيل. إذا تعذرت أو اشتبهت الأمور في معرفة المجتهد العادل فما علينا إلا الرجوع إلى الأموات كالفاضلين والشهيدين وأضرابهما.

حقاً إنها فتنة العصور المتأخرة ونسأل الله أن يقي المؤمنين شرّها وأن لا تتحول الأمور إلى الأسوأ.

السفرة العلاجية الأولى

هناك في تاريخ النجف الأشرف المعاصر وفي أطار الحديث عن الحوزة والمرجعية رحلتان وصفتا بالعلاجية. وعنوان العلاج هو خيـر رمادٍ يُذّر في العيون وطريقةٌ مهنيّةٌ عالية للتغطية!!!

وطبيعي جداً أن كل إنسان حينما يتجاوز عمره الخمسين فصاعداً يحتاج إلى إجراء فحوصٍ روتينية. وما أحسنه إذا كان فـي عاصـمة الضباب وعلى مجاورة من (أبو ناجي).

ولنعد إلى الحديث عن السفرة العلاجية الأولى ونترك الحديث عن الثانية ففي عام ٢٠٠٣م كنت في لندن وطلب إليّ مدير فضائية (أي أن أن) (ANN) أن أحضر لمقابلة في برنامج حيٍّ مباشر باسم عرب هذا الزمان. وهناك تحدثتُ بشكل مُسهب عن هذه السفرات. ومن ينظر لها ومن ورائها وما المقصود منها؟ وما معطياتها؟

أن السفرة الأولى كانت عام ١٩٧١م حينما كان صـدام حـسين (نائباً للرئيس آنذاك) ولكنه كان هو الذي يدير أمور العراق عمليـاً. أن يقوم بعملية جبارة عجز عن تحقيقها العثمانيون. وعبد السلام عـارف. وهي إخلاء النجف الاشرف من الوجود الحوزوي إيرانياً وغير إيراني بل وحتى التجار والأساتذة والحرفيين وغيرهم.

رغم أن صدام حسين كان جريئاً ووقحاً. إلا أنه تحدث مرة خاصة وفي محضر خاص جمعه مع السيد مصطفى جمال الـدين والـدكتور

موسى الموسوي وبحضور مستشاره الخاص لشؤون الحوزة (علي رضا) وهو شيعي كردي فيلي وحسن العامري عضو قيادة.

تحدث إليهم عن إجراء هذه العملية وتسفير شامل للوجود الأجنبي في النجف الأشرف واشتكى بأن هذا الوجود الحوزوي الواسع يضم خلايا تجسسية للشاه وأمريكا ومن الصعب على الأجهزة الأمنية معالجة ذلك وتشخيص هؤلاء وأكدّ على أن لديه المعلومات الكاملة عن ذلك، إلا أن السيد جمال الدين والموسوي أبديا مخالفتهما لذلك وأنه ليس في صالح العراق حالياً. كما عارض هذا الإجراء شبيب المالكي محافظ كربلاء آنذاك. لكن قائممقام النجف الأشرف عبد الرزاق الحبوبي ومدير أمن النجف الأشرف إبراهيم خلف ومدير مخابرات النجف عبد القادر (أبو ضمياء) رجحوّا ذلك وتعهّدوا بإنجاحه.

لكن تركيز محافظ كربلاء شبيب المالكي كان على هذا وهو أنه من الصعب إجراء عملية تسفير شاملة وبوجود مراجع وبالذات المرجع الأعلى الإمام الخوئي.

أخيراً وبعد مداولات سرّية للغاية ولقاءات مع بعض منتسبي الإمام الخوئي تقرّر سراً أن تُنظّم سفرة للإمام إلى لندن بعنوان فحوص طبية وهكذا إعطاء إجازة لأسبوعين للمحافظ شبيب المالكي ليقضيها في سفرةٍ إلى الصين الشعبية. ليكون هذان القُطبان بعيدين عن الساحة.

لقد أعطيت الأوامر لمحافظة كربلاء وقائممقام النجف الأشرف بإخراج كل الإيرانيين وحُدّد لذلك شهر واحد لكن القائممقام عبد الرزاق الحبوبي أراد إثبات وفائه لصدام والحزب فأعلن من خلال مكبرات

الصوت التي كانت تجوب شوارع كربلاء والنجف الأشرف أن على الإيرانيين ترك العراق لمدة أسبوع. وحدثت أزمة مروّعة في تاريخ العراق. وكانت مكافأة صدام للسيد الحبوبي أن رقاه إلى درجة محافظ كربلاء.

هذا وأثناء وجود الإمام الخوئي بلندن تحرك المرحوم السيد عبد الله الشيرازي والسيد محمود الشاهرودي والإمام الخميني وأرسلوا برقيات إلى القيادة وإلى أحمد حسن البكر بالذات، ولكن دون جدوى.

لكن صدام دخل في لُعبة أخرى حيث استثنى من التسفير جميع أسرة آل الخوئي وأقربائهم بقائمة ١٥٠ شخص واستثنى أيضاً نفراً معدوداً للإمام الخميني وهكذا السيد الشاهرودي والسيد الشيرازي.

في هذا الصدد نشرت وسائل الإعلام العالمي ما يجري في العراق واستنكرت جهات في العالم ومن أبرزها المجلس الشيعي الأعلى بلبنان وأبرق الإمام موسى الصدر إلى الأمين العام للأمم المتحدة وإلى جامعة الدول العربية. وإلى مكتب الفاتيكان وغيرهم.

أما صدام حسين فقد كان أذكى من ذلك واستطاع إسكات هذه الحملة الدعائية وذلك بأن أرسل مساعده (علي رضا) إلى لندن ليمثله في عيادة الإمام الخوئي. ثم وجّه للإمام الخوئي سؤالاً كتبياً بخطّه وهذا نصه ونصّ الجواب، وصورة ذلك عندي موجودة في الأرشيف والسؤال هو:

سماحة المرجع الأعلى السيد أبو القاسم الخوئي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

هل رأيتم من حكومة البعث في العراق ما ينــافي الــدين؟؟؟ أو الإنسانية بالنسبة إلى شخصكم الكريم أو إلى الحوزة العلميــة أو إلــى الإيرانيين؟؟؟ فقد ذكر بعض المغرضين أن الحكومة تعــاملهم معاملــةً سيئة. أفتونا مأجورين.

علي رضا في ١٩٧١/١٢/٢٥م

التوقيع

الجواب:

بسمه تعالى شأنه

أني لم أرَ من الحكومة الموقرة إلا خيراً!!! أما بالنسبة إلى الحوزة العلمية والإيرانيين فقد سمعت من بعض الثقات أن الحكومــة تعــاملهم معاملة حسنة والله ولي التوفيق، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الخوئي

٨/ذق/١٣٩١هـ

الختم المبارك

عاد بعدها علي رضا إلى العراق وتولت الإذاعة والتلفزيون إذاعة هذه الرسالة أكثر من عشر مرات وقضت بذلك على الحملــة العالميــة ضد نظام البعث وهُجّر الإيرانيون بشكل مأساوي لا مثيل له.

وبعد انتهاء المهمة أعيد الإمام الخوئي إلى النجف الأشرف وعاد شبيب المالكي وانتهى كل شيء. ولم نعرف إلى الآن من هــم الثقــات الذين يعنيهم الإمام بجوابه هل هم أولاده أم أصهاره أم من حولهم. هذا ما وقع... فمن الرابح ومن الخاسر؟؟؟ حقاً أنها كانت رحلة علاجية من

النوع الممتاز.

أما الرحلة العلاجية الثانية فحـــديثها ذو شـــجون ولا أعتقـــد أن الظروف الحالية تهضم وتتقبل الحديث عنها بصراحة.

لكنني دوّنت عنها فصولاً رهيبة ومروعة كما لدي فصولٌ مشابهة عن الانتفاضة الشعبانية وكثيرٍ من وحداتها وربما تشكل هـــذه الأوراق حجم كتيب خاصّ بالحالتين فقط.

خاطرة حلوة، مرّة

تلك الخاطرة التي تتـــرجم معنـــى الاعتـــزاز بالمبـــادئ والقـــيم والمسؤولية الشرعية.

بطل هذه المخاطرة هو الشاب الـــشهيد الخطيـــب الـــسيد عـــلاء المرعبي.

قبض عليه في الانتفاضة الرجبية في السبعينيات ثم أخلي ســـبيله وآثار التعذيب لم تزل في جسده.

اقترحنا عليه مراراً مغادرة العراق لضمان حياته المهـــدّدة لكـــن اعتزازه بالوطن كان فوق ذلك.

تقدم بطلب تأشيرة السفر إلى الحج فرفضت الـــدائرة منحـــه لأن اسمه في سجل الممنوعين من السفر.

وجدتُ الانكسار بادٍ عليه فتوجهتُ إلى بغداد متوسلاً إلى الدكتور موسى الموسوي أن يكلم صديقه (فاضل البراك) مدير الأمن العام آنذاك وكنت أحمل مذكرة طلب موقعةً من السيد المرعبي إلى مـــدير الأمـــن العام يرتجيه الموافقة على إلغاء منعه السفر لغرض الذهاب إلى الحج.

أعطيتُ هذا الطلب إلى الدكتور الموسوي رحمه الله ووعدني بأن يسلم الطلب إلى هذا المسؤول بعد يومين حيث سيلتقيه.

ما الذي حدث؟؟؟

بعد ثلاثة أيام أتصل موظف من الأمن العـــام بالـــسيد المرعبـــي

وسأله عن اسمه ثم أخبره أن السيد المدير العام ينتظرك صباح الأربعاء ساعة ١٢ ظهراً.

سافر السيد المرعبي حسب الموعد، وبعد إجراءات روتينية أدخلوه على المدير العام ولم يتصور السيد المرعبي أن الذي أمامه هو فاضل البراك ولاحظ على الطاولة أمامه مذكرته التي كتبها.

هنا سأله فاضل البراك:

أنت السيد علاء المرعبي؟

نعم.

هذا الطلب منك وهذا توقيعك؟

نعم.

لمن قدمت الطلب؟

لفاضل البراك.

أنا فاضل البراك، أنت تريد الحج؟

نعم.

لا مانع لدينا، وسنعطيك الجواز خلال يومين بأمر خاص مني ولكن أنا أريد منك حاجتين؟

ما هي؟

أولاً: أن تكون على صلة مع سفارتنا بالسعودية خلال تواجدك في السعودية.

وثانياً: أن تعطي تقارير يومية عن أوضاع الحجاج العراقيين ونشاطاتهم وتحركات البعض منهم.

عفواً، هذا ليس من ثوبي.

المدير العام متوتراً: ما معنى ليس من ثوبك؟

إنني ذاهب للحج أم جاسوس على الناس. وإلا فالجلوس في بيتي خير لي من تعب وإنفاق يذهب هدراً.

المدير العام، وهو في غضب وإنزعاج عجيب: يعني هذا تـصفه بالتجسس، أطلع برّه.

وهنا يخرج السيد علاء المرعبي ويترك الدائرة ويعود إلى بلده.

إن الانزعاج الشديد دفع بفاضل البراك أن يتصل بالدكتور الموسوي ليبلغه تعجبّه الشديد من صلابة السيد المرعبي.

وماذا بعد:

لقد تم إدراج اسم السيد المرعبي في قوائم التصفية ومـا مـرت أشهر حتى اختفى هذا العالم البطل ولم يُعرف له أثر حتى اليوم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

إنه كصديق عزيز لي منذ أيام صباي لا ولن أنساه أبداً كخـاطرةٍ تعلمنا معنى الاستقامة ومعنى احترام المبدأ والتدين، رحمه الله بواسـع رحمته من شهيد صابر محتسب.

لماذا هذه الزوبعة وأين الإنصاف

ما أن صدرت كتبي الأخيرة حتى وكأنّ السماء سقطت على الأرض وكأني جئتُ بشرعةٍ جديدة.

لقد صعق هذا وذاك حينما ذكرتُ بعض الأمور عن المرحوم السيد كاظم اليزدي ولم يشعر أو يدرك هؤلاء أن المرحوم اليزدي أتهمه وتعرّض له أكثر من مرجع وزميل له في الدراسة وأتذكر ما سمعته من أساتذتنا أن عدداً كبيراً منهم مثلاً وما هو على الذاكرة:

١ــ المرحوم العالم الكبير السيد ياسين السعبري، وهو من أكابر المجتهدين.

٢ــ السيد صادق الحسني البغدادي، والد المرجع السيد محمد البغدادي.

٣ــ الشيخ عبد الكريم الجزائري.

٤ــ الشيخ محمد جواد الجزائري.

٥ــ الشيخ محمد رضا الشبيبي في مذكراته وأثبت فيه صلاته بالإنجليز.

٦ــ الشيخ محمد حسين الغروي الكمپاني، صاحب شرح الكفاية.

وقد سمعتُ هذا بالضبط من العالم الكبير الشيخ محمد طاهر الشيخ راضي وهو تلميذ الشيخ الكمپاني وقال أمامي بأنه سمع الشيخ الكمپاني الأصفهاني مراراً يصف السيد اليزدي بالسيد (الدرويش) وكان يستهزأ

به.

أما السيد صالح الحلي خطيب العلماء وعالم الخطباء والذي تزعم نزعة الدفاع عن العشائر والولاية كان يصف السيد اليزدي بيزيد فقــال فــي قصيدة كان مطلعها:

فوالله ما أدري غــداً في جهنمٍ ايزديّها؟؟ أشقى الورى أم يزيدها

هذا في ما مضى وما عشناه فهو أفظع بين المرحوم السيد الحكيم والسيد الحمامي وغيرهم.

أنني أتذكر تماماً حينما أبعد شاه إيران الإمام الخميني إلى النجف الاشرف في بداية الستينيات وبعد وصوله رحمه الله. حرّك الشاه رجاله في الحوزة لتطويق السيد الخميني وتحجيمه من أي تحرك سياســي أو اجتماعي. وفعلاً واجه الإمام الخميني عزلةً عجيبة ودعاية واسعة بأنــه يساري التوجه وتقف ورائه الشيوعية العالميــة حتــى أحجــم الطلبــة والمدرسون والخطباء عن زيارته أو الأئتمام به في الصلاة وكــان أي طالب او مدرس يزور الإمام الخميني أو يسلم عليه في الطريق مهــدّد بقطع راتبه الشهري. لكن حصلت تداعيات كسرت هذا الطوق الظالم.

ولا ينسى الطلبة والأساتذة الموقــف المــشرف للعــالم المقــدس والمتّقي السيد محمد تقي بحر العلوم الذي كان يؤم المصلين في مــسجد الشيخ الأنصاري في منطقة الحويش. حينما قدم المكان للإمام الخمينــي ليؤمّ المصلين. وكانت بادرةً كبيرة منه رحمه الله.

ولا يفوتني أن أذكر أن البعض ممن أشرتُ إليهم امتنع من السلام على السيد بحر العلوم وقاطعوه أشد مقاطعة على خطوته هذه ولمعرفة

المزيد عن تفاصيل ذلك مراجعة كتابنا القادم (خمسون عاماً مع المنبـــر الحسيني) ونعود فنسأل: أليس الإمام الخميني مرجع لامع ومجاهد فلِـــمَ هذا السلوك.

إذن لماذا هذه الزوبعة والضجّة حول ما كتبتـــه وهـــل إنهـــا أول قارورة كُسرت في الإسلام؟؟؟

سِرّي جدّاً

في عام.... توجهت شخصية علمائية من قم المقدسة إلى النجــف الاشرف وضمن لقاءات مع المراجع العظام (أدام الله ظلالهم) وخـــلال لقائه مع آية الله المرجع الأعظم لم يــتم طـــرح أي موضـــوع ســـوى المجاملات العادية.

لكن؟؟؟ عند خروج هذه الشخصية انفرد به الابن؟؟؟ وحمّله عتاباً حاراً وقاسياً للمرجعين الشيخ آية الله العظمى گرامي والــشيخ آيـــة الله العظمى مفتي الشيعة على منحهما شهادة الاجتهاد لعالم نجفي عراقـــي يتصدى للمرجعية في النجف الاشرف وأنهما استعجلا واشتبها ووووو.

أقول: هنا عدة أسئلة:

السؤال الأول: لماذا لم يطرح المرجع ذاته هــذا العتـــاب ســـيّما والشخصية الزائرة صديق قديم له؟

السؤال الثاني: من خوَّل هذا الولد التدّخل في هذه الأمور ومتـــى صارت شهادات الاجتهاد حكراً على موافقة المرجع ذاته حتـــى يـــأتي بعدها الولد فيتطفل بكل فضولية ويعترض على مرجعين .

يا رباه يا سيداه حتى متى يبقى دينك وعبادك سلعة رابحة لهؤلاء المتصيّدين تحت قُبّة قداسة المرجع والمرجعية.

رحم الله عبود غفلة الشاعر الشعبي إذ يقول:

ألف وسفة عليك يالـــدين الحبيـــب   صرت بين احيايلة يا والنصيب
بحجتك صاحوا چفن ميت غريب   وفارغ التابوت بس من الحيل

خديعة طائفية

أحد العلماء توجه من النجف الاشرف إلى بغداد لمراجعة طبيـــب ويحمل بيده ورقة فيها عنوان ذلك الطبيب. إلا أن هذا العالم الجليل لـــم يكن يعرف عن بغداد ومناطقها فجاء بطريق الاشتباه إلى منطقة أخرى. واستقل سيارة تاكسي لكن سائقها كان من الطائفيين الحاقدين فأوصـــل هذا العالم إلى بيت مومسة مشهورة بالدعارة ومفضوحة.

لقد تركه السائق وولى ووقف هذا العالم يطرق باب هذه المومس التي كانت تشرف من النافذة العليا وهي مدهوشة لوقوف هذا العالم على بابها. ونزلت بعدها وفتحت الباب وسلمت على العالم وسألته: من جـــاء يه إلى هنا؟ وعلمت وفهمت المكيدة.

سبحان الله وكما قيل رب ضارةٍ نافعة، لقد صار هـــذا ســـبباً أن يتحرك عندها الحسّ الديني والغيرة على رموز دينها. وحـــدث عنـــدها تبدّل كبير. واعتذرت إلى هذا العالم وتابت على يده وصارت من النساء الصالحات العاملات في شؤون الخير.

رجاء من أهل العلم والمعرفة

إن مما يثير عندي الحساسية بشكل غريب هـو تفاعـل المـزاج والهوى السياسي مع الفتاوى والاجتهادات والمعتقدات.

إنني التقي بعض السادة والمشايخ فيعاتبونني على ما كتبت وحينما أتساءل منهم عن صحة ذلك فيقرّون به. لكنهم في لعبة فنية أو(النفـاق الديني) يناورون في توجيه العمل. وان المرجع الفلاني يقصد غير هذا الظاهر ولعله... ولعله... ولعله... وهكذا دواليك.

فمثلاً حينما ابتكر الإمام الخميني رضوان الله عليه أسبوع الوحدة في إيران وفي العالم الإسلامي فضجّ المخالفون له من الحوزويين فـي النجف الأشرف وإيران بأنه يريد طمس التشيع، لكن نفس الحالة جاءت من الإمام الخوئي في كلمته التي ألقيت في مهرجان الغدير بلندن حينما دعا إلى الوحدة الإسلامية ونبذ الفرقة واستشهد بكلام الإمام علي عليـه السلام .لأُسْلمنَّ ما سلمت أمور المسلمين عامة ولم يكن الأعلى جـور خاصة. كان بعض أولئك حاضرين لكنهم اخرسوا ولم يتهمـوا الإمـام الخوئي بطمس التشيع إذن لماذا المكيال بنوعين؟ كما أن بطانة الإمـام الخوئي أحدثت ضجة كبرى حينما وصف الإعلام الإيراني والعـالمي السيد الخميني بالإمام فراحوا يسخرون ويعلقـون بـأن أئمـة الـشيعة أصبحوا ١٣ ولكن المضحك أنهم بعد فترة بدءوا يكتبون هـذه الـصفة للإمام الخوئي على مؤلفاته ويصفونه بالإمام وقديماً قيل: (رمتني بدائها

وانسلت).

الغريب هو أنني أخاطب هؤلاء فأقول لهم: لما كنتم توجهون الأعمال حسب مذاقاتكم وتحسّنون القبيح متى رغبتم وتقبّحون الحسن متى ما شئتم. فلماذا لا تستخدموا الأعذار والتوجيه لموقف عمر بن الخطاب وأصحاب السقيفة من أهل البيت, ولماذا لا تستثمروا الأعذار لمعاوية وسياسته تجاه الإمام علي عليه السلام وتخلصون العالم الإسلامي من التمزق وإراقة الدماء!!!

إن الفقه والاجتهاد يجب أن يُستعملا باستقلال لا بالمزاج, ولكن ما هو على الأرض هو هكذا: حرام على الناس حلال لكم، قبيح من الناس حسنٌ منكم. وبالتالي انتم تعيّنون هذا حلواً وهذا مُـرّاً فأين الله وأين التقوى.

وبصراحة كلها خطوط، وتيارات, ومصالح, ومنافع, والدين لعق على ألسنتكم.

الحاكم بالغدر

طارت البنت فرحاً لما أعلنته وسائل الإعلام العراقيــة عــام ١٩٧٣م بــأن مكاتب البريد تستقبل الرسائل التي يبعثها المواطنون إلى (السيد النائب) وأنه سيطلع عليها بنفسه ويتخذ الأجراء العاجل إزائها.

استعجلت هذه البنت والتي تعمل خبيرةً في وزارة الصناعة وتكابد وتعــاني فراق أبيها لسنوات عديدة حيث يقيم أبوها في الإمارات لاجئاً هنــاك وهــو ضابط متقاعد برتبة لواء ركن. ومطلوبٌ لأجهزة صدام حسين. لكــن هــذا الأب تجاوز من العمر الرابعة والسبعين وتدهورت صــحته بــسبب جلطــة دماغية ويعيش لوحده حيث ماتت زوجته قبل سنتين وليس عنده من الذريــة إلا هذه البنت التي تُقّطع الليالي بالآلام والحسرات شوقاً للقاء أبيها قبــل أن يختطفه الأجل.

راحت البنت إلى مكتب البريد ويغطيها الأمل والفرح وبيدها رسالة موجهــة (للسيد النائب) وتذكر فيها معاناة أبيها المُسن ووحدته وغربته وأنهــا ابنتــه الوحيدة وتأمل أن تُسعد بخدمته والعيش معه في أيامــه الأخيــرة وســلمت الرسالة إلى موظف البريد الذي دوّن عنوانها في السكن وفي العمل....

مرت ثمانية أيام وهي تُمّني أباها هاتفيّاً بقُرب انفراج محنته ومحنتها.

في الساعة العاشرة صباحاً رّن جرس الهاتف وخاطبها موظف مــن مكتــب النائب بعد أن تأكد أنها هي صاحبة الرسالة. وأعلمهــا أن (الــسيد النائــب) ينتظر لقاءها غداً الساعة ١ ظهراً في مكتبه بالمجلس الوطني وإن اسمها قد أُعطي لمفارز الأمن لتسهيل وصولها.

هرعت إلى المكان حسب الموعد وهي محلّقة فـي جـوّ الأمـاني والأمـل ووصلت لتشاهد طابوراً من أمثالها ممن كتبوا رسائل وتم إحضارهم.

نُودي باسمها الساعة الثانية بعد الظهر ودخلت لتشاهد (السيد النائب) جـالس ويتصفح رسالتها وقد وُضع حاجزٌ حديدي بارتفاع متر أمامه فرحـب بهـا قائلاً: يا بنتي من طرد أباك من بلده؟ ومن دفعه إلى أن يعيش هناك لوحده؟ إنما هو اختار ذلك. فأجهشت بالبكاء وهي تقول: عموا منذ سبع سنوات مـا شاهدتُ أبي ولم يشاهدني وأنا ابنته الوحيدة فقط وأمي ماتت. فعلّق (الـسيد النائب) مبتسماً: إذا كان هو اختار ذلك فما ذنبنا نحن. وهنا أخـرج ظرفـاً وقال: يا بنتي هذه ألف دينار لربما تحتاجين لترتيب أموركِ. وليرجع أبـوك فالبلد بلده وأهلاً وسهلاً به. وكلنا مواطنون. ثم ختم حديثه بارك الله بكِ سلمي لي على الوالد وأهلاً به وبكِ.

خرجت البنت لا تبصر طريقها من شدة فرحتها. وعند المساء اتصلت بأبيها لتبلغه بما حصل فكاد يسقط أرضاً لفرحته.

بعد يومين أبلغها بالهاتف أنه حجز على الطائرة العراقية القادمة من أبو ظبي يوم السبت رحلة رقم ٠٥٥ وسيصل إلى مطار بغداد الساعة الثالثة عـصراً وتقدمت البنت لإجازة من الدائرة لأسبوع لتكون في خدمة أبيها.

حضرت إلى مطار بغداد وعيونها تحدّق في الـسماء تـارة وفـي الأرض أخرى، وأخيراً هبطت الطائرة. ومرّت ساعة فلا خبـر مـن أبيهـا بـين المسافرين. إلا أنها شاهدته من وراء الزجاج وهو يتكئ على عـصاً بيـده ويومئ إليها مسلماً والسرور يعلو وجهه.

بعد لحظات اختفى والدها وهدأت قاعة القادمين فـلا يوجـد إلا الموظفـون ورجال الأمن وهكذا حتى الساعة السادسة وهي تولول وتبكي بحثاً عن أبيها. ثم فوجئت بضابط أمن يسألها عن سبب وقوفهـا وأن المـسافرين غـادروا

جميعاً. ولما سألته عن أبيها قال (مو مشكلة) أنه تحقيق وهو سيصلك للبيـــت ولا يسمح لك بالبقاء هنا.

غادرت المطار محبطةً ومنكسرة وتمر الليلة تلوا الليلة وهكذا الـــشهر بعــد الشهر وانقطعت الأخبار وهكذا سنوات ولا تجرأ أن تسأل أحداً وبالتالي سقط النظام وراحت تبحث عنه في المقابر الجماعية.

إنها طبيعة هذا الحاكم الغدار.

رسالة خطيرة

إن هذه الرسالة من أخطر الرسائل التي ستبقى جزءً من تاريخ العراق الحزين وستكون مثار سؤالٍ من الجيل الحاضر والأجيال القادمة.

والرسالة هي مرسلة من ــ واشنطن ــ البيت الأبيض ــ المكتب البيضاوي للرئيس الأمريكي جورج بوش الابن.

ومعزّزةً بتوقيع (طوني بلير) رئيس الوزراء البريطاني.

إلى وكلاء الله تعالى في الأرض الآيات العظام .... في النجف، العراق، وإلى طواقم أجهزتهم المحترمين.

محتوى الرسالة:

أن قيادة الائتلاف الدولي الذي تقوده الولايات المتحدة لتحرير العراق (عام ٢٠٠٣م) والمتمثلة بقيادة رئيس الولايات المتحدة ورئيس الوزراء البريطاني تتقدم إليكم بخالص الشكر والامتنان.

نحن لن ننسى لكم هذا الجميل الكبير بصمتكم وسكوتكم الذي سهّل لنا مهمة غزونا العراق والاستيلاء على معادن الزئبق في منطقة النهروان والمعادن الأخرى. إضافة إلى تدمير البنية التحتية للعراق.

رغم أن عناصر من جيوشنا قامت بأعمال غير مرغوب فيها من قبيل قتل المدنيين وما جرى في سجن أبو غريب وما اقترن معه اعتداءات على الحرمات والكرامات وهدر الدماء وسلب خزائن البنك المركزي والبنوك الأخرى وما قام به بريمر من الاستيلاء على ٢٢ ملياراً من خزينة الشعب العراقي.

إننا نؤكد ونكرر شكرنا اللا محدود لكم على سكوتكم وصمتكم وعــدم التعرض لمشروعنا الطموح في احتلال العراق وغزوه.

ولا يفوتنا تقديم الشكر للأخوة والكوادر والشخصيات التي سهلت لنــا ضمان سكوتكم والاتصال بكم مباشرةً أو غير مباشرة في لنــدن وبيــروت وواشنطن وبغداد وجدّة.

إننا لا ننسى حالة الارتياح التي انتابتنا حينما أبلغ الزميل (زلماي خليل زاد) وزير الخارجية (كولن پاول) بأنه التقى ابن .... و... ومستشار آية الله .... وأن لا مشكلة ولن يتكرر الموقف لقيادة علماء الشيعة أبان ثورة العشرين مرة أخرى والظروف تختلف تماماً وأهلاً وسهلاً بكم.

كما نقدر موقفكم الرائع تجاه عقوباتنا المفروضة على إيران بتمــنعكم عن توجيه نداء إلى الشيعة في العالم بمقاطعة بضائعنا وهذا موقــفٌ جميــلٌ نشكره أيضاً لكم.

شكراً على تعاونكم

بالوكالة عن (العم سام)
جورج دبليوبوش

بالوكالة عن (أبو ناجي)
طوني پلير

مومن المنتدى

على قاعدة علمّوا أبنائكم غير علومكم فإنهم خُلقوا لزمان غير زمانكم قاد المرحوم الشيخ محمد رضا المظفر في الستينيات من القرن الماضي فريقاً من الخطباء والعلماء والتجار وهم من أعضاء جمعية (منتدى النشر) مثل الشيخ محمد شريعت والشيخ مسلم الجابري والشيخ عبد المهدي مطر والشيخ علي قسام والشيخ أحمد الوائلي وغيرهم، وذلك لتغيير لهجة الخطاب الديني وأسسوا لجنة الوعاظ والمبلغين لتنقيح المضامين وطريقة الأداء وكذلك أقاموا معهداً يتدرب به الذين يودون الانتماء للخطابة وكانت في المعهد رحلات لجلوس الطلاب فقامت قيامة الحوزويين الكلاسيكيين أو الرجعيين ووصفوا الجلوس على الكراسي بالبدعة. وهاجموا هذا الفريق بأنهم يتجاوزون القيم المتبعة قديماً ويريدون الانحراف بالشعائر والقضاء عليها. مما اضطر المرحوم الشيخ محمد رضا المظفر أن يعاني قسوة اتهامات جارحة وشوهد بعض المساكين من العوام يلعنون هذا الفريق وكان بعض المكاريّة يضرب حماره ويقول (ديخ چنك مومن المنتده) هكذا تم استخدام السوَقَة والسفهاء والسذج لإفشال هذا المشروع.

وذكر لي والدي أن الشيخ محمد رضا المظفر لما كان يتجه من جمعية المنتدى إلى بيته كان يلازمه بالمشي الخطيب الشيخ مسلم الجابري لحمايته من أي اعتداء ربما يقوم به هؤلاء الرعاع.

وأصرّح هنا بكل شفافية أن رعيلاً من الحكيميين كانوا وراء هذه الهجمة. وبقي المرحوم المظفر صابراً صامداً يتحمل ذلك بكل صبر وحزم.

أقول:

ما أشبه الليلة بالبارحة. وما يعانيه اليوم المجتمع العراقي بل كل الشيعة في العالم من انتشار السفاسف والخرافات التي تعرضها بعض الفضائيات المحسوبة على التشيع هي من آثار تلك الأوضاع. ولو قدر لهذا الفريق أن ينجح في تهذيب المنبر والخطيب والداعية لكان وضع الشيعة اليوم غير هذا الوضع الذي نعيشه.

مدعاة للأسف

حضرتُ مهرجاناً على قاعة كلية الفقه في النجف الاشرف صباح يوم الخميس ٢٠١٣/٤/٤ وذلك تكريماً لِعلَمٍ من أعلام النجف الأشرف وهو الشيخ محمد حسين المظفر المتوفى قبل أكثر من ٦٠ عاماً وهو من بُنـــاة الحـــوزة العلمية ومن رجالاتها الذين أثروا المكتبة الإسلامية بسيل من البحوث والكتب التي تجاوزت الثلاثين. وتخرّج على يده المئات من العلماء والأدباء والكتّاب.

ما دعاني للأسف والحزن أني لاحظت الحضور فكان منحصراً علـــى الأكاديميين والمثقفين فقط أما الطرف الوحيد المتغيب فهم رجـــال الحـــوزة وأساتيذها. وأحصيتُ العمائم التي كانت حاضرة فلم تتعدى العشرة. فهل هذا هو الوفاء لأمثال هذه العظام.

لقد اهتز تفكيري في هذا التجمع وأنا أتصوّر بأن لو كان هذا المهرجان أقيم لِقِطّةٍ ترتبط بمكاتب أحد المراجع. أو لديكٍ يؤذن على سطح مرجع لكان تواجد الأفاضل والأساتيذ والطلبة ومنتسبي المرجعيات طوابير لتقديم التعازي والاستماع إلى القصائد والكلمات.

إن هذه الحالات تعكس عندي مستوى التدّني والتسافل في القيم وكيف يُهمل مستحقّوا التمجيد وبالمقابل كيف تُرفع الجيف والدُّمى إلى عنان السماء وقديماً قيل:

تموت الأسد في الغابات جوعاً   ولحم الضأن يعطى للكلاب
وذو جهل ينام علـــى ســـرير   وذو علم ينام علـــى تـــراب

أليس هذا هو عالم المقاييس في زماننا هذا فاين الحضارة وأين القيم وأين تكريم العلم والعلماء وهذا طبعاً ليس في جوّ التجار أو السياسيين أو الحرفيين بل إنما هو في أجواء حوزوية روحانية تهدف إلى بناء الباطن وتهذيب النفس وكما قال الشاعر:

ونراك تصلحُ بالرشاد عقولنا   أبداً وأنت من الرشاد عديم

وأقول من جديد يا للأسف وكل الأسف.

كيف كان يعيش طالب العلم في النجف الاشرف

في الأربعينيات كان طالب العلم المعيل يتقاضى راتباً شهرياً قدره دينار واحد أما الأعزب فراتبه نصف دينار. ويضاف إلى ذلك الخبز الذي يستلمه الطالب من الخباز بواسطة عودة مستطيلة تُسمى (چوخه) ثم تبدلت إلى أوراق فيها أختام الخبازين. وكان طالب العلم يستلم من الخبز لكل نفر رغيفين يومياً. وعند بداية كل شهر يذهب الخبازون إلى الحاج حسن خلخالي والد الشيخ نصر الله الخلخالي فيستوفون منه مستحقاتهم حيث كان هذا الرجل هو الوكيل الذي تصله الحوالات من إيران للإنفاق على الطلبة أو إعطاء الحقوق للمراجع.

بعد وفاة المرحوم السيد أبو الحسن الأصفهاني حدث إرباك في نفقات الخبازين. لأن السيد أبو الحسن توفي وهو مقروض ثلاثة آلاف دينار للحاج حسن خلخالي والحاج محمد حسين إخوان (تاجر تُحفيات في سوق الكبير) ورغم أن السيد محسن الحكيم تصدى للمرجعية في العراق لكنه لم يتمكن مالياً من تسديد رواتب الطلبة ونفقات الخبز فتّحمل ذلك المرحوم المرجع البروجردي في قم وكان وكيله في النجف الأشرف الشيخ نصر الله الخلخالي وبعد وفاة السيد البروجردي تحمل مسؤولية ذلك السيد الحكيم حيث انبسطت مرجعيته بشكل كامل.

ولا يفوتني أن أوضح بأن دخول الإمام الخميني للنجف الأشرف عام ١٩٦٤م كان عاماً له بركات كبيرة ومن أهمها تحسّن وضع الطلبة المعاشي حيث بدأ يوزّع على الحوزة رواتب عالية. مما دفع الآخرين إلى تطوير

رواتبهم وكانت هذه مكرمةٌ له لا تُنسى.

كما كان المرحوم السيد محمود الشاهرودي يقسّم أحياناً على الطلبة في المناسبات وفي كل ثلاث أشهر.

في عام ١٩٧٠م توفى السيد الحكيم رحمه الله وقد مات مقروضاً إلى عدد من التجار ما يوازي أربعة عشر ألف دينار. وأصبح الطلبة يتقاضون الراتب من ثلاثة أطراف وبتحسّنٍ طفيف كراتب الإمام الخوئي والسيد عبد الهادي الشيرازي والسيد محمود الشاهرودي ثم توفى المرحوم السيد عبد الهادي الشيرازي وهو أيضاً مات مقروضاً. أما السيد الشاهرودي فقد مات مقروضاً أربعة آلاف دينار.

لكن الأمور قفزت قفزةً كبرى حينما أنفرد الإمام الخوئي بالمرجعية عام ١٩٧١م وانحصرت به الأخماس عالمياً؛ بسبب تحسّن الوضع الاقتصادي العالمي وتصاعد سعر النفط من ١١ دولار إلى ٤٠ دولار للبرميل الواحد فشهد الوضع المرجعي تدفقاً لمبالغ تفوق الخيال وأنا أذكر منها ما هو على ذهني لا حصريّاً:

١ــ ثلث المرحوم أحمد أبل فكان ٨٣ مليون دولار.

٢ــ ثلث الثري اللبناني علي الجمال فكان ١٩٣ مليون دولار.

٣ــ أخماس تاجر معروف في دبي كانت ١٩٥ مليون درهم سنوياً.

٤ــ أخماس رجل أعمال عُماني كانت ٣٦ مليون دولار سنوياً.

٥ــ أخماس تاجر من الخوجه الهنود في مدغشقر فكانت ٤٧ مليون دولار.

وهناك صفقات كبيرة لم نعرف عنها. حيث مدخول المرجعية المالي يتم التكتم عليه بشدة واستطيع القول بأن المرجع الوحيد في تاريخ التشيع الذي كان محظوظاً في عالم الأخماس هو الإمام الخوئي رحمه الله، ثم خليفته

الأول حيث تضاعفت الموارد بشكل أكبر.

وأؤكد على أني تركت العراق في أوائل عام ١٩٨٠م وكانت مرجعيته تدار من قبل الرعيل الأول من أولاده وهم من زوجته الأولى. حيث من أواخر السبعينيات انتهى دورهم وهيمن على مرجعيته أولاده المراهقون من زوجته الثانية ولم تكن المبالغ في الثمانينيات بأقل بل بالعكس كانت أضعاف ذلك. وبسبب الحرب العراقية الإيرانية ووضع العراق الغير مستقر كانت هذه الإيرادات تُرسل إلى البنوك البريطانية والسويسرية حيث تستودع هناك. ومن يريد المزيد من هذه المعلومات يرجع إلى كتابنا (رسائل ومسائل) و(ستون سؤالاً بين قوسين) وكتبنا الأخرى وقد كتبت وذكرتُ على المنابر مراراً وتكراراً بأن إيرادات الحقوق الشرعية للمرجعيات تعادل ميزانية دولة بأكملها. لكن الأمور مُعَّتم عليها وهي جزءٌ من الأسرار الخطيرة والبحث فيها محاط بخطٍ أحمر.

فأفهم؟؟؟

سلوك غريب

رحم الله هذا الشاعر إذ قال:

إلا أنّ ديناً قد أردتُ صلاحه أحاذر أن تقضي عليه العمائم

لقد كنت في سفرتي الأخيرة عند باب مسجد الكوفة أتحدث مع ثلاثة شبان أحاطوا بي ففوجئنا بشاب معمم بعمامة ضخمة وبلحية علمائية بهيّة أخترقنا دون أن يُسّلم. فهو لم يأخذ بقاعدة الفرد يسلم على الجماعة والماشي يسلم على الواقف. كما لم يحترم شيبتي على الأقل وعمامتي وإن كانت أصغر من عمامته بكثير، وعندما أخذتني الدهشة قال لي هؤلاء الشباب بأن الأعجب يا سيدنا أنّه على التوّ فرغ من ألقاء محاضرة في المسجد وعنوانها محاضرة في الأخلاق. عجيب وغريب!!!

يا أيها الرجل المعلمُ غيره هلاّ لنفسك كان ذا التعليمُ

تصفُ الدواء لذي السقام وذي الضنا كيما تصحُّ به وأنت سقيم

وكم كنت حزيناً لهذه المظاهر الخطيرة في العراق وكأنّ المعمم يعيش هذه العقلية أن الناس يجب أن تسلم عليه لا هو يسلم عليهم. في حين أن سيرة أهل البيت عليهم السلام تقول أن النبي صلى الله عليه وآله لم يكن أحد يسبقه بالسلام.

إنني أدعو أخوتي وأبنائي المعمّمين إلى أن يذوبوا مع الناس وأن يندمجوا مع طبقات المستضعفين ويستشعروا آلامهم وآمالهم. وكم تستوقفني حالةٌ للإمام علي عليه السلام حينما اعترضه رجلٌ وهو على راحلته فسأله سؤالاً فلم يجبه الإمام بل قال له: تَمهّل يا أخا العرب حتى أتَرَجل إليك. ولم يرغب الإمام أن يكلمَّه وهو راكب والأعرابي راجل. حقاً أنه السلوك المثالي للخُلق الإلهي فأين نحن عن هذا.

حديث عن حفلات الزواج

في عصر وقوع المجاعات وويلات الحروب والدمار ومعاناة الشعوب المقهورة الفقيرة. نواجه في جانب آخر طبقة تعيش بذخاً وإسرافاً من نوع يفوق الخيال ولله در الشاعر إذ قال:

يطغى النعيم بجانبٍ وبجانب	يطغى الشقا فمرّفةٌ ومُضيع
في القصر أغنيةُ على شفة الهوى	والكوخ دمعٌ في المحاجر يُهرع
ومن الطوى جنب البيادر صرع	وبجنب زّق أبي نؤاسٍ صرع
ويُصان ذاك لأنه من معشرٍ	ويضام ذاك لأنه لا يركع

فقد شاهدنا حفلات زواج قامت على البذخ والبهرجة باهراق الأموال سواء كانت من نفط الشعوب أم من الأخماس الشرعية التي هي للبؤساء والضعفاء.

شاهدتُ حفلة زواج في أبو ظبي بتاريخ ١٩٨١/٤/١٢م وكنت آنذاك في دبي وهي أضخم حفلة زواج وبلغت الكلفة المالية لهذا الزواج ٣٥ مليون دولار.

وكان الزوج وهو محمد بن زايد آل نهيان حاكم أبو ظبي آنذاك والزوجة هي ابنة مساعد رئيس الوزراء آنذاك.

فقد اتجه وفد ومعه عشرون ناقة (على الطريقة البدوية) وكانت النياق محمّلة بالسبائك الذهبية والحلل المطعمة بالألماس والزمرد بقيمة تقدّر بخمسة ملايين دولار إلى قصر السلامة وهو قصر العريس محمد بن زايد.

لقد أقيم الاحتفال بحضور أكثر من عشرين ألف مدعو ومن ضمنهم ٣٠٠ مغنيّة ومُغنيّ و٥٠ فرقة من فرق الرقص وظهر أقرباء العريسين

يرقصون بالسيوف المرصّعة على الأسلوب البدوي.

كما أهدى الشيخ زايد لإحدى الراقصات المتميزات سيارة مرسيدس حيث أنها غنت أغنية الزفاف.

أما والد العروس فقد أهدى إلى ابنته مجمعاً سكنياً في مدريد عاصمة أسبانيا ويتكّون المجمع من قصورٍ منيفة وفندق وصالة سينما.

وهكذا عشية الحفلة أُطلقت في ميادين أبو ظبي الألعاب النارية المضيئة وكانت مستوردة من هولندا وكانت ما يقارب المليوني اطلاقة بأضواء مختلفة وكانت تُطلق معها زغاريد البلابل.

وذكرت الصحف حينها أن كلفة هذا الزواج كانت ٣٥ مليون دولار.

أقول:

لقد شاهدت حفل زواجٍ آخر وبعد فترة قصيرة وكنت مدعوّاً فيه وهو زواجٌ من نوع خاص حيث جسّد حالة جديدة من التلاقح بين مرجعيتين نجفيتين بين المرجع الأعلى آنذاك وبين خليفته الأول الذي خلفه على عرش المرجعية.

كان هذا الحفل في قم المقدسة وحضر والد الزوج من أصفهان.

أما ما قُدّم للحضار وهم متوافدون من لندن ومشهد وطهران من فواكه وحلويات وموطة (آيس كريم) فقد تزاحمت على أعدادها أربع محافظات. فالآيس كريم (الموطة) جلبت بسيارات مبرّدة من طهران وهي من البوضة النادرة والتي ربما لم يذقها ملايين البشر في إيران وذلك لقيمتها الباهضة الثمن وجلبت الفواكه من النوع الفاخر من مدينة كرج. أما الگز (مَنّ السما) الفاخر فقد جُلب من أصفهان. وهكذا أنواع الحلويات الأخرى من مدينة يزد. لقد قام والد العريس آية الله ..... حين إدخال ولده على العروس وسط النساء المدعوات بنشر مسكوكات الذهب على رأسي العريسين وكان عرساً

مشهوداً.

أما أنا فقد كنت أقدم التهاني سِّراً للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه لما كان يُنفق من أمواله في هذا الحفل التاريخي. وطبعاً جـرى هـذا كلـه والحرب مشتعلة بين إيران والعراق. وكل يوم تطالعنا قوافل جنائز الشهداء ولا تجد بيتاً لا تسمع فيه إلا ناعية أو ثاكلة أو أرملة تندب زوجها.

لقد وقفتُ في هذا الحفل وأنا أشعر بأن هؤلاء وكأنهم يعيـشون فـي جزيرة منفصلة عن هذا الكوكب وغارقون في عالمهم الخاص. عالم الملذات والتفاخر والبذخ وبأموال من؟؟؟

فإذا كان زواج محمد بن زايد من أموال النفط الذي هو قوت الـشعب فهذا الزواج من أموال من؟؟؟

وطبعاً هناك في أجواء هذه العوائل حفلات صـاخبة مماثلـة أيـضاً أذكرها لاحقاً كما سبق أن كتبت عن زواج من هذا القبيل في كتابنا (رسائل ومسائل) في صفحة ١٨ فيرجى الرجوع إليه.

ما أتذكره من طريف الصدفة في هذه الحفلة هو:

أن والد العريس ضاعت إحدى نعليه فتزاحم سبعة نفر من حـوارييّ والد العروس (اللگامة) تزاحموا يبحثون بين الأحذية عـن (مـداس الـسيد) وخرجتُ ولم أعرف مصير هذا (المداس المحظوظ).

وكما قيل ولله في خلقه شؤون وشجون.

ملاحظة مهمة:

لا يحق لأحد الاحتجاج عليّ بحجة نشر أمـور خاصـة. فـإن هـذه الحفلات لم تجر بشكل سرّي وإنما كانت علنية وحضرها الخاص والعام لذلك فهي ليست من الأمور الخاصة وشكراً.

سرعةُ البديهة والاستحضار

يقول صديقي الراحل العالم الجليل السيد صالح الخرسان يقول اشتريت هدية وهي عبارة عن صندوق فضي إلى صديقي المحامي السيد يوسف الخرسان مكافئةً لجميله وعرفانه.

بعد أن اشتريت هذا الصندوق وددتُ أن أكتب عليه كلمةً أو أبياتاً لتضيف إليه روعةً ومعنىً. وبطريق الصدفة تواجهت في الطريق مع الشاعر العَلَم الشيخ محمد حسين الصغير وسألني عن الصندوق فشرحتُ له الأمر ورغبتي في تجميله ببيت من الشعر فسألني على الفور: ما اسم المُهدى إليه؟ فقلت له: اسمه السيد يوسف. فارتجل على الفور ببيتين وهما:

هذي الهديّة وهي رمز أخّوة ... شرفٌ ومثلك بالمعالي يُعرف

فلئن وفيت لنا فإنك يوسفٌ ... ووفى لأخوته قديماً يوسفُ

وهي إشارة إلى النبي يوسف الصديق عليه السلام ووفائه.

مانحوا الأخماس

هذا سؤال أجبتُ عليه أكثر من مرّة وللتعرف على ذلك أكثر مراجعة كتبنا السابقة لهذا الكتاب وهي:

١ـ رسائل ومسائل.

٢ـ ستون سؤالاً بين قوسين.

٣ـ جولة في دهاليز مظلمة.

٤ـ محنة الهروب من الواقع.

وإجمالاً أذكر ما لاحظته في حياتي التي قضيتها وسط المرجعيات وطبعاً بالتخمين لا بالحصر لافتقارنا للمعلومات الدقيقة التي تساعدنا على ذلك. هو أن المانحين بهذا التسلسل:

١ـ الخوجه: وهم شيعة اثنا عشرية وأصالتهم من الهند ويتوزعون في مختلف القارات ويتواجد تجارهم في تانزانيا ومدغشقر وجزيرة موريسش وجرز القمر وجنوب أفريقيا وكينيا ونيجيريا وساحل العاج وهكذا يتواجدون في أمريكا وكندا وتحضى لندن بعدد كبير منهم. وهؤلاء عمليون جداً في أداء الأخماس. ولم يزالوا في هذا تقليديين معصوبي العيون ومعزولين عن الوجه الآخر لهذه الأمور. ولا يعرفون من الأمور إلا الظاهر.

إن هؤلاء يمولون مرجعية النجف الأشرف بما يقارب المليار دولار سنوياً لأن تقليدهم يتوجه إلى المرجعية البعيدة عن الصراعات

السياسية.

٢ــ عرب المهجر ويتكونون من لبنانيين يقيمــون فــي أمريكــا اللاتينية والولايات المتحدة وأفريقيا وغيرها وهم من المانحين الممتازين جدّاً وبعضهم يمتلك بنوكاً أهلية ومصانع ضخمة.

٣ــ الشيعة المتواجدون في دول الخليج وتقدر بعض الإحصائيات بأن مدخول المرجعية في النجف الأشرف من هؤلاء لا يقل عن مليــار دولار سنوياً.

٤ــ يأتي أثرياء الهند وباكستان وسنغافورا وغيرهم.

وهنا أشير إلى ملاحظتين:

١ــ هناك بين من ذكرتهم ومن الشبان من يقلدون الإمام الخامنئي ولكن بتخفي ولكنهم ليسوا أثرياء بتلك الصورة.

٢ــ أن أموال هؤلاء الذين مرّ الحديث عنهم لا تصل إلى العراق لأن مراجع النجف الأشرف لديهم الاكتفاء الذاتي من أخماس العراقيين والتي هي أيضاً مبالغ عالية. يضاف إليها ما يــصلهم مــن العمــلات الصعبة من الزوار المتوافدين على العتبات مما يوفّر لهم أكداساً كبيــرة من الأموال.

بل تذهب هذه الأموال إلى البنوك الأجنبية وهي بأسماء أما الأولاد أو الأصهار أو تودع عند تجار في دول الخليج ثم يــسافر الأبنــاء أو الأصهار إلى هناك لاستلامها.

إنني أتذكر تماماً في عام ١٩٨٧م حينما أرسل الــسيد إســماعيل بهبهاني رسالة إلى الإمام الخوئي عن طريق مسافر سعودي وجاء فيها

بأنه يطلب من الإمام أن يعين له ماذا يصنع بمبلـــغ مليـــون وســـتمائة وخمسين ألف دينار كويتي مودعة لديه وتساوي أكثر من ستة ملايـــين دولار تقريباً.

وهكذا أخبرني المرحوم الحاج حيدر سليمان أنه بعد وفاة الإمـــام الخوئي بسنتين أرسل كل ما لديه من الأخماس من مقلديه إلى ولده بلندن ولما سألته عن حجمها فأجاب بأنها ستمائة وثمانين مليون ريال قطري وهنا سألته ألست تعرف أنها أخماس وها قد توفي الإمام الخـــوئي فلـــمَ أرسلتها لولده المراهق وهي تخصُّ طبقات معدودة من الطائفـــة فكـــان جوابه بأني غير ملزم وأردتُ التخلّص منها.

وهكذا توفي المرحوم لطفي وكيل الإمام الخوئي بطهـــران وفـــي أرصدته المليارات من التومانات من الأخماس وهكذا دواليك.

إنني أعود إلى كلمتي التي أرددها منذ أكثر من ثلاثين عاماً بـــأن هذه الأخماس لو توزع بإنصاف وحسب الآية الشريفة: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ...﴾ فلن يبقى شيعي فقيراً بل يتحول الشيعة كلهم إلى أغنياء. ولكن ما نصنع، فمعظم هذه الأموال بـــل ٧٠٪ منهـــا يـــذهب بالجيوب الخاصة وبالمحسوبيات. وعلى من تقرأ زبورك يا داوود.

هكذا جوابي

تراكمت عليّ أسئلةٌ عديدة، وفيها هذا السؤال وهو حساسٌ، وهو:

لقد ورد في خطبة الزهراء عليها السلام أنها بعد عودتها إلى البيت خاطبت الإمام علي عليه السلام بهذا الشكل: يا ابن أبي طالب اشتملت مشيمة الجنين؟؟؟ وقعدت حجرة الظنين... إلى قولها أضرعتَ خدك يوم أضعتَ حدّك وغير ذلك والأسئلة هي:

هل أن الزهراء نسّقت مع الإمام علي عليه السلام واستجازت منه عند خروجها للخطبة، حيث هو الإمام والحاكم شرعاً إضافةً إلى أنه زوجها، ثم جواب الإمام عليه السلام لها نهنهي عن وجدك... إلى آخر دفاعه مما يكشف عن عدم تنسيق بينهما. فكيف تتصرّف الزهراء عليها السلام لوحدها في مغامرة لا يُعرف عقباها في ذلك الجوّ الملتهب، ودون أن تأخذ رأي الإمام علي عليه السلام.

الجواب:

إنني لم أهتدِ إلى حلّ لذلك وعديد هي الوحدات المماثلة في الأحداث التي جرت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله. وهناك تضارب وتناقض في بعضها!!!

أما خطاب الزهراء للإمام عليهما السلام فأنا استبعد هذا بشكل مطلق لعدة أمور:

أ. من يعرف عظمة الزهراء عليها السلام وتربيتها ومكانتها عند الله وعند النبي صلى الله عليه وآله فلا يمكن أن يقبل بأن يصدر هذا

منها.

ب. هل يعقل أحد أن تتحدث الزهراء بهذا الكلام وهـي تلـك الأنـسيّة الحوراء وسيدة نساء العالمين. لذا فلا سنخيّة أبداً بين وجود الزهراء المبارك وبين هذا الكلام.

ج. يمكن أن يكون هذا إضافة ضمن ما أضيف في كثير مـن الأحـداث والأحاديث وإن زعم أحدٌ بأن الراوي لهذه الخطبة أو هذه الكلمات هـو الشيخ الطوسي أو السيد المرتضى فإن هذين الشخصين مع احترامنا لهما فهما بشر. ولربما قام أحدٌ بالسنين المتأخرة من إضافة ذلك ونسبه إليهما. كما أن كتبنا غير محصّنة من المراسيل.

د. أنني وفي عمري هذا القاصر شاهدتُ بنفسي وعـن حـسٍّ قـضايا وإضافات لكثير من مواضيع أهل البيت. وهي غالبـاً مـا تكـون مـن ابتكارات الخطباء والمداحين ثم شيئاً فشيء تسللت إلى الكتب وأصبحت جزءاً من التراث.

لذا أعود وأؤكد أنني غير معتقد بأن هذا من كلام الزهـراء عليهـا السلام.

هناك ملاحظة مهمة وحساسة وهي:

إنني التقيت بأكثر من عالم ومحقق سواءً في النجف الأشرف أو في قم المقدسة وهم يدركون ويعرفون تماماً مدى الإضـافات والمختلقـات التـي صُنعت وتم زجّها في الكتب. لكن هؤلاء يخشون الإعلان عنها للناس خشية البلطجة الدينية واتهامهم بأنهم منحرفون وضدّ الولاية وما شابه ذلك.

ورقة زواج بكم؟؟؟

أرجو أن لا يفاجأ القارئ إذا علم بهذه الصفقة الخطيرة والتي قيمتها ٨٠ ألف دولاراً تقريباً حيث كانت خمسين ألفاً بالباون الاسترليني.

والقصة هي:

دبلوماسي إيراني سابق كان يعمل سفيراً لشاه إيران في عاصمة دولة نفطية كبرى. ويعتبر من الدبلوماسيين الممتازين للشاه. وكان في بداية حياته مُعمماً يدرّس في جامعة طهران. ثم تقلب في المناصب حتى اختاره الشاه لمنصب سفير له.

بعد سقوط الشاه لجأ إلى أمريكا. وأصبح رمزاً مخابراتياً مهماً. وهو ذكيٌّ للغاية ويتقن أربع لغات: العربية، والإنكليزية، والفارسية، والتركية.

لقد لعب هذا العنصر أدواراً مهمة بتنظيم لقاءات بين كيانات سياسية وأبناء شخصيات علمائية كبرى. وكان الرابط في إيصال مبالغ ضخمة إليهم عبر سنين. ولخطورة هذه المعلومات فإني أتركها إلى فرصة تسمح بذلك مع ذكر الأسماء وأعد القرّاء بذلك قريباً إن شاء الله.

لنعد إلى الصفقة الضافرة:

إن هذا الرجل يتنقل بين عواصم أوربية حسب مهامه ولكن زوجته (أم العيال) تسكن في أمريكا. إلا أنه لكثرة تردّده على لندن اقتنى شقة فسيحة وضخمة وفي أغلى المناطق بلندن.

أصبح في لندن على علاقة مع امرأةٍ تقارب الأربعينيات ونشأ بينهما غرام كبير. وخلال تواجده في لندن كان يصلها أحد أبناء المراجع للقائه.

ولإستلام... منه وأصبح ذو علاقة مهنيّة معه حيث كان يحمل إليـــه أخطـــر المعلومات وأثمنها. وكان أحياناً يتعشّى عند هذا الدبلوماســـي ســـابقاً. أمـــا العشيقة فكانت تقدم لسماحة الضيف الطرشي المخلل وهو من صناعة يدها. وتظهر له المودة والاحترام. وهي خليعة تماماً.

لم يكن صاحب السماحة (الآغا زادة) يعرف هل أنها زوجة شـــرعية لهذا الرجل أم أنها عشيقة خارج التغطية.

استمرت السفرات والموائد سنوات وكنتُ أنا كاتب هذه السطور أحياناً أتواجد فيها بشكل نادر، وبسبب ظروفٍ طارئة.

فما الذي حدث:

توفي هذا الرجل بمرض لم يمهله حتى بـــالعلاج وراح إلـــى ضـــيافة أعماله لكن؟؟؟

حسب القانون البريطاني. أن الرجل إذا مات تأخـــذ زوجتـــه نـــصف ممتلكاته إن كان له أولاد وإن لم يكن له أولاد فترث الكل. وحيث أن الرجل هذا له زوجة وأولاد في أمريكا. لذا اكتفت هذه العشيقة بمطالبة نصف قيمـــة الشقة على أنها زوجته. إلا أنها كانت تفتقر إلى وثيقة إثبات الزوجيـــة فمـــا الحيلة هنا. ويجدر أن أذكر بأن الشقة التي يملكها هذا الميت قيمتهـــا قرابـــة المليون جنية استرليني. بمعنى أنها ستخسر نصف مليون جنيه وهي كارثة.

لقد فاتحت أحد المحامين وهو مسلم شيعي من طائفة الخوجة فابتكر لها طريقة ناجحة ولكن كيف:

لقد أخبرها المحامي أنها إذا استطاعت أن تأتي بورقة عقد زواجها من هذا الميت (صديقها) وبتاريخ رجعي وموقع بختم أحـــد علمـــاء أو مراجـــع الشيعة فإن المشكلة ستُحل وستحصل على نصف قيمة الشقة.

هنا اتصلت المرأة بصديق زوجها (الآغا زادة) المتواجد فـــي إيـــران

ولاطفته كعادتها بعبارات رومانسية عاطفية وعرضت عليه مطلبها ووعدته بمال كبير، واستجاب (الآغا زادة) وبعد أسبوعين وصلتها وثيقة تنطق بـأن آية الله.... عقد قران الزواج بين الزوج والزوجة.... وكان تاريخ الوثيقة هذه قبل ٤ سنوات من وفاة هذا الرجل. والوثيقة مختومة بختمه المبارك.

لقد تدخل المحامي وهو يحمل بيده هذه الوثيقة. وبعد ٣ أشهر حكم لها القضاء البريطاني بنصف قيمة الشقة. وهنا اتصلت بسماحة (الآغا زادة) وشكرته من جديد ثم أبلغته بأنها وضعت في حسابه في بنك.... البريطاني مبلغ ٥٠ ألف پاون استرليني.

أيها القارئ الذكي ما نريده من تدوين هذه القصص أن جانباً مُهمّاً من استهلاك المرجعية والمرجع يكون بهذا الشكل وبأشكال أخرى إضافة إلى الهيمنة على الأخماس.

بعد هذا كله فلا عجب أن تكون ورقة عقد زواج بصفقة خمسين ألف پاون استرليني.

آخر كلمة:

إنني بيني وبين الله لا أتهمّ سماحة المرجع دام ظله أو رحمه الله بذلك إطلاقاً ولكن ما أعرفه أن ختمه المبارك كثيراً ما هو بيدي ولديه المراهقين من زوجته الشابة الأخيرة.

إن ما أريده وأؤكد عليه إنقاذ المذهب وإنقاذ الطائفة من هذا الوضع المأساوي الخطير.

وحسبنا الله ونعم الوكيل.

استحمارٌ بالألفاظ

لا أدري متى ستستفيق أمتي وطائفتي من نومتها وتخرج من سذاجتها وبساطتها التي جعلتها طُعمةً ولقمةً وتجارةً ولعبةً بيد الثعالب الماكرة والتي تبني عيشها الرغيد وترفها ورغدها على حساب هؤلاء المساكين المغفلين.

وإليك هذا المشهد:

حضرتُ ذات ليلة احتفالاً دينياً في الكويت بمناسبة ميلاد أحد الأئمة عليهم السلام وألقى المداحون والشعراء ما لديهم ثم جاء الإعلان عن متحدث تم تعريفه بآية الله الدباومندي فظهر على المنصة وإذا به من معارفي القدامى وكان في النجف الأشرف. فأنطلق بصوته الجميل يغرّد بارجوزة المرحوم الكمپاني والناس يردّدون الصلوات تلو الصلوات ثم بدأ يتحدث وإذا به يتحدث بلغته المغطاة بالعُجمة فقال:

أيها الأخوة إنها ليلة عظيمة وما أدراك ما هذه الليلة. إنها ليلة انفرج فيها الناسوت ليلتحق بصبح اللاهوت. فصلّوا على النبي (وعج الناس بالصلوات) ثم واصل حديثه ليقول:

إن العقل المتجزء الجزئي يركض حول العقل الكلي والعقل الكلي يحلق في فضاء الولاء الكامل ليسبح في بحر الحب المتلاطم الذي يتجلى فيه الحق (صلوا على النبي) (وعج الناس بالصلوات) ثم قال: إن علياً عليه السلام هو كلمة الله وكلمة الله مستجمع لكل الصفات الكمالية وإنها كعبة أهل السلوك والناسوت الإلهي المتفرّد بالصفات. ثم قال: إن العُزلة العليا ترتبط بالعزلة الوسطى لتلتحق بالنورية الجلجلية فتتركب من اللاهوتية الناسوتية.

وهكذا استمر هذا الرجل بكل استهتار بعقول البشر وهو ينشر هذه الألفاظ التي لا أول لها ولا آخر.

وما بعد ذلك:

ما أن فرغ هذا الرجل من سفاسفه حتى عج الناس بالصلوات ثم جلس إلى جنبي والناس يحيوّنه ويباركون منه كلامه.

سألته بهدوء وبشكل خاص بيني وبينه: شيخنا ما هذا التمثرد؟ وما هذه الاراجيف؟ فابتسم، ثم قال لي بالفارسية: (آغاى كشميرى) يجب أن نتكلم مع الناس بشكل لا يفهمونه لأنهم إذا فهموه فمعنى ذلك هو أن موقعك تحدّد عندهم. لكنك طالما أنت تتحدث بكلامٍ لا يفهمونه فسيفسرون ذلك منك بأنك فوق مستواهم بكثير....

أقول: وهذا هو الذي حصل:

يا سبحان الله عند خروجي من الحفل أركبني شخصية من الحضار وهو تاجر في السوق. وما أن تحرك حتى قال لي أن هذا الشيخ (شنو من كلام يعطي والله أنه داهية) قلتُ له: ماذا فهمت من كلامه؟ قال: (سيدنا هذا كلام ما يفهموه إلا الفلاسفة والمفكرين) فقلت في نفسي: كان الله في عون هذه الطائفة المسكينة. وكلٌ يلقي بشباكه ليصطاد أموالها وما ذلك إلا من غبائها وسذاجتها.

ومن غريب الصدف أني التقيتُ عالماً في قم وهو يظهر على بعض الفضائيات بعمامة صمدانية ولحية غريبة ويدحرج كلاماً شبيهاً بهذا. وسألته يوماً هل أنت تفهم ما تقوله للناس حتى يفهموا ذلك منك؟ فقال وهو يبتسم: لا. ثم قال نفس كلام الشيخ. قال: يجب أن نكلم الناس بكلام لا يفهموه حتى نبقى في أدمغتهم بأننا فوقهم فكرياً وهم دوننا عقلياً. فقلت في نفسي: إذن ربحت الطائفة وكان الله في عونها.

الإمام الخميني والوفد الفلسطيني

في عام ١٩٦٧م وبعد انتكاسة حرب الأيام الست بين العرب وإسرائيل أصدرت بعض مرجعيات الشيعة بياناتٍ في ذلك منها بيان للسيد الحكيم وبيان للسيد محمد البغدادي وبيان للشيخ علي كاشف الغطاء وبيان للشيخ محمد رضا المظفر باسم منتدى النشر وكذلك بيان للإمام الخميني.

وعلى أثر ذلك زار وفد فلسطيني العراق برئاسة أحمد الشقيري. وضمن زيارته للنجف الأشرف التقى المرحوم السيد الحكيم والسيد البغدادي والشيخ علي كاشف الغطاء وغيرهم وكان آخر من زاروه من المراجع هو الإمام الخميني. وكان قد طُلب إليَّ أن أتواجد عند الإمام الخميني الساعة ١٠ صباحاً لأقوم بدور المترجم كون إني أرقى المنبر في بيت السيد الخميني كما هو في بيوت الحكيم والشاهرودي والشيخ آغا بزرك الطهراني والسيد عبد الله الشيرازي والسيد نصر الله المستنبط والميرزا عبد الهادي الشيرازي وغيرهم. لكن ارتباطي بالإمام الخميني تعزّز حينما فهمته وبقناعة بأنه نمط آخر وأنه شخصية فريدة على أصعدة مختلفة لذا فإضافة لذلك كنت أقوم هناك بدور المترجم من الفارسية إلى العربية أو أكون مترجماً حينما يزوره وفدٌ عربي.

حضرت الساعة ١٠ صباحاً وبعد عشر دقائق صعد الوفد إلى الطابق الأعلى في منزل السيد الإمام الخميني والواقع في شارع الرسول

(زقاق مكتبة ومقبرة المرحوم الأميني) وكـــان الوفــد برئاســـة أحمــد الشقيري الأمين العام لمنظمة التحرير الفلسطينية ويصحبه اثنان وكـــان معهم أيضاً المرحوم الشيخ سعيد البدري وهو عالم سني وسامرائي ومن علماء بغداد وكان متعلقاً بشدّة بالسيد الخميني. وكان يصحب الوفد أيضاً قائممقام النجف الأشرف وهو كامل جاسم العاني ومدير شرطة النجــف الأشرف وغيرهم. ومن الجانب الآخر كان الشيخ رضـــواني والــشيخ توسّلي والشيخ قرحي والسيد مصطفى الخميني نجل الإمام الخميني.

لقد دام اللقاء حوالي الساعة. وتحدّث الإمام الخميني باسهاب عن أفكاره عن الأزمة الفلسطينية مؤكداً على أن أول خيانة للقــضية هــو حصرها في القومية العربية واعتبر وبكل صراحة وجرأة أن هذه خدمة للصهيونية. ولابد أن تُطرح القضية كشأن إسلامي عام يـــرتبط بكـــل المسلمين في العالم وقدّم عدة اقتراحات.

ما يهم ذكره:

أن الوفد لدى خروجه كنت أسمع الشقيري يخاطب زملائه وهـــو مدهوش ويقول: إنني لم أكن أصدّق أو أعقل أن هناك عالم يعيش فـــي إيران وفي أجواءٍ مغلقة ولكنّه يسبقنا بعشرات السنين في فهـــم الـــشأن الفلسطيني، ثم قال متأثراً وهو يكاد يستقل السيارة: إنني حـــائر كيـــف حصل هذا العالم على هذا الكمّ الهائل من المعلومـــات عـــن موضـــوع فلسطين والشرق الأوسط.

أقول:

لقد حذّر السيّد الإمام هذا الرسول الفلسطيني وغيره بتحذيرات عن

غدر اليهود وما عُرفوا به من الغدر والخداع وأنه لا يمكن التصالح معهم. وسبحان الله أنني كاتب هذه السطور أراقب الوضع منذ عام ١٩٥٦م ثم حرب ١٩٦٧م وإلى الآن وأنا أشاهد تطبيقاً دقيقاً لكل ما تحدث به الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه عن فلسطين وإسرائيل وعموم الشرق الأوسط.

تسلط الأولاد والأصهار

هذا سؤال تكرّر عليّ من أصقاع شتى وبصيغٍ مختلفة لكن المضمون واحد.

إنني أجيب بإجمال لا بالتفاصيل تجنباً لملل القارئ ولأني كتبت عنه في كتبي السابقة.

لقد اشتهر بالتواتر سلوك الميرزا الشيرازي زعيم الثورة العراقية باستقلالية قراراته وعدم سماحه لتدّخل أيّ من الأولاد أو الأصهار في شؤون عمله كمرجعٍ أعلى للشيعة، ولكن فاجعة تسلط هؤلاء ظهرت كعاملٍ مدّمر في مرجعية السيد كاظم اليزدي حيث أقام أولاده علاقات سرّية متينة مع الغزاة الإنكليز وكانوا يعطون المعلومات المزيفة للمرحوم السيد كاظم اليزدي. وأثروا كثيراً في دمار العراق وأهل العراق!!!

بعده جاء دور المرحوم السيد أبو الحسن الأصفهاني ورغم أنه كان حاذقاً وذكيّاً للغاية لكن مرجعيته لم تخلوا من مداخلات الابن وهو السيد حسين والذي كان على علاقات طيبة وودّية مع البلاط الشاهنشاهي بطهران وكان له تأثير نسبي في مرجعية والده.

جاء دور المرحوم الحكيم. فكانت الخطورة أكبر وأكبر حيث كان ولده الوحيد محمد رضا يقيم علاقات خفيّة مع مؤسسي حزب البعث وهما (ميشيل عفلق وعبد الخالق السامرائي) وكان يتنقل مكوكيّاً إلى

بيروت ليعقد لقاءاتٍ مطولة معهما. وبنفس الوقت ومن جانب معــاكس كان صهر السيد الحكيم حفيد المرحوم اليزدي ومعه نفران!!! يقيمــون روابط سرّية مع قصر الشاه بطهران ومع (أسد الله علم وزير البلاط).

بعد رحيل السيد الحكيم وتنصيب الإمام الخوئي أصبحت الأمــور أقوى وأقوى بكثير عبر المافيات التابعة للشاه في بطــن الحــوزة فــي النجف الأشرف. ثم بعد انهيار حكم الشاه تحولت هذه الاتصالات مــع أجهزة مخابراتية إقليمية وربما دولية أيضاً.

ثم بعد سقوط صدام جاء دور (أمير المؤمنين بريمر وخليل زلماي زاد).

أقول:

إلى هنا استغاث قلمي ليطلب الكتابة باللون الأحمر لكني كبحــت جماح القلم ووعدته بأن يكتب الأحداث لاحقاً حيث واقع الحــال الآن لا يسمح بنشر كل شيء؟؟؟

أنني كاتب هذه السطور أقول وأُشهد الله على ما أقول وأكتب بأني لا أغمط حقوق الآخرين. فقد عشت وشاهدتُ عن حسٍّ أولاداً، وأصهاراً أزكياء لعديد من المراجع. أمثال أولاد السيد الحكــيم أو أولاد الميــرزا عبد الهادي الشيرازي أو أبناء السيد محمد الشيرازي أو أبناء المرحوم السيد محمود الشاهرودي، ثم في الخاتمة أبناء الإمام الخمينــي والــذي بنفسي شاهدته لأحد عشر عاماً عشتها معه في النجف الأشرف فلم يكن رحمه الله يسمح لولده السيد مصطفى رغم أن أستاذ ومجتهد أن يتدخل حتى في قراءة استفتاء مغلق وهكذا الحال مع ولده السيد أحمد رحمه الله

وهذا ما أدين الله عليه ولأكون عادلاً مُنصفاً فيما أدوّن وأكتب.

أما في الجهة المعاكسة فقد عشتُ أيضاً مع أبناءٍ لمراجع سلكوا مع آبائهم بسلوكٍ أحجم الآن عن ذكره لأنه أمرٌ خطير ورهيب. وإن امتدّ بي العمر فأنا على موعدٍ مع القرّاء لوضعهم في الصورة حينما يسمح الظرف.

عالمان يبحثان

بعد وفاة المرحوم الإمام الخوئي برزت من بين تلاميذه أسماء ثلاثة لكن ترتب!!! الأمر في النجف الأشرف كما خُطط له!!!

وبقي اثنان من هؤلاء الثلاث في مدينة قم المقدّسة وهما الميرزا جواد التبريزي، والسيد محمد الروحاني.

وأتذكر جيداً أن عالمين أحدهما السيد... يقيم في دمشق والثاني وهو الشيخ... يقيم في لبنان تصاحبا في سفرة إلى إيران وهما طبعاً من الخط المخالف لولاية الفقيه ويلتزمان بالخط المرجعي النجفي!!!

فأما السيد الدمشقي كان يصرح بأن سفره لغرض إجراء بحوث فقهية مع هذين العلمين لمعرفة من هو الأعلم بينهما. ليعود بعدها إلى دمشق ويطرح اسمه على جماعته ومريديه. وفعلاً وكما صرح لي بأنه استطاع أن يثبت أعلمية السيد الروحاني ووقع ذلك.

أما زميله الشيخ اللبناني فكان يصرّح بأنه جاء ليستكشف مدى عدالة الرجلين وتقواهما ثم التفكير بالأعلمية.

لقد ناقشته على سبيل المزاج وهو صديق لي من أيام النجف الأشرف حيث كان يحضر محاضراتي في المدرسة اللبنانية في منطقة خان المخضر في الستينيات. قلتُ له: شيخنا إن ضالتك هذه لا تتوفر إلا في مرجعٍ لا عقب له ذكراً أو أنثى بحيث يكون مستقلاً ومرتاح البال من تدّخل الولد والصهر فضحك مليّاً.

وأخيراً عاد إلى لبنان وسأله زملائه فكان جوابه للكل: لقد عدتُ بخُفيّ حنين!!!

ماذا قال لي حفيد الإمام الخميني

إنه وديع بسيط يقع في الخديعة بسرعة والمحيطون به يتـاجرون بانتسابه للإمام الخميني لمكاسب سياسية ولتشويه سمعة الإمام الخميني رحمه الله.

بعد سقوط صدام وهيمنة الأمريكان على العراق همس في أذن هذا السيد بأن الأمريكان يرغبون بأن يزورهم في واشنطن وأن يستمعوا إلى إرشاداته وبكل بساطة رحب سيدنا المحترم فنقله صديقه الثعلب المعمم إلى العراق وبعد زيارة للعتبات وناسة وولائم وُضعت في جوازه تأشيرة الدخول للولايات المتحدة.

سافر الرجل وقوبل بحفاوة عالية. وأجريت هناك معه لقاءات مطوّلة وكانت المخابرات الأمريكية تسعى جاهدةً أن تستفيد من وجوده هناك كونه أستاذ في حوزة قم وحفيد لأعظم شخصية علمائية قلبت موازين العالم.

للأسف كانت له تصريحات مرّة وسلبية وأمرّها وأشدّها تصريحه بأن الشعب الإيراني ينتظر اليوم الذي يصبح فيه مثل العراق ويتخلصّ مما عليه الآن وأن الشعب الإيراني سيفرش الأرض بالورود لاستقبال الأمريكان.

لقد تخلّل هذه الرحلة حديث عن المال لا أعرف مداه وحجمه أو صحته من سُقمه.

عموماً لقد قال لي هو بنفسه بأن الأمريكان أبلغوه بأن يعود إلــى إيران عن طريق العراق. وفيما لو تعرّض لــه الإيرانيــون أو جــرى اعتقاله فهم سيتصرفون إعلامياً وبضغوط أخرى.

أما هو فكان مرحّباً بوضع من هذا القبيل كالاعتقال أو المــضايقة لأن الإعلام الغربي والعربي الرجعي سيجعل من الحبة قُبّة ومن الجمل جبلاً. وبالنتيجة سيكون سماحته شخصية سياسية عالمية.

ويقول لي وهو يضحك: لقد عدتُ إلى العراق ثم أوصلتني سيارة إلى الحدود الإيرانية (خسروي) يقول: دخلت مكتب الجوازات وإذا بي كسائر الآخرين ختموا جوازي دون أي تأخير ورغم وجــود التأشــيرة الأمريكية في الجواز إلا أنهم لم يتحدثوا بكلمة واحدة. ويقول خرجــت من المركز الحدودي وأنا أترقب اعتقالي فلم يأتني أي أحد واســتأجرت سيارة إلى قم ووصلت إلى قم وبقيت أياماً فلم يحدث لي شيء أبداً.

ويتابع حديثه فيقول: إنني أدركت أن الإيرانيين كانوا أذكى مــن الحد بكثير وعرفوا بأن المساس بي أو مضايقتي سيجعل منــي علمــاً ورمزاً سياسياً كبيراً لذلك هم تجنبوا أن يواجهوني بأيّ مضايقة وهنــا سألته: فما رأيك بالأمريكان هل استفادوا من زيارتك؟ فقال: لا أبداً بــل شعروا بالإفلاس والفشل!!!

مؤتمر غدير لندن

في أواسط الثمانينيات وبينما كانت الحرب بين إيـران وصـدام ومعه العالم أجمع قد اشتدت أوزارها. ومئات القتلـى مـن الجـانبين يتساقطون يومياً. طالعتنا المعلومات عن مؤتمر يقيمه الخوئيون بلنـدن بمناسبة مرور ١٤ قرناً على حادثة يوم الغدير، ودُعيت إليه شخصيات من كُتّاب مصريين. ومفتي الديار السورية الـشيخ البـوطي. والـشيخ كفتاروا وكذلك دعي شيخ الأزهر (طبعاً لم يحضر) وأناب عنـه أحـدَ موظفيه.

ومن إيران دُعيت أكثر من ٧٠ من المعممين الذين هـم بـنفس التوّجه والخط ولا أغفل عن ذكر هذه الخاطرة أن هؤلاء جـاءوا إلـى لندن على الطائرة الإيرانية ولم يدخلوا إلى لندن قبلهـا. ولمـا نزلـوا بعمائمهم المختلفة الأحجام في المطار البريطاني (هيثروا) اهتزت صالة المطار وتحولت إلى قاعدة حوزوّية وكان مشهداً غريباً!!!

لقد قُدمت اقتراحات آنذاك على إقامة هذا المهرجان في بيروت أو دمشق أو في مصر. لكن أولاد الإمام الخوئي تمسكوا بإقامته في لنـدن وطبعاً يثير هذا أكثر من دلالة؟؟؟

وقد بدأ الاحتفال بكلمة نسبوها إلى الإمام الخوئي وهو يدعو فيها إلى الوحدة مستشهداً بكلام الإمام علي عليه السلام (لأسلمن ما سـلمت أمور المسلمين). ثم قصائد وكلمات كانت أبرزها وألمعها قصيدة السيد

مصطفى جمال الدين. ثم قصيدة السيد حسين السيد هادي الصدر. ولوحظ أن الحفل بدأ وانتهى ولم يرد فيه أي ذكر للإمام الخميني. ولا أي إدانة للحرب التي شُنت على إيران. وتحت خديعة عدم التدخل بالسياسة إلا كلمة الشيخ محمد مهدي الآصفي التي ذكر فيها الإمام الراحل وكان نصيبه من جراء ذلك سخطٌ كبير!!!

لقد تم إسكان الضيوف في فنادق مختلفة. وقدمت مبالغ لمعضمهم وبشكل مختلف فمن ٥٠٠ دولار إلى عشرة آلاف دولار إضافة إلى ثمن تذاكر السفر وكانت نصيب البوطي وكفتاروا و٣ من علماء الأزهر أضخم هذه المبالغ.

لقد همس في أُذني على الطائرة ونحن في طريقنا إلى لشبونة عاصمة البرتغال الكاتب المصري فهمي هويدي حيث كان بجنبي وعرف أنني من النجف الأشرف فقال مازحاً: لقد دخلت أموال المرجعية الشيعية بجيبي لأول مرة حيث قدّم لي أبناء الإمام الخوئي خمسة آلاف دولار. فأجبته إنها ليست أموال المرجع فهي ليست من إرث أبيه ولا من ممتلكاته وتجارته، إنها الأخماس الشرعية التي يرسلها كسبة وتجار الشيعة إليه!!! وهي نتيجة عرق جباههم وتعب أكتافهم.

وآخر الأمر أن تكاليف ذلك المؤتمر بلغت مليون دولار.

ما هو جدير بالاهتمام هي التسهيلات التي قدمتها حكومة بريطانيا. حيث كانت سفارتها مغلقة بطهران. وبينما كان المريض يريد العلاج في لندن يكافح لعدة أشهر وعدة مقابلات واستجوابات حتى يمنح السمة البريطانية.

أما المدعوون لهذا المؤتمر فقد شُحنت جوازاتهم من طهران بيد مسافر إلى دبي وبنفس اليوم وضعت فيها التأشيرات بكل سلاسة وأعيدت إلى طهران. وفي مطار هيثروا لم يستجوب أي من هؤلاء بخلاف المعتاد حيث يتم استجواب المسافر الوافد بدّقة.

إنها مؤشرات تفتح لنا أكثر من سؤال؟؟؟

فمتى أصبحت بريطانيا تتعاون مع عمائم الشيعة؟ ومتى صارت بهذه الدرجة من الإشفاق بالشيعة وعلمائهم؟ وخصوصاً في وقت متزامن مع تزويدها لصدام حسين لوجستيّاً وسياسياً وبأسلحة فتاكة لقتل الناس من الشعبين الإيراني والعراقي.

إن هذه بريطانيا الملسوعة من زعامات الشيعة في ثورة العشرين كالسيد الحبوبي والميرزا الشيرازي والسيد عبد الرزاق الحلو وغيرهم، كيف صارت تتودّد إليهم وتحتضنهم الآن؟؟؟

هذا سؤال نطرحه على كل ذكيٍّ متيقظ.

وسؤال قبله أيضاً وهو: هل اختيار لندن مكاناً للمؤتمر جاء بشكل عفوي أم أن هناك حسابات!!!

وسؤال آخر: ما هو تفسير هذا الترحيب والاحتضان البريطاني الحار؟

وسؤالٌ: هل كل ما جرى هو لإثبات وجود لمرجعية الإمام الخوئي وخطّه الذي ألقت قيادة الإمام الخميني لمسلمي العالم والشيعة بالذات بظلالها عليه حتى أصبح في مهب النسيان أو الغياب؟ فكان المهرجان محاولة لإنقاذه من الغياب وإعطائه شُحنة تنفس.

آخر ما أكتبه في هذا المجال هو:

وكما أخبرني حفيد الإمام الخوئي في دمــشق. وكــذلك صـــهره الشهيد السيد محمود الميلاني. أنهما سمعا من الإمام الخوئي مباشرة أنه لم يعرف أي شيء عن هذا الاحتفال إطلاقاً ولا علم له بذلك.

أما كلمته التي أفتتح بها الحفل فقد نظّمها السيد مصطفى جمـــال الدين والسيد محمد بحر العلوم وألقيت باسم الإمام الخوئي... هذا هو ما على الأرض فأفهم!!!

تعدد الأعلمية

بعد وفاة الإمام الخوئي رحمه الله طُرحت على الساحة الحوزوية في العراق وإيران ثلاث مذكرات ووزعت عبر وسائل الفاكس في أرجاء العالم. وكل مذكرة تحمل أكثر من ثلاثين اسماً لما يُزعم!!! أنهم أهل الخبرة وكل منها تسوّق مرجعاً وتصفه بالأعلم وهي:

١ـ مذكرة تخص السيد علي السيستاني.

٢ـ مذكرة تخص السيد محمد الشيرازي.

٣ـ مذكرة تخص السيد محمد الروحاني.

وتصاعدت حُمّى التنافس وشراء ألسنة الخطباء وسالت الدولارات بلا رحمة على مراسلي الصحف والمجلات ووسائل الإعلام الأخرى.

أنا لستُ بصدد أيهم صح أو غير صح حيث أني خبير بهذه الأمور منذ خمسين عاماً أو أكثر. لكن ما كان على رأس اللعبة هذه هو اتفاق هذه اللوبيات الثلاث رغم تنافسها على محاصرة وإسقاط مرجعية الإمام السيد علي الخامنئي وتحجيمها.

والطريف في الأمر أن أحد العلماء الأعلام ورد اسمه في المذكرات الثلاث وهو يؤكد على أعلمية الهدف مما بعث عندي الدهشة والتأمل. حيث ليس غريباً أن كل حزبٍ بما لديهم يطرحون، أما أن يتكرر اسم شخصية واحدة في اللوائح الثلاث رغم تباينها فهذا أمرٌ محيّر وكيف تكون أعلمية لثلاث وهو عنوان ينحصر بواحد فقط.

لقد مرت فترة وإذا بالصدفة تجمعني بهذا العالم الجليل وهو صديق

قديم لي وهو آية الله السيد رضي الشيرازي والذي هو اليوم عميد علماء مساجد طهران. فسألته عن ورود اسمه في المذكرات الثلاث وفي كل واحدة يشخص الأعلم وما معنى ذلك. فأنكرها جميعاً وأقسم لي بالله ورسوله أنه لم يرشح أحداً للأعلمية ولم يذكر أي اسم لأيّ أحد وأنه طيلة حياته لم يفعل هذا ولا يتحمل مسؤولية ذلك أمام الله. لكنه استدرك قائلاً؟؟؟ إنني سُألت عن السيد علي السيستاني وصلاحية تقليده فلم يكن جوابي يخصّ الأعلمية وإنما قلتُ: أن تقليده مُجزٍ إن شاء الله. ثم أردف قائلاً: يا أبو زهير أنني قصدتُ بذلك موقع النجف الأشرف وشأنها باعتبار أن الباقين في مدينة قم.

وما بعد هذا؟؟؟

قلتُ له: سيدنا إذن أنت تُنكر ذلك جملةً وتفصيلا؟ قال بالحرف الواحد: نعم!!! قلتُ له: سيدنا لماذا لا تكذّب ما نسبوه إليك لأن هذا افتراء وتقوّل عليك؟ فتأمّل ثم قال وهو يتضجّر: أخشى أن تكون سبباً للقيل والقال ولذلك لا أرى هذا بصالحي الآن.

قلتُ: طيب سيدي أنا سأكتب إليك سؤالاً بقلمي وبخطي وتوقيعي وأسألك عن ذلك. فهل تجيبني كما أفصحتَ بلسانك الآن؟ وها أنا أتحمل مسؤولية ذلك. فالتقط سماحته نفساً طويلاً، ثم قال بعد تأنٍ: وما قصدك من ذلك؟ قلت له: قصدي من ذلك أن أبرأ ذمتك. ففرّ هذا العالم مني فراراً (آخونديّاً) وبفذلكة لطيفة!!! حيث قال: سأستخير الله في ذلك، فقلت له ضاحكاً: ستكون استخارتك غير جيّدة وها أنا أخبرك من الآن وانتهى الكلام.

أقول ؟؟؟

لا تعليق لي وأترك التعليق للقارئ الكريم. وخصوصاً لمنتسبي الحوزة العلمية في النجف الأشرف وقم المقدسة.

توصيات وتذكير

خلال تواجدي في النجف الأشرف يستوقفني أعداد من طلبـــة العلـــوم الدينية. خصوصاً العراقيين. سواءً في الصحن الشريف أو في الشارع وغيره وأهم ما ألاحظ عند هؤلاء البراءة وفراغ الذهن عن بواطن الأمور، وأجدهم لا يعرفون شيئاً عن الأطراف اللاعبة في الجو الحوزوي لذلك لا أرى لهـــم إلا الله حافظاً ومُنقذاً.

إنني غالباً أعيش هذا المثل وهو أن رجلاً باع أغنامه وممتلكاته وكوّن منها سيولة نقديّة وجاء إلى البورصة ليضارب بالأسهم. لكنه لما دخل وشاهد الضجيج وأصوات الدلالين تأمّل طويلاً وإذا بشخصين أقبلا إليه وهمـــا قـــد أدركا أن هذا الرجل لا يعرف حقائق الأمور وتعامل معها ببساطة وبداهـــة. لكنهما إشفاقاً به نصحاه بالخروج من البورصة وإلا سيفقد كل أمواله بدقائق ويخرج صفر اليدين ووضّحا له الأمر. قالا لهذا الرجل: أنظـــر إلـــى تلـــك الزاوية فنظر وإذا بجدار زجاجي. قالا له: إن هذا الزجاج ذو طرف واحـــد فإنك لا ترى ما ورائه ولكن الذي بذلك الطرف يشاهد ما يدور هنا؟؟؟ فانتبه أن خلف هذا الجدار الزجاجي نفر قليل بعدد أصابع اليـــدين وهـــؤلاء هـــم يتحكمون بالأسهم ويصطادون المغفليّن والبسطاء وضحاياهم أمثالك. وبالتالي نصحاه فغادر البورصة.

إنني كثيراً ما أشاهد هذا الجيل الجديد من الطلبة في الحوزة النجفيـــة وهم على براءة تامة ويظنون أن الأمور تدور كما هي بظاهرها ولا يعلمون ما وراء الستار من عقليات خطيرة وعمالقة من البهلوانيين. وقى الله الطلبـــة

شرّهم.

مما يسألني به هؤلاء الطلبة هو معنى الصلاة على جثمان المرجـــع. ولماذا التركيز على الشخص المصلّي؟؟؟

طبعاً قبل الجواب على السؤال أقول:

إنه واضح جدّاً في الفقه والدين أنه حينما يموت الإنـــسان أيّـــاً كـــان يستحب التعجيل في تجهيزه وموراته وتشتمل المراسيم على تغسيله وتكفينه والصلاة عليه وتشييعه ودفنه ليذهب ويواجه أعماله.

هذا أولاً وبالذات.

أما في العرض فهنا المشكلة تلو المشكلة...

ففي سياسات هذه اللوبيات والمافيات. تجري عملية اســـتغلال جنـــازة المرجع لتثبت الخليفة المعين للمرجعية من بعده لذا فالتغسيل له دلالاته، ثـــم التشييع، مكان التشييع، وقت التشييع، مسار التشييع، مكـــان الـــدفن، كيفيـــة الصلاة عليه، والمهم أو مربط الفرس هو من يصلي عليه؛ لأن فـــي ذلـــك مؤشّر واضح على استخلافه.

طبعاً تُرتكب في هذا محرّمات شديدة وأخطرها تأخير دفـــن الميـــت. والمتاجرة بكل ما سبق ذكره. وتصبح جنازته سوقاً لتسويق خليفته وإحرازاً لمكاسب دنيوية.

لذا يلاحظ هنا تماماً الفرق الشاسع بين الصورة الطبيعية فـــي الفقـــه لتجهيز الميت، والصورة المصطنعة في تجهيزه حتى مواراته.

وتدخل في هذا أمورٌ أخرى مثل:

مجلس الفاتحة وهي:

مكان مجلس الفاتحة، خطيب الفاتحة، وقت الفاتحة، وبـــالأخير كلهـــا تجارة في تجارة ودنيا في دنيا. فأين الله؟؟؟ وأين التقوى؟؟؟ وأين مسؤوليتنا

في بناء الروح والأخلاق وإبعاد الناس عن حب الدنيا وحب الهوى وها نحن أشد طبقات الناس حبّاً للدنيا وتعلّقاً بها.

وأنا أذكر للطلبة الأعزاء هذا المشهد كصورة حيّة عشتها وهو:

توفي المرحوم السيّد الحكيم، وخلال مرضه الذي امتد قرابة عام، كانت هناك الطبخة مستعرة على تنصيب الإمام الخوئي خليفة له، وكانت السفارة الإيرانية تقوم بنقل التعليمات من البلاط الشاهنشاهي إلى عناصرها في الحوزة. وبالمقابل كان هناك تصور آخر وهو بالمناداة بولده الأكبر السيد يوسف الحكيم كونه يتمتع بكفاءات تامة. وكان يقف وراء هذا التوجه الشهيد محمد باقر الصدر وأولاد السيد الحكيم وبالخصوص ولداه السيد محمد باقر الحكيم والسيد محمد مهدي الحكيم الذي كان متوارياً آنذاك خارج العراق وكان ينسّق مع أخيه عبر الشفرة الخاصة بينهما.

إنني كنت حاضراً في تشييع السيد الحكيم من صحن الإمام الكاظم حتى كربلاء والنجف الأشرف وكنت أراقب كل الوحدات بدّقة كوني خبير في هذه الأمور.

لقد وصل الجثمان إلى الصحن وكان قبل وصوله قد تواجد ثلاثة من كبار العلماء وهما السيد عبد الله الشيرازي والسيد عبد الكريم علي خان الذي هو بنظر الحوزة وأساتذتها لا يقل علماً عن السيد الحكيم وكذلك الشهيد السيد محمد باقر الصدر.

لاحظنا أن تركيزاً متعمّداً على تأخير وصول الجثمان للصحن وعرفنا بعدها بأن هذا التأخير متعمّد وذلك بسبب عدم تمكن سيارة الإمام الخوئي من الوصول إلى باب الصحن بسبب ازدحام الجماهير.

وأوّضح هنا أن حزب البعث والسلطة دخلت على الخّط بهدوء لتسهيل وصول سيارة الإمام الخوئي حتى بالتالي يتزامن حضوره ودخول الجثمان

إلى الصحن الشريف وبالتالي ينادى باسم الإمام الخوئي للصلاة عليه؟؟؟

وفعلاً تحقق ذلك؛ لكن السيد محمد باقر الحكيم وأخوه السيد عبد العزيز قاما بحركةٍ استباقية وفنيّة فصرفا الجثمان نحو الإيوان الذي يتجمع فيه العلماء الثلاثة: السيد عبد الله الشيرازي، والسيد عبد الكريم علي خان، والسيد محمد باقر الصدر. وفي قفزة فنية أعلن المنادي بأن السيد يوسف الحكيم سيقيم الصلاة على جثمان الإمام الراحل.

ولحسابات (في نفس يعقوب) تقدّم العلماء الثلاثة للأئتمام بالسيد يوسف الحكيم. مما حقّقَ أمنيةً كبرى للسيد محمد باقر ومن معه حيث هؤلاء العلماء الكبار أئتمّوا بالسيد يوسف!!!

هنا هتفت الجماهير وهي تنادي وتدور في الصحن (قلّدنا لسيد يوسف قلّدنا لسيد يوسف).

وهنا. فما هو آخر هذا المشهد:

لقد تدّخلت الشؤون العِرقيّة والسياسية و... و... و... فُوّجه تهديد مبطن وبشكل هادئ للسيد يوسف الحكيم بأن عليه أن لا يتخطى الحدود وأن يبقى عَلَماً ومحترماً وأن يقيم الصلاة مكان والده وأن المرجع والمرجعية حولها قيتوا بجدّية لا تقبل المزايدة، وأن المرجعية القادمة ستتعامل معه بكل احترام.

وتم بالنهاية وبنجاح وبهدوء عقدُ الأمور وترتيبها للإمام الخوئي رحمه الله.

هذا ما هو في ذاكرتي وبإجمال وأترك التفاصيل للمستقبل.

إذن هذه... هذه الصلاة على الجثمان وما يرتبط بها من تداعيات، وشكراً.

ومع الاعتذار

قرأنا في التاريخ عن شخصية ساخرة تتسم حياتها بالمزاح والنكات الهادفة. وهذه الشخصية هي (جحا) وهو اسم رمزي للملاّ نصر الدين الرومي.

إن من يزور قبر هذا الرجل في تركيا يلحظ النكتة والتي تترجم حياته. فالقبر عليه صندوق وزاوية منه محكمة بأقفال متعددة والزوايا الثلاث مفتوحة حقّاً إنها نكتة لها عدة أهداف.

ونحن نستشهد بهذه النكتة في أشخاص يستعملون الاحتياط المشدّد بزاوية ويهملون الأمور ببقيّة الزوايا حتى قيل في أمثال هؤلاء (يستشكلون من دم البعوضة ويأكلون الميتة حتى ذيلها).

فهناك معمم تولّى القضاء في إحدى مدن إيران في بدايات الثورة الإسلامية. وقد صرّح هو بنفسه أمام جمع من أصدقائه وكنت أنا (كاتب هذه السطور) حاضراً، فقال بعظمة لسانه: بأنه حكمَ ذات مرّة على مجموعة من الأشخاص بالإعدام. وتم إعدامهم في قضية تهريب لكنه كان مقتنعاً أن جرمهم (إن كان لهم جرم) لا يستحق أكثر من سجن ٥ سنوات. لذا والكلام له ونحن نسمع. أنه حكمَ بإعدامهم ولم يرغب في التراجع عن رأيه. وبعد إعدامهم والكلام له!!! يقول: بقيت أيّاماً لا أنام حتى الصباح رغم استعمال أقوى الأدوية المخدرة والمنوّمة.

وطبعاً كم يترتب على هذا من أطفالٍ أصبحوا يتامى ومن نساءٍ أصبحن أرامل ومن أُسرٍ تتشتت؟؟؟ وكان من تداعيات هذا التصرف أن طُرد

من وظيفته.

أرجو الانتباه؟؟؟

إنني أزف البشرى لشيعة العالم؟؟؟ أن هذا الرجل المعمم هو منذ أكثر من عشرين عاماً وحتى اليوم هو الذي يعكس فتوى المرجع الأعلـــى إلـــى مقلديه في العالم ويعين لهم تكاليفهم الشرعية بمعنى أنه يحلّل ويحرّم ويقــرّر مصير حقوق القاصرين ويفصل الزوج عن الزوجة ويتصرّف بأموال الورثة والقُصّر.

سؤالنا هنا: من المرجع (دام ظله) ورزقه الله حسن العاقبـــة؟؟؟ أيـــن مراعاة الاحتياط؟ أو كما قال الأديب (حفظتَ شيئاً وغابت عنك أشياء) أم أن الأمور كما صورها الملاّ نصر الدين الرومي في صندوق قبره.

ويروى أن رجلاً من شيعة أهل البيت دخل على الإمام الصادق عليـــه السلام في المدينة المنوّرة فسلم على الإمام وقال: يا أبا عبد الله أن لي أخـــاً يحبك أيضاً ولكنه لا يقول بإمامتك من باب الاحتياط. فابتسم الإمام وقـــال: فأين احتياطه على ضفة النهر ببلخ. فرجع الرجل وأخبر أخاه فكاد أخوه أن يسقط ميتاً لدهشته وهو يقول: الله أكبر لا أحد يعرف بـــذلك إلا الله. فـــسأله أخوه: ماذا صنعت؟ قال: إن لي جاراً استودع عندي زوجته وسافر ففجـــرتُ بها.

أخيراً نقول هذا هو الحال والأمر إلى الله.

تراشقات أدبية

عطفاً على السؤال المرقم ٢٠ في كتابنا (جولة في دهاليز مظلمة) أن البعض يريد المزيد من هذه المعلومات خصوصاً من الوسط الحوزوي وذلك عبر مكالمات هاتفية وغيرها.

أن الخطيب السيد صالح الحلي والذي سجلت له الحوزة في النجف الأشرف موقفاً جريئاً وثابتاً وإن كان استتابة السيد أبو الحسن الأصفهاني أخيراً!!! لكن هذا الخطيب عُرف بتسلّط لسانه وبنانه. ولم يكن أحد يتصوّر أنه يجابه ثلاثة أو أربعة مراجع عظام في آن واحد.

يُضاف أن بعض المتزلفين للمراجع أو المستفيدين منهم دخل على الخط.

فمثلاً حينما حرّم السيد أبو الحسن الاستماع إلى قراءة السيد الحلي تعمد بعض الشعراء من أهل العلم ونشر هذا البيت:

أبو حسن أفتى بتفسيق صالحٍ قراءته أرختها غير صالحة

لكن السيد صالح لم يكن يعبأ بمهاجمة هؤلاء رغم أن النائيني حرّم أيضاً الاستماع لمنبره.

وفي خطوة إلى الوراء فإن السيد الحلي اصطدم قبلها بالسيد كاظم اليزدي وذلك بسبب بعض مواقفه ومن أخطرها تجاهله إعدام الانكليز لأكثر من عشرة من خيرة وجوه النجف الأشرف حينما أُعدموا على مقربة من داره ولم يعترض هو ولا بكلمة واحدة وتجاهل الأمر تماماً.

وهنا نظم السيد صالح الحلي في ذلك ومن جملة شعره:

فوالله ما أدري غداً في جهنمٍ ايزدّيها!!! أشقى الورى أم يزيدها

وهكذا كان يهاجم السيد محسن الأميني العاملي بقوله:

يا راكباً أمّــا مررّت بُجّلقِ فأبصق بوجه أمينها المتزندق

أما تعريضه الأدبي بالزعيم الأصولي الملا كاظم الآخوند الهراتي الخراساني فيقول السيد الحلي:

وفتاةٌ تقول وهي تصّبُ الماء قلدتُ كاظما!!! قلت صُبّي

وهنا استعمل التورية بكلمة صبّي أي صــبّي المــاء. أو أجابهــا واصفاً من تقلدّه بأنه صابئي!!! ويطلق عليه في العراق كلمة صُبّي. كما توجد شخصية في النجف الأشرف تسمى بالحاج كاظم صُبّي.

وتعرّض السيد الحلي مرة بالشيخ النائيني أعلا الله مقامه. فقد كان السيد الحلي يرقى المنبر في مجلس مهيب جــداً فــي ميــدان النجــف الأشرف في مقهى المرحوم (الحاج عبد ننه) وأسترسل بحديثــه وهــو يقول. ودّعني صديق لي وهو ذاهب لزيارة الإمام الرضا عليه الــسلام فأوصيته بأن يأتيني من هناك بعباءة نايني. وكنت أسمع الــضجة عــن العباءة النائينية، ولما جاء بها إليَّ ونظرت إليها تأسّفت وقلت: هذا هــو النائيني الذي تُعمل له الضجة ثم صاح على المنبر باســتخفاف (طــاح حظّك يا النائيني) وهو يرسل الكلام حول العباءة لكنه ردّد الكلمة مراراً وكان لها صدىً كبير. وهكذا مع السيد الأصفهاني حيث كان يواجهــه على المنبر ولكن بمناورة فمثلاً: أخذ يستعرض يوماً على المنبر مسألة فقهيّة تتعلق بطهارة الماء في الكُر وكيفية نجاسته ثم صاح أن الماء في

الكُّر يبقى طاهراً ولكن النجاسة تبقى في الحواشي!!! وكأنـــه يريـــد أن يوّجه مسؤولية ما جرى من تحريم قراءته على حاشية السيد أبو الحسن رحمه الله.

أقول:

أننا الآن ما نشتكيه هي نفس الحالة بل أسوأ منها. هذا مـــا لـــدي باختصار وشكراً.

من أوقف السيارتين؟؟؟

أننا نعيش في هذا العالم المحسوس. وهناك ما فوقنا عـــالم غيـــر مرئي وهو أعلى مستوىً وروحانية. وكما نهزأ نحن بالأطفال الصغار حينما يلعبون. كذلك يهزأ بنا أهل ذلك العالم كهزئنا بالأطفال.

إنه عالم الغيب. وتتقاسم فيه المهام وتُوزع فيه المسؤوليات. هناك قصتان أذكرهما للقراء وبالخصوص إلى زملائي الخطباء.

القصة الأولى:

في عام ١٩٦٧م كنت أقرأ في العمارة (ميسان) في حسينية الحاج سلمان الحسن في شهر رمضان المبارك. وحيث ينتهي المجلس ليلة ٢٥ من الشهر فإنني أسافر نهار تلك الليلة إلى النجف الأشرف عن طريـــق بغداد. وبما أني صائم فيتحتم عليّ السفرُ بعد الزوال.

ركبتُ السيارة ذات خمس ركاب إلى بغداد حيث جلستُ في الأمام وركب شخصان في مقعد الخلف. وكان أحدهما يستغيث من ألمٍ شـــديد. سارت بنا السيارة. والمسافة إلى بغداد ٣٠٠ كيلـــومتر وتوقفنـــا علـــى مقربة من مدينة الكوت أمام مطعم حيث تناول السائق غدائه. ومـــا أن عدنا إلى السيارة وركب السائق وإذا بالسيارة لا تتحرك وحاول السائق تشغيلها ولكن بلا جدوى رغم تعاون بعض السواق معه.

هنا كان الشاب المريض يصرخ من ألمه. وعلمنا خلال السفر أنه منذ عشرة أيام يعاني ألماً شديداً في بطنه. وقد عجز الأطباء في مدينـــة

العمارة عن علاجه وتشخيص علته والآن قرّر أخوه نقله إلى بغداد إلى مدينة الطب.

فماذا بعد:

أثناء توقف السيارة عن الحركة. وصراخ هذا المريض مرّت امرأة تقود بقرة لها وهي كبيرة في السّن فلاحظت صراخ هذا الشاب ووقفت تنظر إليه وتسأله عن علته وأخوه يشرح لها وضعه. فاقترحت المرأة على المريض وعلى أخيه النزول من السيارة والاستراحة في غرفة وسط المزارع مبنيّة من الطين ريثما يتم تصليح السيارة. وفعلاً ذهبنا للحجرة وهي مفروشة بحصير. لكن المرأة غابت قليلاً ثم عادت وبيدها كأس فيه ماء حار أصفر اللون وصاحت بالمريض (يُمّة أشرب هذا ولكنه يرفض وهكذا ألحّت عليه حتى شرب ذلك) وأنا وأخوه نستند إلى الحائط وننظر وضع السيّارة.

مرّت دقائق وعلى حين غفلة وإذا بالمريض يطلب من أخيه أن يأتيه بطعام وأخوه يهزأ منه ويقول ما أنت والطعام وأنت تتقيّأ كل شيء ولكنه عاد فأصرّ ثم صاح بأخيه (إنني طبتُ) وذهب أخوه وجاءه بطعام فأكله ثم أخذ يتمشّى وإذا به يطلب من أخيه العودة إلى العمارة وعَدَلَ عن الذهاب إلى بغداد. وفعلاً ركبا سيارة متجهة للعمارة.

أما سيارتنا وإذا بها اشتغلت بلا مصلّح وبلا أي تدّخل من أحد إطلاقاً.

لقد بقينا متحيّرين لكن السائق تحرك وأنصرفنا متجهين إلى بغداد. أما المرأة فبعد أن سقت المريض هذا السائل أخذت الكأس وغابت وكلما

بحثنا عنها فلم نعثر على أيّ أثر لها.

أن الملاحظ في الأمر: أن قوةً خارج منظومتنا المحسوسة أوقفت السيارة وجاءت بهذه المرأة. وبالتالي تعافى المريض وعاد واشـتغلت السيارة. ونحن لم نشعر أن هذه القوة هي التي رتّبت كل شيء.

القصة الثانية:

سيارة اوتوبيس تقلُّ ٤٠ راكباً متجهةً من مدينة مشهد إلى طهران عن طريق الشمال.

مرّت الحافلة هذه بمنطقة خطرة وهي (غابات گلستان) وإشارات التحذير على طرفي الطريق تمنع نزول أيّ مسافر حيث ستهاجمه الذئاب أو الأسود أو الدببة في الغابة. لذلك تأمر التعليمات عند حصول حادث أن ينزل الركاب كلّهم.

كانت الحافلة تسير وفي منتصف الليل وفي مسير منحدر شديد والمطر يهطل. وإذا بالسائق توقّف فاعترض الركاب على توقّفه فأجاب بأن رجلاً على الطريق أومأ إليه. وربما إن تُرك الرجل فستأكله الحيوانات. أما الركاب فكانوا جميعاً يفتشون عن هذا الرجل فلم يجدوا أيّ أثر والسائق يحلف لهم بالله أنه بعينه شاهد رجلاً يومئ إليه.

وهنا النكتة:

بينما السائق جالس في مقعده وإذا به سكت تماماً وغمض عينيه ومات. وكانت هنا الملاحظة الحاسمة أو اللطف الإلهي. حيث أن هذا السائق لو كان قد استمر بقيادة الحافلة ومات أثناء ذلك لكان مصير السيارة وركابها السقوط في الوادي ومقتل كل الركاب. لكن عالم الغيب

وقدرة القادر تمثّلت للسائق بصورة رجل يومئ إليه. أو ربما ملكٌ على صورة بشرٍ أومئ إليه بالتوقّف. لتُكتب النجاة للمسافرين ويسلموا من موت محّتم.

أقول:

وكم من مورد ومورد تأتي المهمة الخطيرة على يد رجل ولكنه في الحقيقة ليس بشراً وإنما هو ملك مُرسل. كما حدثتنا الآية عن روح القُدس عليه السلام الذي تمثّل للعذراء مريم عليها السلام بصورة آدمي كما تقول الآية: ﴿...فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً﴾.

إذن هذا هو العالم الغير محسوس والذي يتحكّم بمراقبتنا بدّقة وشكراً.

هذا ما جرى

ليس غريباً أن يلحق بالشيعة ضرر من النواصب أو التكفيريين أو الإرهابيين فإن هذا أمرٌ طبيعي. لكن الذي يحزّ بالنفس أن يكون مصدر الضرر هو منك وفيك وليس وراءه سببٌ إلا الأحقاد والأنانيّات والتنافسات وكما قيل:

وإن أذى القربى أشدُّ مضاضةً على المرء من وقع الحسام المهنّد

في عام ٢٠٠٠م عزمتُ على السفر إلى القاهرة وحصلتُ على السمّة بصعوبة بالغة كون السلطات المصرية حذرةٌ جدّاً من دخول الشخصيات الشيعية إلى مصر.

قبل سفري إلى مصر التقيتُ المرحوم الشيخ أحمد الوائلي بلندن وكان لقاءً مطوّلاً ولما علم بسفري إلى مصر استأنس وطلب مني مساعدته في أمرٍ مهم.

سبحان الله أنني إلى تلك اللحظة لم أكن أعلم أن هذا الرجل يرسل مساعدات إلى بعض المصريين من أتباع أهل البيت بشكل منتظم وبطريقة صعبة. نعم، كان يبعث بيدي المساعدات إلى إيران وإلى جهاتٍ أخرى أما مصر فلم أكن اعلم بذلك.

أخبرني الشيخ الوائلي بوجود أشخاص هناك وأعطاني عناوين مساكنهم وكان أكثرهم في منطقة المقطّم. وقسم منهم في منطقة المرج.

وعوائل تسكن منطقة الدّقي وفعلاً استلمت منه مبلغاً من المال وكان عشرة آلاف دولار.

عند وصولي إلى القاهرة دخلتُ المطار ومعي زوجتي وكنت بلباس عادي فتم احتجازنا بالمطار بحدود الساعتين. وبعدها وصلنا الفندق. وكنا طيلة إقامتنا في مصر تحت الرصد ويتتبعنا رجال المباحث. لكنني وبلطف إلهي التقيت بهؤلاء وأوصلتُ إليهم معونات المرحوم الوائلي وكانوا يردّدون الدعاء له.

إنني رغم وجودي لفترة مطوّلة في مصر عام ١٩٧٣ لم أكن اعلم عن هذا الوجود لأتباع أهل البيت هناك لكن المرحوم الوائلي حين دراسته هناك لعب دوراً في الاتصال بهم وتثقيفهم ومن جملة ما اطلعتُ عليه أن ٤ حسينيات مهجورة ومغلقة في منطقة المقطم وهناك مساجد مغلقة وتكيات على هيئة تجمعات صوفية. وأهمُّ ما في الأمر أن هؤلاء أشّد ما يحتاجون إليه الدعم المالي لصيانة هذه الأماكن ولإقامة الشعائر فيها ولو بشكل سرّي وهادئ فوعدتهم بإيصال استغاثتهم هذه إلى المؤمنين.

وماذا بعد:

لقد ذكرتُ هذه الظروف لبعض الأخوة المؤمنين في بعض البلاد وهنا أخبرني ثلاثة من التجار أن لديهم مبالغ كبيرة من الأخماس وأنهم يقلّدون الشيخ آية الله العظمى... رحمه الله ولا مانع لديهم من إرسال هذه الأموال إن أجازهم بذلك. وهذا المرجع هو نجفيٌ في تفكيره وعلى خطّ الإمام الخوئي رحمه الله. ورغم أني وكيل لهذا المقلّد المرحوم لكن

وكالتي تسمح لي بالثلث وأخيراً كتب هؤلاء الثلاثة رسالة واحدة إليه وطلبوا منه الإذن بإرسال هذه الأخماس إلى أتباع أهل البيت في مصر وذلك لصيانة الحسينيات وإقامة الشعائر وغير ذلك.

حملتُ الرسالة إلى هذا المرجع المحترم ودخلت عليه. ورغم أني وكيله فإني تلميذٌ له في النجف الأشرف بعض الوقت وكان يودّني بشكل خاص. سلمته الرسالة وقرأها وشرحتُ له المضمون وكان ولده واقفاً يطلّ على الرسالة ثم صاح الولد مستهزئاً: أنهم يريدون أن يحولوا المساجد والحسينيات هناك إلى معابد للخميني والخامنئي وباقر الصدر. ويشكلوا حزب الله مثل لبنان وأخذ يزبد ويعربد. أما الوالد (رضوان الله عليه) وضع الرسالة في جيبه وطلب إليَّ التريث حتى يدرس الأمر وحيث أني على أعتاب السفر لذلك البلد الذي هو منشأ الرسالة فقد بقيتُ أتردد عليه وكان يخبرني مرّة أن الرسالة ضاعت. ثم سألني هل هي بقيت عندي فأجبته بأنكم وضعتموها في جيبكم وبالتالي تبخرّ كل شيء.

إنني أترك التعليق للقارئ الكريم وأوجه له هذا السؤال:

يا تُرى من غيّب هذه الرسالة؟؟؟ ومن أفشل هذه المساعي؟؟؟

حسن التخلص؟

لا أريد ذكر اسمه رحمه الله، وهو شخـــصية علمائيـــة وأدبيـــة واجتماعية كبيرة في النجف الأشرف وبنفس الوقت يتمتع بدماثة الخلق وطراوة النفس حيث شارف على الثمانين من عمره ولكنه شابٌ بذوقـــه وروحه.

تعود هذه القصة لأواخر الخمسينيات فلم يكن أهل النجف الأشرف يعرفون ما معنى السينما وما هو مضمونها، فقط أنهم يعلمون أن مـــن يرتادها فهو فاسقٌ عاصٍ لربه ووو.... ولم تكن آنذاك فـــي بغـــداد إلا ثلاثة دور سينما فقط.

كان هذا العالم الجليل شغوفاً أن يطلع على هذا الأمر بعينه فسافر إلى بغداد وبقي يوماً في الكاظمية واستطاع التعرف على سائق ســـيارة تاكسي فاخبره بأنه يود أن يشاهد السينما ويتعرف على ما يدور فيهـــا ولكن حيث يتعارض دخوله السينما مع هذا المظهر وهذا اللباس فأنـــه يود أن يكون معه وبرفقته في السينما حتى ينتهي عرض الفلـــم، لكـــن السائق رد عليه: كيف تدخل بلباسك هذا يا شيخنا؟ قال له: لا بأس إني جئت بدشداشة ويشماغ، فأنزع ملابسي وأضعها في صندوق الـــسيارة الخلفي وأرتدي الدشداشة اليشماغ وندخل إلى السينما، وفعـــلاً حـــصل ذلك، حيث خلع الشيخ عمامته وجبته وعباءته وترك ذلك في صـــندوق السيارة الخلفي وذهبا هو والسائق وحضرا العرض وخرجا.

وماذا بعد:

لقد خيم سوء الصدفة على الموقف حيث وقعت حادثة سطو بجنب السينما وقد أغلقت الشرطة الطريق وكانت تفتش السيارات القادمة من السينما وصار سيارة الشيخ في الوسط وأوقفتها الشرطة وأمرت السائق بفتح الصندوق الخلفي وما أن أنفتح الصندوق حتى صعق ضابط الشرطة لما شاهد العمامة والجبة وصرخ: الله أكبر (مومن وطاب للسينما) هنا ظهرت براعة الشيخ في تخلصه بطريقة فنية متقنة فخاطب الضابط قائلاً: (عمو أصبر حتى تعرف الأمر) ثم قال له: إن مراجع النجف الأشرف تصلهم استفتاءات متكررة حول الدخول إلى السينما وهل أن ذلك حرام أم حلال، فكلفني المراجع بالذهاب بنفسي للاشراف على ذلك وحتى أنقل ذلك إليهم وأنا كما تعلم لا يمكنني الدخول الزي العلمائي إلى السينما لذلك وضعت ملابسي هنا وأكملت مهمتي وأنا الآن عائد إلى النجف الأشرف. فلما سمع الضابط ذلك أخذ يعتذر إليه، وانتهى الأمر.

إنها في الواقع لفته ذكية وطريقة فنية في التخلص ورحم الله شيخنا هذا بواسع رحمته.

شاه إيران وأخماسه

في أواسط الستينيات أُلقي القبض على أحد علماء طهران وهو المرحوم الحجة السيد رضا كشميري بسبب هجومه الشديد على سلوكيات شاه إيران. وبعد فترة من الحبس في زنزانات الشاه أقتيد إلى المحكمة.

أوقف هذا العالم الجليل في قفص الإتهام عدة مرات حتى أصدرت المحكمة بحقه حكماً غريباً من نوعه، وذلك أنّ رئيس المحكمة خاطبه حين إبلاغه الحكم قائلاً:

لقد قضت المحكمة بحبسك لخمس سنوات نظراً لتهجّمك على جلالة الشاه ولكن لأنك من رجال الدين ومن أئمة المساجد فقد رأت المحكمة استبدال السجن بغرامة مالية وهي ثمانون ألف تومان (١٢٠٠٠) دولار آنذاك. وكان هذا المبلغ ثمن بناية كبيرة في طهران.

أما السيد الجليل فتأمّل قليلاً ثم خاطب رئيس المحكمة والأعضاء. قائلاً: هل يمكن للشاه أن يحتسب هذه الغرامة من أخماسه. وهنا ضحك بعض المحلفين وأعضاء المحكمة إلا أن رئيس المحكمة احتفظ بمظهره وعلّق قائلاً: رجاءً ليس هنا مجال للمزاح إنها محكمة. وردّ عليه السيد قائلاً: وأنا أيضاً لا أمزح وإنما أتكلم بجدية. أليس الشاه يصرّح دائماً أنه متدين وملتزم بالفرائض فبناءً على هذا لابد أن يكون بذمته خمس. إذن فليحتسب هذا من الخمس الشرعي الذي يجب عليه.

هنا وقع القاضي في تأمّل ثم خاطب السيد قائلاً: إذن أكتب لنا طلباً بذلك فكتب طلباً باحتساب ذلك من الخمس وتم إخلاء سبيله بكفالة. وبعد عشرين يوماً جاءه إعفاء من مكتب البلاط الشاهنشاهي وأُغلق الملف.

أقول:

إنني هنا ذكرت القصة على ما هي عليه كسائر القصص وهذا لا يعني أن يُفهم منها أن الشاه متديّن وملتزم لكنه كسائر الحكام الفسقة فهم يتلبسون بأعمالٍ كهذه للتسويق ولإعطاء أنفسهم بريقاً دينياً؟؟؟

ومن جميل القصص

رحم الله صديقي العزيز الخطيب السيد محمد حسن الشخص رضوان الله عليه والذي احتفظُ بالعديد من الذكريات الطيبة عنه.

في عام ١٩٦٣م سافر رحمه الله إلى قطر بدعوة من الحسينية اللارّية هناك. ونزل ضيفاً عند الحاج حيدر سليمان اللارّي زعيم الجماعة اللارّية هناك وبحكم طبعه الرقيق ونكاته وطيب مجلسه أصبح له سوق حارٌّ هناك.

يقول الحاج حيدر سليمان اللارّي بعد سفر السيد بشهرين جاءني اتصال هاتفي من مكتب الشيخ أحمد بن علي ثاني حاكم قطر أن أحضر عنده الساعة العاشرة صباحاً. وهو أمر طبيعي حيث يستشيرني ببعض الأمور وخصوصاً ما يرتبط برجال الدين والعلماء.

حضرت عنده حسب الوقت وكانت بيده ورقة يقرأها ثم قال لي أن وفداً مكّوناً من ثلاثة أشخاص من النجف الأشرف وهم رئيس مجلس العلماء وعضوين معه سيصلون إلى البلاد غداً. لذا فقد أمرت وزارة الخارجية بالتنسيق معك في أمر استقبالهم وبرنامج زيارتهم ومكان إقامتهم.

ويقول الحاج حيدر: إنني لم أطلع على الأسماء وفعلاً تم التنسيق مع الخارجية القطرية. وحضرنا إلى المطار في موعد الوصول وحطت طائرة الخليج قادمة من الكويت ووقفت أنا ومندوب من الخارجية عند باب الطائرة. وفعلاً نزل الوفد وإذا به السيد محمد حسن الشخص ومعه

مرافقاه وهما من رجال الدين.

لقد تفاجأ السيد الشخص بحضوري فأشار إلي بحاجبيه أن أتعامل مع الحالة بشكل طبيعي. وفعلاً مسكت نفسي وتم أسكانهم في فندق الهلتون. ونُضمت لهم جولة على المكتبات ولقاء مع حاكم قطر.

ويقول: لقد حضرت معهم عند الشيخ حاكم قطر. وكان الوقت المعين للمقابلة نصف ساعة لكنه امتّد إلى ساعة ونصف وذلك بطلب الحاكم نفسه وذلك لشدّة استئناسه بنكات ومطايبات السيد الشخص وكان يردّد بأني منذ سنين ما ضحكت واستأنست كهذه الجلسة. وبعدها بيومين غادروا البلد وجيوبهم مثقلة وحقائبهم مليئة بالهدايا الثمينة وعندما ودعتهم في المطار همس في أذني السيد الشخص، قائلاً: (خلّيها بيني وبينك خوش ضربة)؟؟؟ فكدّت أسقط من شدة الضحك!!!

وماذا بعد:

بعد هذه السفرة بستة أشهر جاء هذا الحاكم القطري الشيخ أحمد بن علي آل ثاني إلى العراق في رحلة صيد وحمل معه صقوره ولوازم الصيد وضرب خيامه في بحر النجف الأشرف وبترتيب مع السلطات العراقية. وأثناء مطاردته ذات يوماً صيداً سقط من على ظهر الفرس وأنكسرت يده اليمنى وعولج بعدها وتم إسكانه في قصر الملك في الكوفة على ضيافة الدولة.

وهنا جاء دور السيد الشخص. فقد دخل عليه لعيادته ومعه أحد أولاده الصغار وحين دخوله صاح بولده بصوتٍ عال (قبّل يد عمك سمو حاكم قطر) وما كان من الشيخ إلا أن فتح صندوقه وقدم له ربطة

من الدنانير وهي (مائة دينار) ثم استمرت زياراته المطعمـة بالنكـات حتى دعاه السيد إلى طعام الغداء عنده في بيته كما دعى معـه ثلاثـة محافظين وهم محافظ الحلة ومحافظ كربلاء ومحافظ الديوانية، وكانـت الوليمة تاريخية كمّاً وكيفاً.

إلا أن الشيخ إنبهر بمكتبة السيد الشخص وسـأله كيـف جمعهـا وكيف رتبها ثم انتهى المجلس.

وماذا بعد...

بعد عودة الشيخ إلى بلاده بشهرين قام السيد الشخص بما نـسميه (بالضربة الفنية) حيث ذهب إلى شارع المتنبي ببغداد واشـترى كتبـاً كثيرة من الباعة المتجولين ثم جمعها مع كتبـه حتـى صـارت ٢٥٠ كارتون كبير وأرسلها بالشحن البحري إلى قطر وعنونها إلـى حـاكم البلاد. وبعد أن عرف خبر وصولها حضر إلى قطـر وقابـل الـشيخ وأعلمه أنه استجابة لإعجابه بالمكتبة فقد جمعها وأرسلها إليه كهدّيـة. وهنا استأنس الشيخ وقال له: سنقوم ببناء مجمع خاص لهذه المكتبة.

ثم قدّم له سيارةً جديدة من نوع (دوج) مع مبلغ عشرة آلاف دينار.

وتم شحن السيارة إلى العـراق وقـدّرت قيمتهـا آنـذاك بـألف وخمسمائة دينار.

يقول السيد رحمه الله أن كل الكتب سواءً من بغداد أو مكتبتـه لا تساوي أكثر من ألفي دينار لكن مدخولي من هذه الخطوة تـسعة آلاف وخمسمائة دينار وهنا تأتي الكلمة الشعبية الشهيرة (الشاطر مـن يمـلأ السلة بالعنب) ورحم الله الماضين.

ضياع الطاقات

من أبشع أسباب فشلنا ماضياً وحاضراً هــو انتحــار الطاقــات والمواهب على منحر الأنانيّات والمحسوبيات.

فبالأمس القريب وتحديداً في الأسبوع الأخير من الــشهر الرابــع عام ٢٠١٣م كنت جالساً عند صديقٍ لي وإذا بي أشاهد بالتلفاز مــشهداً قطعني وهدّركني لشدة الأسف. وهو مــؤتمر التقريــب بــين مــذاهب المسلمين المنعقد ببغداد.

فالمؤتمر مهم، والحضار مهمون، واعتلا المنصّة وزير الأوقــاف الأردني السابق ليلقي كلمةً جميلةَ المضامين والابداع. مما بعث عنــدي النشوة ثم جاء دور كلمة مسؤول الوقف الشيعي وإذا به على عكس ذلك تماماً مما دمرّني بألم الخجل.

هنا أعود إلى السؤال الحزين والمؤلم فأسأل هل غابــت طاقــات النجف الأشرف التي أذهلت العالم قديماً وحديثاً. إذ لا ينــسى علمــاء المسلمين كلمة المرحوم كاشف الغطاء في الخمسينيات في مؤتمر القدس العالمي والتي هزَّ بها المؤتمر وأبدع إبداعاً رهيباً وكانت كلمةً ارتجالية دون أي قُصاصة يحملها بيده.

نعم، هناك رجال ورجال حتى اليوم وغداً لكن من الذي يعــزلهم عن أداء رسالتهم؟؟؟ من الذي يحرم الأمّة من مواهبهم؟؟؟ مــن الــذي يغيّبهم عن بناء المجتمع وتهذيبه.

إنه مرضُ الأنا؟؟؟ إنها هي المحسوبيات اللئيمة والمدمرّة لتاريخنا

وحضارتنا فمسؤوليةٌ كهذه ألا يفترض أن يقوم بها من لديـــه الكفــاءة والمؤهلات نطقاً وقلماً وحركة.

ونحن ندرك ونعرف تماماً أن من وراء فرض هؤلاء الغير أكفّــاء على هذه المناصب لا يُراعي إلا الطاعة والامتثال ومن هي كلمــتهم لهــم (وحدك لا شريك لك) وهذا هو المطلوب أما العناوين التي ذكرناها فهــي في سلّة المهملات. والمقياس الحاكم اليوم هو تقديم المفضول على الفاضل.

لكن العتاب يقع على الأخ العزيز (الدكتور أبو ياسر) الذي هــو رقم مهّم وراعي ذلك المؤتمر إلا اللهم والعياذ بالله هو أيضاً وقع تحت هذا التخدير.

أقول:

لقد دخلتُ العراق بعد غياب دام ثلاثة عقــود وكنــت أظــن أن المؤسسات الروحية والدينية ستستفيد مني كخبير في السياسة والمنبــر والشؤون الاجتماعية. ولكني واجهت مصيراً واجهه مَــن جــاء قبلــي وبعدي وهو التهميش وإعطاء الدور لمن هم على هذا المشرب. وهــو الملق والتزلف لابن هذا المرجع وذاك حيث كلما واجــه أبنــاً لأحــد المراجع خاطبه (وحدك لا شريك لك) وبالتالي أصبح هذا مصير العراق على كل الأصعدة ودر القائل:

وذو جهل ينام على فراش وذو علمٍ ينام على التراب

إذن سيبقى العراق من سفالٍ إلى سفالٍ ومن إنحدار إلى إنحدار:

دعوتُ على عمر فلما فقدته بُليتُ بأقوامٍ بكيتُ على عمرِ

أكتب هذا واستغفر الله لي وللقراء وأتوب إليه.

خيانة البساطة

التقى هذا القيادي العراقي المعمم (والبسيط بطبعه) أحـدَ مـشايخ دول البترول. وحينما عانقه أطلق كلمة بصوتٍ خافت وخجـول: لقـد أختنقت بإيران. وظنَّ أن الكلمة لن تتجاوز الضيف ومستقبله رغم وجود عنصرين من مكتبه السياسي معه إلا أنهما كانا على غير مقربةٍ منـه. أما المُضيّف فكان على جنبيه حارساه أو موظفّاه.

لقد تركت هذه الكلمة انطباعاً إيجابياً عند هذا الحاكم الخليجي الذي دعى هذا الضيف ضمن استراتيجية لتطويق وتحجيم دور الجمهوريـة الإسلامية في العراق. فكانت الكلمة هذه وبلا شك مؤثرةً في مـضاعفة الدفع أو ما نسميه باللغة الآخوندية (الپاكت؟؟؟).

إن هذا الضيف البسيط لم يكن يفكر أبداً أن الأيام ستدور به بعـد فترة قليلة لتجمعه بمسؤولٍ أمنّيٍ إيراني كبير فعانقه بحرارة وهو يـردّد مبتسماً (آغا چرا أز دست ما احساس خفكي كردى) وترجمتها (سـيدنا لماذا أنت متضايق منا وتشعر بالاختناق).

لقد كاد هذا القيادي أن يسقط أرضاً لدهشته. فكيف وصلت كلمته التي قالها بهدوء وبشكلٍ سريع إلى هذا الرجل. ومن الـذي قـاد هـذه المعلومة؟؟؟

نعم، إنها من دواعي اللعبة السياسية. لكن هـذا الـسيد المكـرّم لاحظناه مراراً. تخونه بساطة طبعه التي أتصف بها!!!

الإمام موسى الصدر

المرحوم فقيد الطائفة الإمامية السيد موسى الصدر هو رقمٌ مباركٌ ويعتبر فخراً من مفاخر الأمة الإسلامية، وثمرة ثمينة من ثمرات الحوزة العلمية في النجف الأشرف.

والسيد موسى الصدر هو من أسرة غنيّة بعشرات من العلماء والأدباء والمراجع ومنذ مئات السنين.

والسيد موسى الصدر هو عربيٌ بالأصول وبالنشأة فهو من ذرية النبي صلى الله عليه وآله الذي شُرفت به العرب ونشأته في بلاد العرب حيث تتوزع أسرته بين العراق ولبنان وإيران إذ هاجر عدد من علماء هذه الأسرة إلى هناك هرباً من جور الطغاة التكفيريين.

بعد هذه المقدمة نقول:

لا عجب أن يتميّز السيد موسى الصدر بمواهب فريدة على صعيد البلاغة ولذّة التحدث وسرعة البديهة وصباحة الوجه وعمق التفكير المتنّور؛ لأنه ابنُ النجف الأشرف وربيب محافلها العلمية.

وهنا أذكر عنه حالتين نعرف منهما قيمة هذه الموهبة. وهي ملاحة الحديث المتسمة بالابتسامة والجذابيّة وطيب المجلس.

لقد زار رحمه الله الكويت في أوائل السبعينيات. وكنت هناك، وكان على رأس برنامجه لقاء مع الشيخ جابر الأحمد الصباح وقد أُعطي الوقت له نصف ساعة فقط لتزاحم الالتزامات لكن ماذا حدث:

في بداية اللقاء بدا الشيخ جابر منكمشاً لأن هؤلاء الأشخاص قد أُشبعت أذهانهم بترُهات عن عمائم الشيعة. لكن سرعان ما أخذه الحديث يميناً وشمالاً فتكهرب الشيخ جابر وصاح بالسكرتير الخاص أن يغير جدول الالتزامات. واستمر الحديث لساعتين ونصف والشيخ جابر غارق في لذّة حديث السيد ثم قال له عند الخروج يا شيخنا سامح الله من سمّم أفكارنا عنكم. وأني والله والله والله (قالها ثلاثاً) ما سررت بلقاء ولا استأنست بحديث مع عالم ديني كما هو اليوم معك يا شيخنا إن أبواب الكويت مفتوحة أمامك ونعتز بك.

وقد نقل لنا هذه الوقائع مسؤول الديوان الأميري آنذاك الحاج درويش العرادي (رحمه الله).

أما الحالة الثانية فهي:

كما نقلها لنا الحاج حيدر سليمان اللاري في قطر حيث قال:

لقد زار الإمام موسى الصدر دولة قطر وضمن الزيارة قابل حاكم قطر الشيخ أحمد بن علي آل ثاني. وقد حدّد الوقت أربعين دقيقة.

ويقول الحاج حيدر:

أن هذا الحاكم بدوّي الطبع وخشنٌ في سلوكه حيث يقضي أكثر وقته مع الصقور والإبل والجياد ونادراً ما يلتقي شخصيات دينية وهادئة. لذلك ما إن أنشغل بالحديث مع الإمام الصدر حتى تغيّر كلّيةً وانتهت المهلة والشيخ يصرّ على السيد الصدر بمواصلة حديثه.

ويقول الحاج حيدر:

مرت ساعتان بالضبط وهذا الحاكم محدّق بعينيه على السيد

ومبهوت ومنبهر بحديث السيد الصدر. وعند خروجنا همس في أذني وهو يقول: يا حيدر مبروك عليكم هكذا علمائكم.

وأضاف الحاج حيدر قائلاً:

دعونا السيد الصدر إلى الديوانية عندنا للعشاء ودعونا معه حوالي ٥٠ شخصية من البلد من شيعة وسنة وغيرهم وبعد العشاء انشغل الحضار بالحديث مع السيد وهذا يسأل وهذا يُشكل والسيد منشرح يتحدث وتغطيه الابتسامة والهيبة والهدوء. وهكذا ونحن لم نحسّ أبداً وإذا بالمؤذن يرفع أذان الفجر فصعق الكل لهيمنة حديث السيد على مشاعرهم ووجدانهم.

حقّاً إنها نعمة كبرى من الله عز وجل وهي نعمة الفصاحة والبلاغة ودماثة الخُلق وصباحة الوجه.

وشكراً لله على نعمه.

أيّتها النُخب المثّقفة

لقد قطعنا شوطاً طويلاً من الحياة. وشاهدنا المتغيرات حتى هبوط الإنسان على سطح القمر عام ١٩٧١م وهكذا إلى اليوم تطور بعد تطور وعلى كل المسارات.

أما حوزاتنا العلمية ومؤسساتنا الدينية فمنذ أن وعينا علـــى هـــذه الدنيا وحتى هذا اليوم لا جديد؟؟؟ والكل يدور في حلقةٍ مُفرغـــة كمـــن يسير في طريق يوصله إلى مربعه الأول.

فالفقه هو ذاك والأصول كذلك والعقائد والتراث وغيره هو ذاك.

حينما أتجول في مدينة قم أو مشهد أو أصفهان أو النجف الأشرف فلا أمرّ بزقاق أو شارع إلا والعناوين تأخذ ببـــصري يمينـــاً وشـــمالاً (مراكز تحقيق، حوزة علمية، مراكز أبحاث، مؤســـسات ثقافيـــة، دور تبليغ) ثم هكذا (خطباء المنابر، خطباء الجمعة والجماعـــات) وانتهـــاءٌ بالفضائيات التي تعجّ بالخطباء، والإذاعات التي لا تُعد ولا تحصى في العراق وهي تبث الأدعية والمحاضرات، المواقـــع الالكترونيـــة، بّـــثُ الصلاة من العتبات المقدّسة.

فما الذي أنتجته وما هي النتائج. وما هو مـــردود مبـــالغ طائلـــة تُصرف على هذا سواءً في إيران أو العراق وبالقطع فإن ما ينُفق عليها من ضخ المال في الشهر الواحد ما يعادل قيمة بناء محطة كهربائية أو مصنع يعمل فيه ٣٠٠ موظف وعامل.

أو تكاليف تعبيد طريق يمتد ١٥٠ كيلومتراً، أو إنـــشاء مـــصفى

نفطي صغير وطبعاً كل هذا الضخ هو أما من أموال الدولة أو من الأخماس الشرعية!!!

بالمقابل فإننا نشاهد وبحسٍ ملموس وواضح تردّي الحالة المعنوية والأخلاقية يوماً بعد يوم من قبيل: قلة الحياء عند الفتيه ذكوراً وإناثاً، اتساع دائرة الكذب والغش والسرقات، تكاثر الطلاق وتفكّك الأسر، مظاهر التبرج والخلاعة بشكل رهيب ومروّع، تزايد عقوق الوالدين، حالة الميوعة عند الشباب، تكاثر حالات الربا، اختفاء ظاهرة صلة الأرحام. وغير ذلك وهذا على صعيد الشعبين الإيراني والعراقي. وأؤكد بالذات على الشعب الإيراني الذي لاحظته في السنين الأخيرة وكأنه يميل إلى التراجع إلى المبادئ الزرادشتية وبالتأكيد نلحظ هذا قبل مناسبة النوروز بشهرين وما يجري في أيام النوروز وقبله مما محاه الإسلام، وكذلك العودة إلى تسمية مواليديهم بالأسماء الساسانية القديمة وتجاهل أسماء أهل البيت عليهم السلام.

أيتها النخب المثقفة:

ما الذي صنعته هذه الوجودات والخطباء ووو... وخطباء الجمعات وغيرهم إلا اللهم الشعارات الفارغة والعناوين التي يُشغل بها الناس بلا جدوى.

إنني أخشى ردةً خطيرة وربما بعد سنواتٍ قليلة ويكفر الكل بنا وبشعاراتنا الجوفاء.

إنني اعتقد أن الوضع أصبح بحاجة ماسة إلى رعيل من الخطباء والعلماء العاملين أن يتحركوا ميدانياً ووسط المجتمع. وبطريقة شعبية وأن تكون حالة القول والفعل متطابقة علمّاً يحصل هناك تأثير إن شاء الله.

ما هكذا يا دكتور

واصفاً نفسه بالدكتور دون أن يشعر بأن حديثه على المنبر وعلى الفضائية أثبت أنه أُمّيٌّ صرف. وما عنده إلا استعارات أخذها من الأشرطة والتقط من هذا كلمة ومن ذاك كلمات.

معلمنا هذا وذاك خطيبنا تعالوا على الإسلام نبكي ونلطم

نعم، استهلك هذا الخطيب (الدكتور) نصف ساعة ليثبت أن النبي صلى الله عليه وآله ليس له بنات غير فاطمة الزهراء عليها السلام وأن زينب ورقية وأم كلثوم هن من أرحام زوجته خديجة. أو هنّ بناتٌ لأخت خديجة. واستمر هذا الدكتور غارقاً في سفاسفه.

وليته ثبت على هذه الفكرة وختم حديثه. لكنه في آخر الأمر أو ما نسمّيه (بالگريز) وقع في تناقض مع نفسه دون أن يشعر فقال. أن الزهراء عليها السلام أوصت الإمام علياً بوصاياها ومنها: وإذا أردتَ التزويج فعليك بابنة أختي أمامة؟؟؟ وأجعل لها يوماً وليلة ولولديَّ الحسنين يوماً وليلة.

لم يشعر هذا الدكتور بتناقضاته فقبل قليل نفى أن يكون للزهراء أخوات ثم ذكر كلام الزهراء بابنة أختي!!!

وطبعاً أمامة هي ابنة زينب بنت رسول الله وفعلاً تزوجها الإمام علي عليه السلام طيّب. لمن نصدّق نصدّق هذا الدكتور الذي نفى أن للزهراء أخوات أم نأخذ بكلام الصديقة الزهراء عليها السلام وهي

إحدى المعصومين الخمسة بنص القرآن.

إن الخطر الذي يحاصرنا هو ليس من أعدائنا فقط وإنما أنفسنا. ولله در الشاعر حيث يقول:

الخوف أن يُبنى فريق مؤمنٌ بحطام آخر مثله يتبدّد

ونعود فنسأل متى يتحرّر المذهب والتراث من المتاجرين والمنتفعين به.

متى يتحرّر العقل الشيعي ليخرج من هذا السجن المظلم.

بالَ حمارٌ فاستبالت أحمرة

طالما يمرّ بي هذا المثل العربي الشهير وذلك حينما أرى جماعات وربما الآلاف تنقاد بالتأثير العاطفي أو بلعبة محتال وتتأثر به على غير هدى ووعي.

هنا أتوقّف كثيراً والحديث عن داخل أمتي المنكوبة والمغلوبة على عقلها. أتوقّف عند بعض الطقوس الدينية أو ببعض الأعمال. والتي هي لا معنى لها ولا مدلول.

فمثلاً:

أقف عند باب من أبواب الصحن الكاظمي الشريف وهناك مطرقةٌ صغيرة على الباب فأشاهد العشرات من الزوار يقفون طابوراً وهم يتناوبون على ضرب المطرقة ولما أسأل الفرد منهم عن معنى هذا العمل ولمن تُطرق هذه المطرقة أهي لله تعالى فإن الله ليس بأطرش أم تطرق لغيره ومن هو هذا؟؟؟ فيبقى الفرد حائراً دون جواب. نعم، أن فرداً صنع ذلك فانقاد إليه الكل.

أُشاهد مثلاً عند أبواب صحن الإمام الرضا عليه السلام خادماً واقفاً وبيده عصا مطّليٌ رأسها بالفضة. والناس يقفون صفاً طويلاً لتقبيلها فأبقى أتساءل ما معنى هذا وهل فعله معصوم من المعصومين؟؟؟

أُشاهد في بعض الحسينيات أُناساً يضربون على المنبر بأيديهم بشدّة ثم يقبّلوه ويطلبون حوائجهم. ولما استفسر منهم عن معنى ضرب

أخشاب المنبر بهذه الشدّة فلا أجد عندهم جواباً.

يلاحظ أن هناك في إيران بعض المواقع وهي عبارة عن نبع ماء يتزاحم الناس رجالاً ونساءاً ويلقون بأوراق نقدية فئة خمسة آلاف تومان أو أكثر أو أقل ويكتبون عليها حوائجهم وتذهب هذه الأموال وتذوب في الماء. وحينما نتساءل ما تفسير هذا العمل ومــن أمــر أو عمــل بــه. والنتيجة لا جواب.

وهكذا الكثير من هذه الأعمال والبدع وتزداد يوماً بعد يوم. ومــا نراه اليوم من نشر المناديل التي يجفف بها الخطيب عــرق جبينــه، أو تراب غسيل فراش الصحن الذي يوزّع للبركة، أو قطع السكر (القنــد) ويُزعم أنها شفاء... وهكذا دواليك.

لابد لذوي الاهتمام والعقل من اتخاذ مواقف من هــذه الأعمــال والبدع وإلا فسيتحول مذهبنا إلى الوثنية والصنمية.

السؤال الذي يُطرح بشدّة من هو المسؤول عن مواجهة تفشي هذه البدع؟؟؟ أليس هم العلماء الذين يصفهم الحديث أنهم ورثة الأنبياء. أليس الحديث الشريف يقول (إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه وإلا فعليه لعنة الله والملائكة أجمعين).

وكأنّي بجواب المراجع العظام لي بلسان حالهم. أسكت وأخرس إننا في غنىً عن نصائحك. إن مُهمتنا الأساسية طاعة الناس لنا بــشكل كامل وتقبيل أيدينا وإعطائنا الأخماس فقط لا غير.

آه آه على هذه الطائفة البائسة وإلى متى تبقى كالامعات كلما قــام مُحتالٌ بحركةٍ ركضوا خلفه بلا تفهم ولا تفّكر وهنا يأتي المثل الــشهير (بال حمارٌ فاستبالت أحمرة).

حذار من العزّة بالإثم بالباطل

قرئت في بداية التسعينيات في بلدٍ خليجي وكنت في العصر أرقى المنبر في إحدى الحسينيات في العشرة الأولى مـن المحـرم وكـان يحضر في المجلس بعض كبار وجوه الشيعة ولهم شأنٌ لدى السلطة.

ذات يوم غادرت المجلس بعد القراءة فأقبلت علـيّ عنـد بـاب الحسينية فتاتان في الثلاثين من العمر وسلمنَ عليّ وقلن: سـيدنا نحـن نحضر كل يوم هنا وفي الليالي الحسينية.... أيضاً ونستفيد كثيراً مـن محاضراتك وجزاك الله خيرا.

ثم قلن لي: سيدنا نستميحك عذراً أن تتحمل بعـض حـديثنا ولا تنزعج، قلت: لا بأس ما الموضوع، قلن: أن فلاناً.... الـذي يجلـس بجنبك في المجلس هو أبونا ونحن بناته من زوجته الأولى وقبل سـنين هجر أمنا بسبب زواجه الجديد وهو على عناد شديد مع أمنا وأصـبحنا نحن كبش الفداء فهو إيذاءً لأمنا يرد كل خاطب يقدم على الزواج منـا، والآن أنا وهذه أختي قد تجاوزنا الثلاثين من العمـر وأوشـك قطـار الزواج أن يفوتنا، ثم أجهشت إحداهن بالبكاء وقالت: لو كـان يجـوز لأخرجت لك شعري والذي بدأ فيه يظهر الشيب مـن غصـصنا، ثـم تساءلت قائلتاً: ألست يا سيدي لو أنني تزوجت قبل عشر سنوات لكـان معي الآن ولدي يسايرني وهكذا أختي هذه.

ثم قالت أنه يرد الخاطب بحجج واهية ويرفضه بدعوى أن هـذا

كان أبوه عامل عندي وذاك كان نجاراً فقيــراً وهــذا غيــر معــروف وهكذا... والآن نحن في قبضة أنانيته وضحية عدائه لأمنا.

إن أقسى شيء كان عليّ سمعته من هاتين الفتاتين أنهن قلن وكن يقسمن بالله إذا مات أبونا هذا فسنقف على قبره في كل ليلة جمعة وكل واحدة منا تلعنه مئة مرة، فارتعشت من كلامهن وحاولــت أن أطيــب خواطرهن.

هنا قررت أن أفاتح هذا الأب التاجر والوجيه في البلــد، ووكيــل مرجعيات النجف الأشرف بأخذ الحقوق الشرعية وغير ذلك.

لقد كلمته عاطفياً فوجدته أشد مما أخبرن عنه بناته ومصر علــى أن لا يحق لأحد أن يصاهره إلا أن يكون معنوناً ومشهوراً ومن عائلــة ثرية تضاهيه بالثراء، ولاحظت متعصب بشدة بحيث أنه يعتز بارتكاب هذا الأثم الكبير ويتفاخر بالباطل، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

حقاً هنا تذكرت كلمة الحسين عليه السلام: النــاس عبيــد الــدنيا والدين لعق على ألسنتهم يدورونه ما درت به معايشهم فــإذا محــصوا بالبلاء قل الديانون.

وأخيراً:

وبعد هذا اللقاء الحزين مع هذا الوالد ومع ابنتيه بعــدة ســنوات توفي الأب بعد مرضٍ عضال ألزمه الفراش طويلاً، أما البنتــان فقــد تجاوزتا الأربعين الآن وهن على حالتهن بل يرثى لهن.

هذا نتاج الاعتزاز بالإثم بالباطل والتمــرد علــى شــريعة ســيد المرسلين ونعوذ بالله من ذلك.

مسك الختام

أدافع عن حقٍ فظن ذو الهوى

بأني قد أظهرتُ ما هو منكرا

وحتى متى هذا التسّتر قائمٌ

ومن تحته تُبنّى القصور مع الثرا

المؤلف

الفهرست

منشورات مركز الزهراء عليها السلام النجف الأشرف حي السلام

ما صدر للمؤلف:

١ــ مع الصادقين (٤ أجزاء) طبع عدة مرات.

٢ــ محاضرات إسلامية طبع ٣ مرات.

٣ــ القلم المنتضى في أحوال جدنا المرتضى.

٤ــ رسائل ومسائل طبع عدة مرات.

٥ــ ستون سؤالاً (بين قوسين) طبع عدة مرات.

٦ــ جولة في دهاليز مظلمة طبع عدة مرات.

٧ــ محنة الهروب من الواقع طبع عدة مرات.

٨ــ قَصصٌ ذاتُ أنياب الطبعة الأولى.

كتب للمؤلف في الطريق:

١ــ خمسون عاماً مع المنبر الحسيني.

٢ــ تحفةُ المُطالع في مختلف الوقائع.

تُطلب هذه الكتب من:

مكتبة المصطفى ــ النجف الأشرف ــ شارع الرسول

للإطلاع على بعض هذه الكتب مراجعة هذا الموقع على الانترنت

WWW.HKBooks.Webs.com